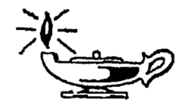


كتابى
حلمى مراد
قصة
"ضياع" الشباب
المعاصر فى إنجلترا،
للروائى "الغاضب"
"كولين ويلسون"
صعلوك..
فى حى "سوهو"
وكتب أخرى

كتابى

مجلة شهرية للثقافة العالمية

صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد

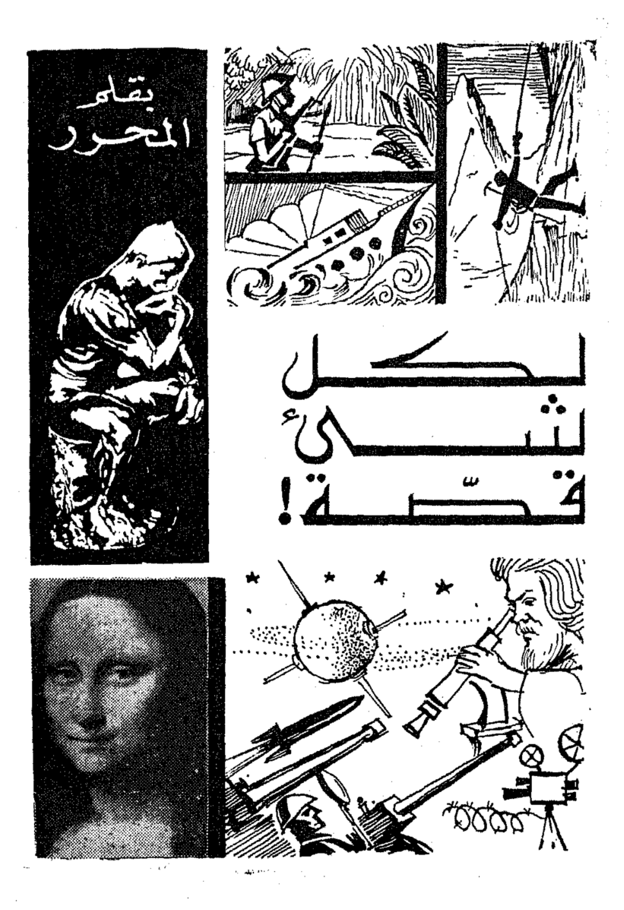


الكتاب التاسع والتسعون

التحرير : ٢٣ شارع عرابى ، شقة ١١١ ، القاهرة
تليفون : ٤٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب ، ٩٢ شارع قصر العينى ، القاهرة
تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا


بقلم
المحرر
لكل
شيء
قصة!

عزيزى القارىء

● لكل شىء ، فى نظرى ، قصة : فلكل اختراع قصة .. ولكل كشف جغرافى او علمى ، قصة ..

لكل فن قصة : لكل تمثال قصة .. ولكل لوحة قصة ، ولكل لحن قصة .. بل لكل قصة قصة ، ولكل كتـاب أو اسطورة قصة ..

لكل حرب قصـــة ، ولكل صلح او معاهدة قصـــة .. لكل نعمة قصة ، ولكل نقمة قصة .. لكل مشروع عمرانى قصة ، ولكل زلزال او بركان مدمر قصة ..

لكل نبى قصة ، ولكل عبقرى أو عظيم قصة ..

.. لكل قارة او دولة قصة ، ولكل مدينة قصة ، بل لكل حى أو شارع قصة ..

.. لكل أثر خالد قصة .. ولكل معهد أو جامعة قصة .. ولكل دواء او كشف طبى قصة .. ولكل عقدة نفسية قصة ..

لكل بطولة قصة ، ولكل تضحية قصة ، ولكل مغامرة قصة .

لكل رسالة خالدة قصة .. ولكل خطبة مشهورة قصة ..

بل لكل حياة قصة .. ولكل نهاية حياة قصة ..

وفى هذا الباب الجديد ، أزمع أن أقدم لك بعون الله فى كل عدد : لكل شىء قصة !

ولنبدأ بهذه القصة :

لكل تمثال .. قصة !

● انهـــا تقف اليوم فى متحف « اللوفر » بباريس ، وقد أشاحت بوجهها قليلا عن الضوء البارد المرتعش الذى ينصب عليها من خـــلال النافذة الشمالية .. تقف نهبا لنظرات الاعجـاب والغيرة : كواكب السينما يعقـــدن المقارنات بين مقاييس جسمها ومقاييس أجســـامهن .. وأساتذة فن النحت يدرســـونها بالمناظير المكبرة .. وملايين السياح والزائرين يتزاحمون كالقطعـــان الهـــائمة ليحـــدقوا فى قسمات وجهها ، ومقاييس بدنها ! .. ومع ذلك فهى ماتزال لغزا محيرا : ما الذى ترنو اليه هكذا ، بهذه النظرة الجادة ؟



تمثال « فينوس دى ميلو » ، الذى يبهر أنظار زوار متحف اللوفر بباريس ..

.. كم عمرها ؟ .. من هى ؟ .. مامن احد يعرف، رغم ان العالم كله يعرف اسمها !.. انهم يطلقون عليها : « فينوس » .. «فينوس دى مياو» ، نسبة الى موطنها الاصلى ..

جزيرة ميلو

● و «ميلو» — او « ميلوس » كما ينطق بها الانجليز — جزيرة من جزر اليونان ، صخرية وعرة ، تتوجها بلدة صغيرة بيضاء الاسوار ، تحف بها اشجار الزيتون ، ويلطمها في رفق — بحر « ايجة » وجزره ، بحيث تبدو للسائح القادم من الشمال مصداقا مجسما لجميع احلامه ..وان كانت فى حقيقة الامر لاتكفل لقاطنيها ، الفلاحين، الا عيشة الكفاف الشاقة : فالتربة فقيرة وسطحية العمق ، والشمس تحرقها طيلة أشهر الصيف بشواظ من نار .. والرياح الملحة تكتسحها وتعصف بنباتها وحاصلاتها الرقيقة القوام ..

لكنها خلال أسابيع معدودة من الربيع تغدو جنة الله على

أرضه ، يهب عليها النسيم ناعما منعشا ، فتخفق للمساته أغصـــان الزيتون وترتعش ظلالها على الارض .. وتمرح السحالى فوق الصخور تستحم بأشعة الشمس الدافئة .. وتتماوج أزهار الاقحوان الصـــفراء وبراعم الخشـــخاش القرمزية بين اعواد الحنطة القصيرة التى لم يتم نضجها .. وتتضوع الصـــخور بعطر الريحان ذى الرائحة العـــذبة النافذة ..

وأغلب الظن ان الطقس كان كذلك فى صبيحة ذلك اليوم من أيام ابريل سـنة ١٨٢٠ ، حين راح فلاحان من اهـل الجـــزيرة هما « جيورجيوس » وابنه « انطونيو » يدقان الصخر بمعاولهما فى رقعة صغيرة مرتفعة عن سطح البحر .. وفجأة ، وهو يحفر حول جذع قديم شديد الصلابة ، دهش « جيورجيوس » اذ رأى الصخر ينهار ، كاشفا الغطاء عن هوة عميقة .. فألقى معوله من يده وصاح يلفت نظر ابنه فى انفعال .. !

وانهمك الاثنان من فورهما فى ازالة التربة المحيطة بفوهة الهوة الشاغرة ، وتنظيف المكان من كل ما يعوق رؤية ما فى باطنه .. وسرعان ما لاح لهما فى داخـل الهوة ما يشـبه المحراب الغريب ، وقد لونت جدرانه بطلاء باهت .. وفى القاع العميق ، بين اكوام من شظايا المرمر ، رقد تمثال امرأة فاتنة الجمال ! ..

ولم يكن جيورجيوس بالغبى أو الجاهل بقيمة هـــذا الاكتشاف ، فقد سمع من قبل أنباء اكتشافات مشابهة فى أماكن أخرى من بلاد اليونان ، دفعت بعض الجهات ثمنا لها مبالغ مغرية .. فهرع عائدا الى بيته وبادر باخطار قنصل فرنسا فى الجزيرة — أو الممثـــل المحلى للثقافة الغربية — مسيو «برست» .. وبعد حين عاد الاثنان الى مكان الكشف ليفحصه القنصل ويتخذ الاجراءات التى يراها ..

فرنسا تطمع فى التمثال !

● وفى اليوم التالى أرسل القنصل الى رئيسه قنصل فرنسا فى « أزمير » رسالة تفصيلية قال فيها : « ان التمثال قد أدركه شىء من التشويه ، فذراعاه مبتورتان ، وجسمه مشطور عند الخصر الى قطعتين « .. ورغم ذلك فقد أشاد الكاتب بجمال التمثال وأسهب فى وصف قيمته الفنية فى تحمس كبير ، ثم طالب بضرورة اتخاذ ما يلزم لضمان حصول فرنسا عليه قبل أن يتصدى لها المنافسون ، اذ لا ريب فى أن كلا من انجلترا وأمير بافاريا المولع بالفنون سوف يعرض ثمنا سخيا مقابل الاستئثار به ! .. ثم ختم القنصل رسالته بالقول انه قد حصل على وعد قاطع من مكتشفه جيورجيوس بأن تكون الكلمة الاولى فى شراء التمثال أو تركه ، للحكومة الفرنسية ! .. وفى هذه الاثناء كان جيورجيوس وابنه قد بذلا جهدا جبارا حتى استطاعا اخراج النصف العلوى من التمثال من محرابه ، ونقله الى بيتهما ملفوفا فى جوال ، ومحمولا عبر الحقول على عربة صغيرة يجرها حمار ! .. وحين بلغا البيت أودعا التمثال حظيرة الماشية ، واغلقا بابها بالمفتاح .. لقد ادرك الفلاح الذكى أنه وقع على كنز ثمين ، لكنه لم يستطع تكوين فكرة ولو تقريبية عن قيمة هذا الكنز بالمال ، فخطر له أن يستعين بضباط السفينتين الفرنسيتين اللتين كانتاراسيتين فى ميناء الجزيرة لعل أحدا منهم تكون له خبرة فى هذا الشأن .. فدعا الضباط الى منزله واستشارهم فى الامر ، لكن أحدا منهم لم يقطع فيه برأى يستطيع الرجل ان يركن اليه .

امرأة عارية ، تمسك تفاحة !

● على أن القدر لم يلبث أن ساق الى الرجل بعد أيام خبيرا اخصائيا فى الفن ، حين مرت بالجزيرة السفينة

الفرنسية « لاشيفريت » فى طريقها الى القسطنطينية ، وكان بين ركابها مسيو « دومون دورفيل » ـ الذى ذاعت شهرته فيما بعد باعتبـــاره من مكتشفى المنطقة القطبية ـ فهرع جيورجيوس الى الميناء لاستدعائه. وفى يوم ١٩ أبريل فحص دورفيل التمثال والمكان الذى وجد فيه ، ثم كتب على الاثر تقريرا جاء فيه : « ان التمثال قد اكتشف فى سرداب نقشت عليه عبارات موجهة الى « هرمس » و « هرقل » ؛ والتمثال يمثل امرأة عارية تمسك فى يدها اليسرى تفاحة ، وتمسك بيدها اليمنى طرف ثوبها .. لكن كلتا الذراعين قد بترتا ، وهما فى الوقت الحاضر مفصولتان عن الجسم ..

وبعد خمسة أيام أبحر دورفيل ـ مسلحا بتقريره، وبرجاء مسيو دى برست والحافه ـ متجها نحو القسطنطينية حيث يوجد الرجـــل الذى يعتمد عليه فى أمر مطاردة التمثـــال والسعى للحصول عليه : المركيز « دى ريفيير » ؛ ســـفير فرنسا لدى سلطان تركيا ، التى كانت تحكم جزائر اليونان وتتولى مصائرها فى ذلك الحين .

فرنسا وتركيا تتنافسان !

● وأبدى السفير اهتمامه الشديد بقصة التمثال ، الى حد أنه قرر ايفاد أحـــد سكرتيريه الى جزيرة (ميلوس) ليتولى بنفسه المفاوضة فى شأنه ، لكن انفاق أموال الدولة على الاعمال الفنية لم يكن بالامر الذى تتم اجراءاته بسهولة حتى فى تلك الايام ، فانقضى شهر قبل أن يهبط السكرتير « مسيو دى مارسيللاس » الى ارض الجزيرة ، قادما على السفينة « ليستافيت » ، مزودا بالســلطة الكافية لشراء التمثال الثمين .. لحساب متحف اللوفر !

وفيما كان مسيو « دى مارسيللاس » ينتظـر تعليمات

حكومته ، كانت تجرى فى الجزيرة مساومات قذرة بشأن اغتصاب التمثال : كان كاهن يونانى يدعى « أويكونوموس » ــ وهو محتال ماكر خبير بأمور الدنيا أكثر من خبرته بأمور الدين ! ــ قد فقد حظوته لدى صديقه القديم الحاكم التركى « نيقولاقى موروزى » ، على اثر اتهامه باختلاس سندات حكومية .. فلم تكد قصة اكتشاف جيورجيوس للتمثال تبلغ مسامعه حتى رأى فيها فرصة ذهبية لاسترداد حظوته لدى الحاكم ، فسارع يلتمس مقابلة القروى الغرير الحائز للتمثال .. واذ اختلى بالساذج ، راح يحتال عليه بسلاح الوعيد والتهديد ، قائلا ان التمثال ما دام قد وجد فى أرض تركية ، فهو ملك خالص للسلطان ــ بحكم تبعية جزر اليونان لتركيا ــ ولو وصل نبأ اكتشافه الى مسامع المسئولين لطالبوا به فورا واستولوا عليه بأمر حكومى .. والانكى من ذلك أن جيورجيوس لا بد أن يستهدف فى هذه الحالة للحكم عليه بغرامة ، لكونه لم يبلغ نبأ العثور عليه ويسلمه للسلطان فى حينه ، بل لعله يسجن ، أو يكون مصيره أسوأ من السجن!

وبعد أن زعزع الكاهن الخبيث أعصاب الساذج بهذه الهواجس ، عرض عليه ــ بدافع من شهامته واخلاصه ــ أن يشترى منه التمثال بسبعة جنيهات ونصف ، ويكتم الامر عن مسامع الجهات الحكومية ..!

وتغلب شبح العقوبات « التركية » على كل ملق مسيو برست ومساوماته ووعوده .. فلم يمض وقت حتى وافق جيورجيوس على الصفقة !

اللحظة الحاسمة

● وأسرع الكاهن فأنبأ الدليل التركى بما وصل اليه ، وسرعان ما نقل شطرا التمثال الثمين الى زورق تركى كان راسيا فى الميناء ، على مرأى ومسمع من القنصل الفرنسى

الحانق ! .. ويمكن تصـــور شعور مسيو برست فى تلك الساعة : لقد حصل لبلاده ـ بيقظته ومجهوده ـ على فرصة الظفر بتحفة فنية نادرة المثال ، فاذا اهمال الروتين الحكومى واجراءاته السخيفة تضيع كل جهوده ادراج الرياح ، وتهدم كل ما بناه !

وعبثا توسل الرجل وهدد .. وعبثا راح يجيـل بصره ـ من فوق صخرة مشرفة على الميناء ـ نحو الشرق ، يداعبه أمل يائس فى أن يهبط العون فى آخر لحظة ، وتأتى النجدة من القسطنطينية !

ولكن ، أو ليست هذه سفينة تلوح عند الافق ؟ ورفع منظاره المكبر فورا الى عينيه فى لهفة وقلق ، لكن السفينة كانت ابعد من أن يستطيع تمييز العلم المرفوع فوق ساريتها .. وتحت أقدام التل الذى هو واقف عليه كان عمال الزورق التركى منهمكين فى تثبيت التمثال فى قاعه ، وشـــد وثاقه بالحبال ، تمهيدا للاقلاع به بين لحظة وأخرى .. الى حيث تفقده فرنسا الى الابد !

وشد مسيو برست بصره الى الافق وهو يكاد لا يصدق عينيه ! أو هذا معقول ؟.. سفينة يخفق فوقها العلم الفرنسى .. وبقفزة سريعة أندفع الرجل يعدو نحو الشاطىء وهو يطلق صيحات الفرح !

أما ما تلا ذلك فتتضارب فى شأنه روايتان : الاولى رواية مسيو « مارسيللاس » سكرتير سفير فرنسا فى القسطنطينية الذى قدم على ظهر تلك السفينة . وهو يقرر انه نجح فى اقناع الاتراك بتسليم التمثال وديا ، بفضل المفاوضـــات الدبلوماسية الناعمة التى تولاها بمجرد وصوله الى الميناء . والرواية الثانية ـ وصاحبها ضابط من ركاب السفينة ـ تقرر أن قبطانها وعشرين من رجاله ، يضاف اليهم مسيو

برست المتحمس ، وقد أمسك فى يده سيفا وفى اليد الاخرى هراوة ثقيلة ، قد افلحوا فى انتزاع التمثال من بحارة الزورق الاتراك عنوة واقتدارا !

وخلاصة القول أن شمس ذلك اليوم لم تغرب الا والسفينة الفرنسية تمخر عباب البحر حاملة كنزها الثمين الى حيث يستقر اليوم فى متحف اللوفر ! .. أما جيورجيوس وابنه ، صاحبا الاكتشاف ، فكان كل ما غنماه منه مبلغ ٥٥٠ فرنكا .. وأما الكاهن اليونانى ، ففى نوبة غيظـه لفشل خطته . أرسل تقريرا عن تطور الامور الى الترجمان التركى ــ الذى كانت له سلطة الحاكم للجزيرة باسم السـلطان ــ يأمر بتوقيع غرامات فادحة على كل من كان له ضلع فى الامر من أهل الجزيرة . وأحس مسيو برست انه مسئول الى حد ما عن هذه العقوبة الجائرة ، فأخطر بالامر رئيسه سـفير فرنسـا فى القسطنطينية ، الذى احتج عليها بشـدة لدى الحكومة التركية ، فوعدته برد مبالغ الغرامة الى أصحابها ! .. ولم يكتف السفير بذلك بل سافر بنفسه الى الجزيرة لينهى الى أهلها نبأ نجاح مسعاه .. لكن بشراه التى زفها اليهم لم تتحقق ، فقد أخلفت الحكومة التركية وعدها له فلم ترد الغرامات لاصحابها قط ، الامر الذى اضطر فرنسا الى دفع المبالغ لهم من خزانتها ، فى شهامة مثالية !

على أن أهل الجزيرة سرعان ما وجدوا الفرصة سانحة للانتقام من الاتراك الذين خدعوهم ، حين نشبت الحرب بين البلدين بعد ذلك الحادث بأشهر قليلة . فكان أول ما فعلوه انهم علقوا الحاكم من رقبته فى شجرة وشنقوه !

فرنسا تجن اعجابا بالتمثال !

● وفى تلك الاثناء كان التمثال قد وصل بشطريه الى باريس ، حيث استقبل بحماس طروب يتناسب مع جماله

.. واعلن خبراء متحف اللوفر – مسيو «برسييه» ومسيو « فونتين » – أنه لا يمكن الا أن يكون من صنع الفنان « براكستيل » ، أحد مشاهير مثالى اليونان القدماء !

ووضعوه فى غرفة مغلقة من غرف المتحف ، وشددوا الحراسة عليه ، بينما ألهبت شوق الجماهير الى رؤيته روايات الافراد القلائل الذين أتيحت لهم تلك الفرصة ، والذين اجمعوا على ابداء اعجابهم الشديد به . ولم يشذ عن نغم هذا الاعجاب الاجماعى من رجال الفن غير صوت واحد ناشز ، وهو صوت الرسام الشهير « لويس دافيد » الذى كان يوما ما – فى عصر نابليون – دكتاتور الفن الاكبر والذى صار شيخا مسنا فى السبعين ، يعيش فى بروكسل ، فلما بلغته أنباء اكتشاف التمثال بلغ من اهتمامه بأمره أنه حين عجز عن السفر لرؤيته بنفسه أرسل يكلف تلميذا له يدعى « جرو » بأن يرسم له رسما دقيقا يوضح معالمه وقسماته .. فانتدب جرو لهذه المهمة بدوره واحدا من تلاميذه يدعى « ويهاى » فحصل على تصريح خاص برؤية التمثال ، وأتم مهمته على خير وجه ، ثم أرسل الرسم الدقيق الى مسيو دافيد .. وكم كانت دهشة هذا الاخير حين تبين فى بعض الرسوم المنقولة عن قاعدة التمثال عبارة مكتوبة باليونانية نقلها الرسام – الذى يجهل هذه اللغة – دون أن يفهم مدلولها ، وقد جاء فيها : « الكسندوس بن فيدس من بلدة انطاكية صنع هذا » .

اذن فالتمثال ليس من صنع المثال المشهور «براكستيل» بل من صنع مثال مغمور لم يسمع به أحد .. والانكى من ذلك أنه لا يمت حتى الى العصر الذهبى للفن الاغريقى،وانما هو تمثال حديث نسبيا ، لا يمكن أن يرجع الى ما قبل عام ٢٠٠ قبل الميلاد !

ويمكن تصور الجدل العنيف الذى دار حول هذاالموضوع وما يزال دائرا حتى الآن ، سيما ان الدليل الوحيد الذى يحسم الامر — وهو ذلك الجزء من القاعدة الذى نقشت عليه تلك العبارة ، والذى كان مكسورا وموضوعا الى جانب التمثال — قد اختفى منذ ذلك التاريخ ، وفشلت جميع الجهود التى بذلت للاهتداء اليه .. حتى لقد قيل ان خبراء متحف اللوفر الذين تهدم تلك العبارة نظريتهم كانت لهم يد فى اخفاء ذلك الجزء الذى نقشت عليه ، خشية أن يؤثر الرأى القائل بأن التمثال من صنع فنان مغمور ، فى قيمته الفنية .

أما ذراعا التمثال فقد فشلت جميع الجهود التى بذلت للعثور عليهما . وأما القطعة من اليد التى تحمل تفاحة ، والتى وجدت فى السرداب مع التمثال ، فقد لا تكون تمت اليه بصلة ؛ وان يكن يحتمل أن تكون خاصة به ، نظرا الى أن اسم الجزيرة (ميلوس) هو كلمة يونانية .

اللغز الاخير : من هى ؟

● وهذا يفضى بنا الى اللغز الاخير ، أو الموضوع الاخير من مواضيع الجدل التى ما تزال تثور حتى اليوم بشأن هذا التمثال ، وهو شخصية المراة التى أوحت الى صانعه بصنعه : هل هى حسناء من البشر ؟ .. أم هى رمز لالهة من آلهة الاغريق ؟ .. ومن تكون ، اذا صح هذا الفرض أو ذاك ، وفى اى وضع كانت ذراعها اليسرى ؟ .. أما الذراع اليمنى فالراجح من وضع الساقين وانثناءات الثياب انها كانت تمسك بها طرف ثوبها .

وفى هذا كله اختلف خبراء الفن : فرجح بعضهم انها ترمز للالهة « أرتيميس » .. وقال آخرون انها الهة النصر .. ويرى فريق ثالث انها الالهة المحلية لجزيرة ميلوس ، اذا

صح انها كانت تمسك بيسراها تفاحة .. ويذهب الفريق الرابع الى ان صاحبة التمثال هى « فينوس » الهة الجمال وهو الاسم الذى أطلق عليها مجازا من فرط جمالها ، والذى لا ينكر أحد أنها تستحقه ..

ووفقا لهذا الاختلاف فى معرفة شخصيتها ، اختلف المفسرون فى تصور وضع ذراعها اليسرى ، فقالوا انها كانت تحمل رمحا ، أو ترسا ، أو تستند الى عمود ، أو الى رجل!

.. والى أن يحل هذا اللغز — واغلب الظن انه لن يحل — فسوف تظل المرأة التى استوحاها صانع التمثال محاطة بالغموض الفاتن ، كما كانت دائما .. وسوف يظل اسمها : « فينوس دى ميلو » .

⊙❖⊙

هذه هى قصة التمثال كما كشف عنها النقاب أخيرا .. فما هى الحقائق التقليدية التى كانت معروفة عنه ، وعن الربة فينوس بصفة عامة ؟

« فينوس » هى ربة الجمال عند الرومان ، وكان الاغريق يطلقون عليها « أفروديت » ، أما تمثالها الذى رويت لك قصته فهو أكبر قليلا من الحجم الطبيعى لجسم المرأة ، وقد صنع فى وضع لولبى بحيث تبدو فينوس جميلة من أية زاوية تنظر اليها منها ، وقد نحت الرأس على طراز يرجع الى القرن الخامس قبل الميلاد ، أما الجسم فقد نحت على نسق طراز القرن الرابع . وقبل أن تفقد ذراعا التمثال كانت الذراع اليمنى متدلية الى أسفل من الامام ، ويدها تمسك بطرف ثوبها .. بينما الذراع اليسرى تتكىء على عمود طويل ، ويدها تمسك بتفاحة (وهذا يرمز الى شعار الترحيب بالزائرين عند أهل جزيرة ميلو) .


أصداء
الثقافة
المعاصرة
للمحرر

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب الجديد ارجو أن أقدم لك فى كل عدد باذن الله جولة تطوف بك بين أهم مراكز الاشعاع الثقافى فى العالم : بين لندن وباريس وموسكو ونيويورك وطوكيو ، وشتى عواصم الغرب والشرق ، لتتعرف على أحدث التيارات فى الثقافة المعاصرة : على حركة الكتاب المعاصر .. والمسرح المعاصر .. والفيلم المعاصر .. والفن التشكيلى المعاصر .. وأهم ما تنشره الصحافة المعاصرة .. والجديد فى العلم .. والجديد فى الطب .. الى غير ذلك من اوجه واصداء الثقافة العالمية المعاصرة :

الكتاب المعاصر

((تحت هذا العنوان ، اقدم لك أنباء الكتب الجديدة التى تصدر تباعا فى عواصم الثقافة العالمية : فى لندن ، وباريس ، ونيويورك ، وموسكو ، وطوكيو ، وغيرها من المدن الكبرى المنتجة والمصدرة للكتاب ـ أشرف وأثمن سلعة ينتجها الانسان ! ـ كما اقدم لك أنباء أهم ما يصدر من كتب فى العواصم العربية : فى القاهرة ، وبيروت ، وبغداد ، ودمشق .. الخ . وأول الكتب التى احدثك عنها اليوم كتاب صدر فى لندن ، قبيل احتفال الانجليز بعيد ميلاد فيلسوفهم ومؤرخهم الكبير المعاصر ((ارنولد توينبى)) الذى يبلغ الثمانين من عمره يوم ١٤ ابريل الحالى .

المدن ذات الاقدار !

● متى تكون لنا هذه الامكانيات .. أو فى القليل ((بعضها)) ؟

لقد جعلنى هذا الكتاب احس بالحسرة ، وبشىء من .. الغيرة !

.. الغيرة من الناشرين فى الخارج ـ فى أوربا ، وامريكا ، واليابان ـ ومن مدى ما يتوافر لهم من وسائل لاصدار أعظم الكتب ، فى أروع مظهر ، واجمل طباعة !

و « مفتاح السر » في هذه الامكانيات والقدرات الهائلة على الانتاج الثقافي الجبار هو .. القارىء ! .. القارىء الذي يدفع راضيا - بل سعيدا ممتنا - ثمانية جنيهات « استرلينية » في

كتاب واحد من الكتب التي يحمل البريد الى أنباءها كل يوم ، في صحف تلك البلاد ، ومجلاتها ، وملاحقها المصورة ، الملونة ، التي تعرفك بكل كتاب ، وتغريك باقتنائه ..

والكتاب الذي حمل البريد الى نباه - (الذي أشعرني بهذه الحسرة ، والغيرة !) - كتاب فريد في بابه .. في متعة موضوعه ومادته ، وجمال اخراجه ومظهره .. وقد جاءني نباه في صورة دعوة .. نعم ، « دعوة » من دار النشر الانجليزية - حين اعتزمت اصداره

وهي دار (ورلد بوكس) بالاشتراك مع تيمز أند هدسون)(1) وقد وجهت الدار هذه الدعوة الى كل عملائها في داخل انجلترا وخارجها ، كي ينتفعوا بفرصة توفير أكثر من جنيهين من ثمنه لو « اشتركوا » فيه قبل صدوره

- سواء نقدا ، أو بالتقسيط على قسطين قيمة كل منهما ثلاثة جنيهات استرلينية وستة شلنات - بل واتاحت الدار لعملائها الذين يقطنون في داخل انجلترا أن يطلبوا منها نسخة من الكتاب ترسل اليهم (قبل دفع اى مبلغ) على سبيل التجربة ليطلعوا عليها ويبقوها في حوزتهم لمدة اسبوع ، يردونها في نهايته الى الدار اذا لم تعجبهم ، أو يحتفظون بها ويدفعون ثمنها بالنقد أو التقسيط اذا راقت لهم ورغبوا في اقتنائها .

الى هذا الحد تبلغ ثقة دار النشر بقيمة كتابها ، وبان القارىء لن يستطيع التفريط فيه بحال ، متى تناوله بين يديه ، وقلب صفحاته !

والكتاب الذي تنصب عليه هذه الدعوة - وهي دعوة مألوفة تكررها دور النشر الكبرى هناك كل حين ، وبالنسبة للكثير من الكتب الثمينة - هو كتاب يروى قصة الحضارة الانسانية من خلال قصة عواصم العالم الكبرى (في الحاضر والماضي) .. وقد اشرف على تحريره واعداده المؤرخ الانجليزي الكبير « ارنولد توينبي » ، واطلق عليه اسم « مدن الاقدار » (2) ، اى « المدن ذات الاقدار » أو المدن التي كان لكل منها قدرها وأثرها في الحضارة الانسانية .. من « أثينا » القديمة في عصر « بركليس » ، الى عاصمة عالم المستقبل التي يحلم بانشائها المعماريون ، ويطلقون عليها « ايكومينوبوليس » ! .. ومن « الاسكندرية » القديمة تحت حكم

---

(1) World Books - Thames & Hudson

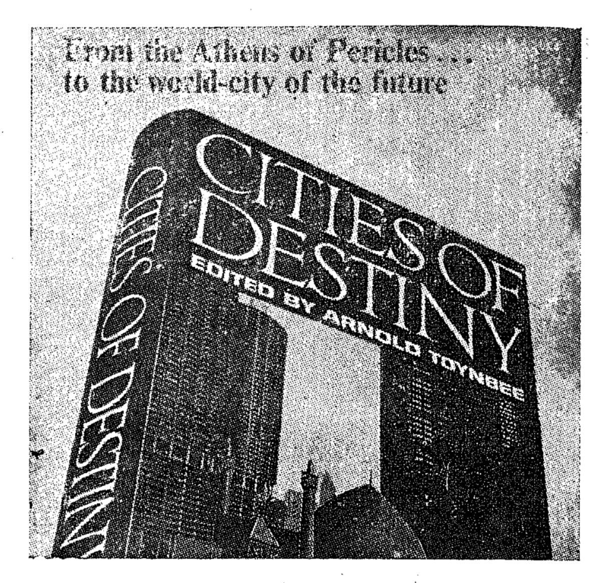
(2) Cities of Destiny - World Books - Thames & Hudson

البطالسة .. الى « قرطبة » الاسلامية .. و « القسطنطينية » المسيحية .. و « شانج آن » الصينية .. و « دلهى » و «اجرا» الهنديتين .. و « ابندقية » فى القرن الرابع .. وروما فى عصر ازدهارها .. و « باريس » فى زمن « ابيلار » ولويس التاسع .. و « فيينا » فى أبهتها وسناها .. و « فيمار » فى عصر جوته .. و « اصفهان » تحت حكم الشاه عباس .. ولنـدن فى العصر الفيكورى .. ونيويورك اليوم .. وفلورنسا فى عصر النهضة .. وسانت بطرسبرج أبان مجد القيصرية .. و « تينوشتتلان » عاصمة الحضارة المكسيكية العظيمة قبل الغزو الاسبانى ..

والكتاب يحتوى على خمسمائة صورة ـ منها ١٦٥ صورة ملونة ـ وستون خريطة ورسما .. وقد اشترك فى كتابة فصوله الثمانية عشر ١٨ عالما متخصصا ، كل فى ميدانه ، تحت اشراف « أرنولد توينبى » الذى أعد للكتاب خطته ، ونقحه ، وكتب له مقدمة هى فى ذاتها بحث ضاف عن « المدن عبر التاريخ » .

والفكرة التى أوحت بوضع الكتاب هى ان حضارة الانسان لم تبدأ فى صورتها الحقيقية الا منذ نشأت المدن ، واذا كان الانسان قد وجد على الارض منذ نحو تسعمائة الف سنة (٩٠٠،٠٠٠) ، فان عمر أقدم مدينة عرفها العالم حتى الآن ـ وهى مدينة « أريحا » الاردنية ـ لايزيد على تسعة آلاف سنة فقط ، ومن ثم يمكن القول ان المدن لم تظهر على مسرح الوجود الا « حديثا » ، (بالقياس الى عمر الكون) ، ومع ذلك فان تأثيرها على تاريخ الانسان كان تأثيرا حاسما .. وخلال الزمن الذى انقضى بين عصر « أثينا » (ذات البضعة آلاف نسمة فقط ، فى قمة مجدها) ، وعصر نيويورك اليوم ، العاصمة الفسيحة التى تعج بناطحات السحاب ، وعمائر الصلب والخرسانة .. بين ذاك العصر وهذا العصر ، كانت المدينة دائما مركز القوة والنهضة والتقدم ، ومكان اصطراع الافكار والنظريات والآراء ..

.. ومن ثم فالكتاب يتابع ، بالكلمة والصورة ، قصة كل مدينة على حدة ، من الماضى السحيق الى مشارف المستقبل البعيد .. فيروى فى كل فصل منه قصة مدينة منها عن قرب ، مع التركيز على الحقبة التى بلغ فيها تأثيرها على البشر والافكار أوج قمته ، بحيث جاوز حدودها الى العالم الخارجى ، وأرسل اشعاعه الى المدى البعيد .. وهكذا نرى أثينا تموج بالآراء والفلسفات الجديدة فى عصرها الذهبى .. وروما تحكم العالم من قصور أباطرتها العظام .. والقسطنطينية مركزا للحضارة وقت ان كان الغرب برارى موحشة لم يتسلل اليها اى شعاع من المدنية .. و « قرطبة » نافذة مضيئة على



((المدن ذات الاقدار)) .. صرح فى عالم النشر !

العالم الاسلامى من جنوب اوربا .. ولندن ((ورشة)) تنتج للعالم صناعاته الاولى فى القرن التاسع عشر .. ونيويورك مدينة الحركة الدائبة .. ومن خلال صفحات الكتاب ، وصوره ورسومه وخرائطه ، تطالعنا تلك المدن الخالدة ، بضجيج شوارعها ، وجمال مبانيها ، وخلية تجارتها وسياستها ، وأمجاد فنونها وحضاراتها ..

ولكن ، ماذا بشأن المستقبل ؟ هل تستطيع المدينة البقاء فى عالم الغد ؟ .. او هل يستطيع

الانسان البقاء فى مدن المستقبل التى تزحف وتمتد ، كالاخطبوط ؟ .. ان الفصل الاخير من الكتاب ، الـذى يخطط لمدينـــة الغـــد « ايكومينوبوليس » يعـالج هذه الفكرة المخيفـــة : كيف ان النمو المتزايد المستشرى لمدن العـالم يهددها بالاختناق ، وبالقضاء على الانسان نفسه ، كما يحدث لجيوش النمل حين تتراكم فوق بعضها ، مالم ينقذ الاجيال القادمة تخطيط « ثورى » جذرى لمدينة الغد ، وهو ما يشرحه الاخصائى العالى « س . ا . دوكسيادس » ـ بالصور ، والخرائط ـ فى الفصل الختامى من الكتاب ..

والى لقاء قريب مع هذا الكتاب الممتع ، يوم تصلنى نسختى منه .

مشكلات ٣٢٥٩ فتاة مراهقة

● وقداصدرتدار «هاينمان» للنشر ، بلندن ، كتابا جـديدا فى سلسلة مطبوعاتها التربوية ، عنـوانه « مشكلات الفتيـــات المراهقــات » (٣) ، من تأليــف البـاحث الاجتمـاعى « جيمس هيمنج » . والكتاب دراسة جادة لمشكلات مستقاة من ٣٢٥٩ رسالة كتبتها فتيــات مراهقــات الى صحيفتى « النسر » و « الفتاة » اللتين كان المؤلف يعمل فيهما كمستشار أو « ناصح » تربوى ، خلال ثلاث سنوات . والكتــاب يتعرض لكافة مشكلات المراهقة ، (ما عدا ظاهرة تعاطى المخـدرات التى ظهرت فى انجلترا بعـد ان ترك المؤلف عمله فى الصحيفتين) . ويزكى النقاد الكتــاب للوالدين الذين يشعرون انهم رزقوا بنات عسيرات القياد و « متعبات » ، ويخيل اليهم انهم قد انفردوا وحدهم بهذا البلاء !

٤٠٠ صفحة من « د. هـ. لورنس »

● لايقل انتاج « لورنس »فى النقد مكانة عن انتاجه فى القصة ، الطويلة والقصيرة .. وقد كان من نتيجة رواج الطبعات المتوالية من روايات لورنس (واهمها : « عشيق الليدى تشاترلى » ، و « أبناء وعشاق ») ان عمدت دور النشر المختلفـــة الى نشر مجموعات من مقالاته وأبحاثه فى النقد . واحدث كتاب فى هـذا

---

(3) Problems of Adolescent Girls (By : James Hemming - Heinemann Educational - 16 s.)

الصدد صدر اخيرا بعنوان ((مختارات من النقد الادبى))(٤) ، فى اربعمائة صفحة ، ويتضمن آراء جريئة وذكية للورنس ، وردت فى عدد كبير من رسائله الخاصة ، ومقالاته ، وافتتاحيات كتبه .. ومنها بحث مطول عن ادب ((توماس هاردى)) ، ومقال لورنس المشهور عن ((الادب المكشوف)) ، وعدد من الدراسات البارعة فى الادب الامريكى الكلاسيكى ..

« زوجة الشيطان » .. محررة المرأة الامريكية !

● اغلبية النساء اللواتى كافحن من اجل اعطاء المرأة الحقوق السياسية كن فاضلات ، الا هذه المرأة ((فيكتوريا وودهل)) التى يروى هذا الكتاب(٥) قصة حياتها ، فلقد جاوزت مطالبها حدود المناداة بالحقوق السياسية للمرأة الامريكية ، الى المناداة بحرية الحب ، بل وحرية المرأة فى ممارسة الجنس ، والقضاء على ((النفاق)) و ((الرياء)) اللذين يحرمانها من هذه الحرية !.. وبلغ من جراتها انها حثت نساء بلدها على ممارسة حقوقهن هذه ، أو التبرؤ من وطنهن الامريكى اذا حرمهن منها !

كان ابوها بائعا متجولا فى بلدة صغيرة بولاية ((اوهايو)) ، حيث نشأت هى وشقيقتها ((تنيسى)) ـ التى لم تكن تقل عنها جمالا ـ نشأة روحانية ، لم تلبث أن انقلبت الى مادية صرفة ، حين احترفت الاختان مهنة السمسرة فى البورصة ،فى (وول ستريت) ، فصارتا تربحان مليون دولار كل عام !.. وانشأت فيكتوريا جريدة اسبوعية تدعو لاعطاء المرأة الحقوق السياسية .

والتف حولها عدد من ((المفكرين الاحرار)) عاونوها فى تحرير المجلة. وقبل ان تظفر لبنات جنسها بحق الانتخاب ، رشحت نفسها لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة ! (متاثرة بنبوءة صديق كان يراسلها ويسمى نفسه باسم خطيب اليونان الشهير ((ديموستين)) ، اذ قال لها فى خطاباته انها سوف تكون ثرية ، مشهورة ، وسوف تحكم قومها !)

لكن الشهرة واتتها بسبب مبادئها وآرائها ((الجنسية)) ، لاالسياسية ! .. ففى عام١٨٧١ جاهرت على ملأ من سامعيها وهى تخطب فى قاعة مكتظة ، بنيويورك : ((نعم، اننى عاشقة

(4) Selected Literary Criticism (By : D. H. Lawrence - Heinemann Educational Books - 16 s.)

(5) Mrs. Satan (By : Johanna Johnston - McMillan - 36 s.)

متحـــررة ! » وكانت تلك بداية حملة من الرســوم الكاريكاتورية شنتها عليها مجلة ((هاربرز)) الاسبوعية ، واطلقت عليها فيهـا لقب زوجة الشيطان)) !

وتالب ضدها الراى العــام الامريكى ، وغدت حياتها مثقلــة بالمتـــاعب ، فتنكرت لزوجهـــا ((الثانى)) الذى كان قد أعانهـا على النجاح وعلى احتمال الحيــاة ، وبفضل نشاطها وجاذبيتها لم تلبث أن ظفــرت بزوج ثالث : مليونير بريطانى وقور من رجـال البنوك ، عاش بقية حياته بعد ذلك يدفع عن سيرتها شتى صنوف الاتهــامات الواضحة المحددة بشأن « ماضيها » .. وشـــان كل امراة أمريكيـة مغامرة ، صارت فيكتوريا ـ بعـد زيجتها هذه ـ من اعمدة المجتمع الانجليزى الراقى ، وقضــت بقية عمرها ربة قصر من قصور الريف الانجليزى !

أما اختهــا « تنيسى » فلحقت بها الى انجلترا بدورها .. ولم تلبث الحسناء الاخرى ذات النزوات الجنسية ، التى كانت ذراعـاها الحانيتان وجســدها الدافىء قد كفلتا الراحة للمليونير الامــريكى المسن ((كورنيليوس فاندربلت)) فى شيخوخته (١٧٩٤ ــ ١٨٧٧) .. لم تلبث أن حصلت هى الاخرى على زوج من نبــلاء الانجليز ، وصارت تدعى ((ليدى كوك)) ! .. وعند موتها ــ فى عام ١٩٢٣ ــ كتبت صحيفة (التايمس) رثاء بليغا فيها ، لم تذكرها خــلال سطوره الا باعتبــارها « مكافحة مجدة ومخلصة فى حقل الـدفاع عن حقوق النساء » .. شــأن شقيقتها فيكتوريا !

كتاب من باريس

● والان، لنترك لندن، لنتابع جولتنا مع الكتب فى عاصــــمة الثقافة الفرنســية ، باريس ، حيث صدر أخيرا كتاب بعنــوان ((المتمرد)) (٦) يتناول حياة اديب اليونان الكبير ــ الذى يعد من أعظم ادباء القــرن العشرين ! ــ ((نيكوس كازانتزاكيس)) ، الذى توفى فى ٢٦ اكتوبر ١٩٥٧ فى مدينة (فرايبورج) بالمانيا ، (والــذى قد لاتعرفه الجماهير الواسعة فى العالم الا من خلال الفيلم المشهور المقتبس عن قصـــته ((زوربا اليــونانى)) ! .. ومن خـــلال اللحن الموسيقى الذائع الذى تخلل الفيلم كله ، والذى ((يدندن)) به الشباب فى العالم كله ويطلبه المستمعون فى كل برنامج !) .

(6) 'Le Dissident : Par «Eleni N. Kasantzaki.»

والكتاب الجديد يتميز عن عشرات الكتب التى صدرت عن حياة هذا الاديب الفحل ، بانه من تاليف زوجته ورفيقة حياته ((الينى كازنتزاكيس)) ، التى كان يحلو له أن يدعوها « لينوتشكا » ، (على وزن الاسماء الروسية) .. وهى تروى فيه السيره الحافلة لزوجها الكاتب والفيلسوف ، الذى تمثل فلسفته فى عبارة قالها ذات يوم: ((لست آمل فى شىء ، ولااخشى شيئا ، فانا رجل حر ! .. ولو كنت أومن بالجنة او الجحيم ، لاصبحت تصرفاتىمقيدة ومحسوبة ولما عدت حرا .. وليس هناك شىء أسمى عندى من الحرية !))

وتقول الكاتبة فى مؤلفها، الذى ضمنته طائفة من الذكريات والتعليقات حول نصوص عديدة لكازانتزاكيس لم يسبق نشرها : ((فى عام ١٩٢٤ ، التقيتبالرجل الذى ضحى بكل شىء فى سبيل الحرية واللغة اليونانية الجديدة .. وكان متواضعا بسيطا ، يشكدائما فىروعة كل مايكتب..))

ولعل اروع ما الفه أديباليونان الاشهر هو روايته الشعرية ((الاوديسة)) التى يجهلها العالم - الى حد ما - بسبب عدم ترجمتها الى اية لغة اخرى، وهى تضم ٣٣٣٣٣ بيتا منالشعر، وتبدأ حيث تنتهى ((أوديسة)) هوميروس القديمة الخالدة ..

ومما تجدر الاشارة اليه ، ان هذا ((الراهب)) الذى طالما عاش بين الرهبان فوق جبل (آتوس) ، وهذا الشاعر الذى أمضى حياته فى برج عاجى بمناى عن الناس ، لميكف قط عن الاهتمام بمصير اقرانه ، حتى لقد كان اشتراكيا متحمسا . (وقد تناولت زوجته فى سيرة حياته ، تلك الرحلة التى قام بها الى روسيا فى عام ١٩٢٧ ، حيثالتقى ببعض الاقطاب الشيوعيين ..)

وقد يكون سر عظمة (كازانتزاكيس) كامنا فى تلك العبارة ، بالغة الدلالة ، التى جاءت يوما على لسانه : « ثمة شىء واحد يعنينى ، فيسعدنى أو يشقينى: انه الانسان .. تلك الحشرة الانسانية الرائعة التى تدب على الارض ، وتكافح كى تنبت لها اجنحة !))

كتب عربية

وفى هذا الباب يقدم لك (كتابى) كل شهر عرضا سريعا لاهم الكتب العربية التى صدرت خلاله ، فى مصر وسائر بلاد الوطن العربى . وفى مستهل هذا الباب يهمنى أن اصارحك باننى لم انشىء هذا الباب لخدمة الناشر ، للاعلان عن كتبه كماقديتبادر الى البعض،

لاول وهلة ـ وانما انشأته لخدمة القارىء ، لخدمتك انت ، وارشادك الى ما يستحق ان تقـرأ ، ومالا يستحق .. واذا كنت لن اغفـل اسم ناشر الكتاب ، بل سأحرص على ذكر ثمنه وعدد صفحاته ، فما ذلك الا للتعريف به ، واعطـائك صورة متكاملة عنه ، وارشادك الى الناشر الذى تستطيع ان تطلبـه منه ، كما تفعل الصحف العـالمية الكبرى فى ابواب الـكتب التى يحررها نقاد مشهورون بحيـادهم ودقة حكمهم .. والشىء الوحيـد الذى ساخالفهم فيه ، هو اننى فى هذا الباب لن اهـاجم كتابا ، او انقده ـ فمهاجمة الكتاب الردىء انها تحدث رد فعل عكسيا ! ـ فضلا عن انها تضـيع وقتك فى معـارك ومهاترات لا اومن بها .. وحسبك منى ان اغفل الاشارة الى الكتاب الردىء او الكتاب المتوسط الجودة، فى نظرى ، الذى لا اتحمس لقراءته ـ وبالتالى لحثك على قراءته ـ حسب تقديرى الشخصى وذوقى ، ولكل كاتب ذوقه الذى يعرفه قراؤه على اية حال ..

كما يهمنى ان اوضـــح من البداية ان تناول كتاب ما باسهاب او ايجاز اكثر من كتـــاب غيره ، لا يتصل ادنى اتصال بدرجة تقييم هذا الكتاب او ذاك ، وانما قـد تكون مرجعه المصادفة البحتـة ، بسبب ضيق الحيز ، او ضـيق الوقت ، او لان الكتابة فى موضوع كتاب ما قد تقتضينى من الجهـد والوقت اكثر من الـكتابة فى سواه .. وعلى هـــذا ، ارجو ان لا تفسر مجرد الاشارة الى كتاب فى « سطور » ، بانه يعنى الغض من قيمته ، فقد يكون مرد ذلك مثـلا الى ظروف « توضيب » هذه الملزمة فى آخر لحظة قبيل الطبع ، وهى ظروف قد تقتضى اختصار صفحات باكملها ـ من موضع معين بالذات ـ والاستعاضة عنها ببضعة سطور .. الخ ..

وعلى هـدى هذا الدســـتور تعال نستهل هذا الباب الجـديد ، وكلى امل فى ان لا تندم قط على وقت او مال اضعته فى كتـــاب زكيته لك :

المرأة .. فى حياة العقاد !

● منذ توفى الكاتب العمـلاق « العقاد » ، والكتاب من تلامذته ومريديه يحاولون اماطة اللثـام عن الجوانب المتعددة لحياته ، وعن افكاره وآرائه المنعكسـة فى ادبه

والنتاجه ، نثرا وشعرا . وهـكذا كتب البعض عن العقـــاد ناقدا ، والعقاد شاعرا ، والعقاد فيلسوفا، ولكن الموضوع الذى اســـتقطب اهتمام الجميع كان وما يزال : اين



المرأة فى حياة العقاد ، وفى ادبه ؟ .. وهى الناحية التى استطاع ان يوفيها حقها ، من الدراسة والبحث والاستقصاء ، كتاب ممتع صدر اخيرا بقلم الدكتور عبد الحى دياب (١) ، (الذى تخصص فى السنوات الاخيرة فى دراسة العقاد، والف فيه اكثر من كتاب) ..

وقد اعتمد فيه على ما كتبه العقاد بنفسه ، وبشكل اخص فى شعره الذى يعد ولا ريب مرآة صادقة لشخصية العقاد ، ونفسيته ،والذى اوضح فلسفته وآرائه فى:الجمال ، والحب ، والمرأة ، والجنس .. الخ

والكتاب يبدأ بشرح فلسفة الجمال عند العقاد ، ثم فلسفة الحب عنده .. وتجارب العقاد فى الحب .. ثم يفرد فصلا مستقلا لتحليل علاقته بكل من : الاديبة مى زيادة ، وسارة ، ثم (المصلية)، و « الممثلة » ، (وقد استغرق هذا التحليل من الكتاب نحو مائة صفحة) .. وبعدها يتحدث الكتاب عن الحب بين السعادة والشقاء ، والقضايا الفكرية التى تتصل بالجمال ، وصفات المرأة ، وتفاوت الجنسين ، وآراء العقاد فى قضية المرأة ، وحقوقها وواجباتها ، والعلاقات الزوجية : الزواج ، والطلاق ، وتعدد الزوجات .. ويخلص من كل ذلك الى ان «نساء العقاد لا يصلحن مقياسا للمرأة العربية المعاصرة ! »

مى زيادة ، فى حياتها وآثارها

● ومن المصادفات المحضة ان يصدر فى أعقاب الكتاب السابق الذى تعرض لعلاقة العقاد بالاديبة اللبنانية المتمصرة « مى زياده » ، كتاب كبير و « جاد » عن حياة « مى » ، بقلم الاديبة السورية

---

(١) ٥٢٣ صفحة قطع كبير - ٩٥ قرشا - دار الشعب .

المعاصرة السيدة وداد سكاكيني(١) .. والكتاب يحوى دراسة شائقة عن حياة الاديبة التى عاشت اسعد ايامها واشقاها على ضفاف النيل ، والتى كان لاعلام الفكر والادب فى القاهرة نصيب من الفضل فى تشجيعها ، حتى تالق نجمها واحتلت مكانتها بين الاديبات العربيات فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، وكان (صالونها الادبى) فى القاهرة اول صالون من هذا النوع عرفته بلادنا ، وضم فى جلساته الدورية وندواته ابرز ادباء العرب فى تلك الحقبة .

والكتاب يفرد ٢٢٠ صفحة لحياة مى ودراسة ادبها ، ثم ٢٥ صفحة لمختارات من مقالاتها ورسائلها وخطراتها .. وبصدد حياتها بدات المؤلفة بالكتابة عن : عصر مى ، ومنبتها واسرتها ، ونزعتها الدينية، وهجرتها من الناصرة الى القاهرة ، ونظمها الشعر بالفرنسية ، فكتاباتها النثرية بالعربية .. ثم تناولت المؤلفة : الانسانية فى ادب مى ، ومى فى صداقتها ، وندوة مى ، واعلام الفكر والادب حولها ، وبين مى وجبران ، والرسائل المشردة .. ثم بوادر المحنة ، من العصفورية الى المستشفى .. وايامها الاخيرة .. ومكانتها وموقف النقاد من ادبها .. واخيرا ، فصل لاذع تحدثت فيه المؤلفة عن الاقلام التى اتخذت من التشهير بـ (مى) مادة للتجارة والاثارة !

وقد استمتعت حقا بقراءة هذا الكتاب الدسم الرصين للكاتبة القديرة السيدة وداد سكاكينى ، وهو يعد بحق اضافة لها قيمتها الى كتب السير فى المكتبة العربية .

دائرة المعارف الاسلامية

● لم تكن الحضارة الاسلامية حضارة للعرب فحسب ، بل كانت حضارة للامم الاسلامية كلها ، او هى حضارة العصور الوسطى التى ربطت العالم القديم بالعالم الحديث ، وقد مثلت تلك الحضارة ، فيما مثلت ، حضارات اليونان والروم والفرس .. ولقد اهتم العالم الحديث اهتماما خاصا بالدور الذى لعبته الحضارة الاسلامية فى تاريخ العالم ، فعكف فريق كبير من علماء الغرب المستشرقين على دراسة تراثها بما فيه من دين سمح ، ولغة غنية بمفرداتها ، وادب يصور نبضات القلوب ، وتصوف وتامل ، وفلسفة عميقة ، ومن حكم وتشريعات سامية .. ثم جمع هؤلاء العلماء خلاصة ابحاثهم فى كتاب

---

(١) ٢٥٣ صفحة قطع كبير ــ ٥٥ قرشا . دار المعارف بمصر .

جامع ، فأخرجوا ((دائرة المعارف الإسلامية)) باللغات الانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، واشرف على تحريرها الاتحاد الدولى للمجامع العلمية ..

وقد تولى الاساتذة ابراهيم زكي خورشيد،واحمد الشنتناوى ، والدكتور عبد الحميد يونس ، مهمة ترجمة واعداد هذه الدائرة لقراء العربية ، حتى تصبح مرجعا لهم يجدون فيه التراث الاسلامى مرتبط الحلقات ، متماسك الاطراف .. وصدر الجزء الاول منها أخيرا فى طبعة جديدة دورية (١) ، على أن تصدر الاجزاء التالية منها تباعا ..

انيس منصور .. حول العالم

● وفى ((أدب الرحلات)) صدرت الطبعة الجديدة(الخامسة) من كتاب أنيس منصور « حول العالم فى ٢٠٠ يوم » (٢) الذى فاز بجائزة الدولة التشجيعية ، وهو مصدر بمقدمة للدكتور طه حسين . وفيه ترافق أنيس فى « رحلة العمر » ، كما وصفها هو، من القاهرة الى الهند ، والسلام ، والافاعى ، وعبادة الابقار .. الى بيت عرابى فى (كاندى) ، الى اندونيسيا وجزيرة النهود العارية (بالى) .. الى استراليا قارة الصحة والكنجارو والمال والمستقبل .. الى الفيلبين التى ترقص نهارا لكل السائحين .. الى هونج كونج جزيرة الابتسام والفساتين المشقوقة .. الى اليابان حيث اللؤلؤ والجيشا وكل شيء صغير .. الى الجنة الحمراء فى جزيرة هاواى ، حيث البراكين والاناناس وبنات الهولا فى ظل القمر تحت أشجار جوز الهند .. الى امريكا نصف العالم الجديد والسيارات الفخمة والشوارع الجميلة والكواكب والسرعة والملايين من أصحاب الملايين .. الى أوربا نصف العالم المتحضر .. الخ



---

(١) كل جزء ٨٠ صفحة . حجم كبير - ١٠ قروش . دار الشعب .

(٢) ٦٤٧ صفحة . قطع كبير - ١٢٥ قرشا . دار المعارف بمصر .

الجديد فى الطب

زرع الشعر فى الرءوس الصلعاء !

نشرت مجلة («اسبوع) السويدية التى تصدر فى ستوكهولم فى احد اعدادها الاخيرة ، تفصيلات وصورا مثيرة عن نجاح التجارب التى اجراها استاذ الجراحة المساعد فى جامعة ستوكهلم البروفيسور الدكتور « لارس انجستراند» Lars Engstrand لزرع الشعر فى الرؤوس الصلعاء، واسى استطاع بها استنبات الشعر فى رؤوس ٢٤٠ شخصا ، مضى على سقوط شعر بعضهم عشرون عاما !

وفيما يلى الخص لك اهم الحقائق التى تضمنها حديث البروفيسور ((انجستراند)) فى المجلة المذكورة :

١ – ان الصلع لايكاد يصيب غير الرجال ، فهو نادر جدا فى النساء . وان لاصلة له بالشيخوخة ، فهو يصيب الشباب مما يصيب الشيوخ . ولا صحة للزعم بأن له صلة بارتداء الرجال للقبعة (او الطربوش) ، وقد استنتج البعض هذا الزعم من ان الشعر يسقط عن ((قبة)) الراس ، (التى تغطيها القبعات عادة) ولا يسقط عن جوانب ومحيط الراس الدائرى .

٢ – والتعليل الصحيح لسبب سقوط الشعر ، هو ان ((قبة)) الراس وحدها هى البقعة التى تكسو فيها الجمجمة (تحت الجلد ، وفوق العظم مباشرة) طبقة من الغشاء الأبيض المسمى ب ((الصفاق)) ، والذى يغلف العضلات التى تحت الجلد ، ويثبتها فى عظم الجمجمة. والنساء لايصبن بالصلع لان هذا الغشاء عندهن يظل مدى الحياة رقيقا ، يسمح للدورة الدموية بأن تتخلله الى الطبقة التالية له التى ينبت فيها الشعر ، وبذلك يغذى الدم جذور الشعر مدى الحياة .

٣ – أما عند الرجال ، فان هذا الغشاء الذى يكسو الجمجمة فى منطقة ((قبة)) الراس ، يصاب احيانا بازدياد فى سمكه وكثافته ، فيعوق وصول الدم الى جذور الشعر لتغذيتها ، وهكذا يضعف الشعر رويدا رويدا حتى يسقط نهائيا .

٤ – والعاملان اللذان يسببان – متضامنين – ازدياد سمك الغشاء المذكور ، هما : الوراثة ، وازدياد افراز هرمونات الجنس عند الرجل. ومن هنا يحدث احيانا للشباب (حتى فى سن العشرين) ان تزداد كثافة شعر اللحية (الذقن) ، ويسقط شعر الراس ، فى وقت واحد ، ونتيجة لسبب واحد ، هو ازدياد افراز هرمونات الجنس عند الشاب عن المعدل



الاخصائى السويدى البروفيسور « لارس انجسترائد »، يجرى عمليــة زرع الشعر لاحد مرضاه ، والى يمينه مساعدته الممرضة وفى أقصى يمــين الصورة زوجة المريض وفوق رأسها عنوان التحقيق الصحفى الذى أجرته مجلة «الاسبوع» السويدية مع الطبيب

الطبيعى • ومعـــروف أن افــراز الهرمونات فى سن العشرين يزيد عنه فى سن الثلاثين ، وهذا بدوره يفوق الافراز فى الاربعين وهكذا . فاذا اجتمعت زيادة الافراز وعنصر الوراثة عند شخص ، كان عرضة لزيادة سمك غشاء الجمجمة ، وبالتالى لتناقص تغـذية جذور الشعر بالدم ، ثم الى سقوط الشعر فى خلال سنوات معدودة .

٥ – ولكن اذا تجاوز الرجـل مرحلة زيادة افرازات الهرمونات دون أن يتكثف غشاء جمجمته ، بحيث احتفظ بشعره حتى سن ٥٠ أو ٥٥ ، فلن يسقط شـعره بعد ذلك مهما بلغ من العمر !

٦ – أما النســاء ، اللواتى لايفـرزن هرمونات ، فلا يتكثف غشــاء جماجمهن على الاطلاق ، ومن ثم لايتعرضن لسقوط الشعر ، الا فى حالات نادرة ، اذا أصيبت جذور الشعر بالتلف من اساءة استعمال أدوات لف الشعر عند الحلاقين .

٧ – واذا بدأ شعر الرجل فى السقوط ، فيمكن ايقاف سقوطه بواسطة جراحة جذرية فى جلدة الرأس (الفروة) ، لانقاص تمدد الفروة ، وهى جراحة تستغرق ٤٥ دقيقة ، ويكفى فيها التخدير بالبنج الموضعى ، وفيها يفصل غشاء الجمجمة عن الجلدة التى تعلوه ، ثم يشق الغشاء على شكل حرف (ت) الافرنجى لمسافة ١٦ سنتيمترا ، وهذه الجراحة تنجح فى ٧٠ – ٨٠ فى المائة من الحالات فتنقذ الشعر الباقى من السقوط ولا تكلف سـوى ٣٣ جنيها ، ويكفى شق فروة الرأس بطـول سـنتيمترين اثنين فقـط لمرور

الاداة التى تحدث الجــراحة المذكورة فى الغشاء .

٨ ـ أما بعد سقوط الشعر كلية فلا يبقى غير حل واحـد جذرى ، هو زرع الشعر فى الرأس من جديد ، وهى عملية تنجح فى ٩٨ فى المائة من الحالات ، ولا يعود الشعر بعدها الى السقوط . لان عمليـة زرع كل نبتة شـعر جديدة تقتضى ثقب غشاء الجمجمه فى موضعها ، فلايعود الغشاء فى موضع الثقب يعوق وصول الدم الى جـذور الشـعر الجـديد باستمرار ..

٩ ـ والطريقة التى زرع بها البروفيسور ((انجسـتراند)) الشـعر لنحو ٢٤٠ شـخصا ، تتلخص فى أن يتاكد اولا من أن فى عنق الشخص الاصلع مساحة تتراوح بين ٦ ـ ٨ سنتيمترات ، ذات شعر لاتقل غزارته ونموه عن المتوسط الطبيعى (اى لايكون الشعر نحيلا وضعيف النمو) . وبعـد ذلك يجرى له العمليـة بالمخـدر الموضعى (ولكن فى ظل تعقيم تام) ، فيحلق شعر العنق فى المساحة المطلوبة ، ثم ينتزع نحو ٢٥٠ شريحة من الجلد ، بشعرها ، بحيث يكون قطر كل شريحة بين ٣ ـ ٤ ملليمترات ، وطولها بين ٦ ـ ٧ ملليمـترات ، فاذا زاد القطر ملليمترا واحدا عن ذلك ، تموت جذور الشـعر فى وسـط الشريحة .. ثم تبرد الشرائح الى درجة معينة ، للاحتفاظ بحيويتها وتستغرق هذه المرحلة من العملية نحو ساعة ونصف ساعة .

١٠ ـ ثم يخيط الجراح اطراف الجروح الجلدية فى العنق بارق خيط من النيلون ، ويرش عليها طبقة من البلاستيك المعقم ، ثم يغطيها بشريط معقم ، (ولا يظهر اثر للعملية بعد التئام الجرح ، سوى خط رفيع عرضه ملليمتر واحد ، لايلبث الشعر الباقى ان يغطيه) . وبعدئذ تبدأ المرحلة الثـانية بأن يثقب الجـراح فى الرأس الاصلع ثقوبا تخترق الطبقة الخارجيـة للجـلد ، والطبقـة الداخلية ، ثم غشاء الجمجمة .. ثم يزرع فيها شرائح الجلد والشعر المنتزعة من العنق . ويسـتغرق زرع ٢٥٠ شريحة فى الثقوب نحو ساعتين ونصف ساعة ، تراعى فيها الدقة فى سـد الثقـوب تماما بالشرائح المستعملة ، بحيث لايبقى بعدها فى الثقوب اى فراغ .. وبعد ذلك تغطى المساحة المطلاء بطبقة من البلاستيك المعقم ، وعدة طبقات من أشرطة الجراحة المعقمة

١١ ـ ويستعمل الجراح وهو يجرى هذه العملية نظارة مكبرة ، تكبر الرؤية اربعـة اضـعاف ، وتبقى الاشرطة المعقمة على الرأس بضعة أسابيع ، لمنع تلوث الثقوب أثناء نمو الخلايا وتلاحم الشرائح مع جلد الرأس ، وبعد نحو ثلاثة اشهر (هى التى تحتاجها الغدد الدهنية وغدد العرق كى تتاقلم فى محيطها الجديد) ، يبدأ الشعر الجديد فى الظهور من تحت الجلد (وخلال هذه المدة يضع البعض على رؤوسهم شعرا مستعارا) ، وبعد نحو عام آخـر يبلغ طول

الشـعر عشرة سـنتيمترات ، (فمعدل النمو الطبيعى للشـعر هو نصف ملليمتر كل ٢٤ساعة) ، وتحتاج أعصاب الجـلد الى ٩ أشهر من تاريخ العملية كى تألف الوضع الجديد ، وتنال القسط الكافى من الراحة .

١٢ ــ ويراعى الجراح فى انتزاع الشرائح من جلد العنق أن تحتوى كل شريحـــة على نحو ٥ ــ ١٥ شـعرة ، بجذورها ، واذا كان الراس كامل الصلع فانه يحتـاج الى ٣ عمليـــات ، وأحيـــانا الى أربع ، تجرى خلال مدة تتراوح من ٥ ــ ٦ أسابيع ، يزرع فيها من ٧٥٠ ــ ١٠٠٠ شريحة .

١٣ ــ وفى ذرع الشعر لايوجد أى احتمال لرفض الجسم للخلايا والانسجة الجديدة المزروعة فيه ، (كما يحـدث فى ذرع الـكلى ، والقلوب) ، لان الانسجة فى هذه الحالة تنقل من جزء الى جـزء آخر من نفس الجسم ، فى نفس الشخص . وينبغى أن لايستعمل الشخص الذى زرع له شعر جديد أى مسـتحضر من الشـامبو أو الكريم ((المضاد لقشور الرأس)) فانها تحوى مواد تزيد من افراز الدهنيات وتسبب سقوط الشعر ، ويكتفى باستعمال نوع عادى من الشامبو البسيط المعد لغسـل الشعر فحسب .

١٤ ــ ويقـرر البروفيسـور ((انجستراند)) فى ختام حديثه للمجلة بأنه بدأ يمارس عملية شق غشاء الجمجمة (للاحتفاظ بالشعر الباقى لمن بدأ شعرهم فى



سائق القطارات«هارى بروليند» (٥١ سنة) • كان أصلع الرأس منذ ٢٠ سنةحين أجرى لهالبروفيسور « انجستراند » منذ عامعمليتين زرع له فيهما ٤٠٠ شريحة شعر من عنقه فلم يلبث أن نبت شعره كما ترى فى الصورة الاخرى لرأسه بعد مضى عام •



رأس السائق « هارى بروليند » كما بدت بعد عام من العملية ، وقد نما شعره حتى بلغ طوله ١٠ ــ١٢ سنتيمتر !

السقوط) منذ عام ١٩٦١ ، وقد أجرى نحو ١٢٠٠ عملية من هذا النوع ، نجحت منها نسبة ٧٠ـ٨٠ فى المائة ، اذ احتفظ أصحابها ببقية شعرهم بعد أن توقف سقوطه ، ومنذ عام ١٩٦٤ بدأ البروفيسور يمارس عملية زرع الشعر لذوى الصلع الكامل ، وقد بلغ عددهم ٢٤٠ شخصا ، منهم عدد ضئيل من النساء ، وقد زرع لهؤلاء حوالى ٢٦٠ الف شريحة ، ونجحت نسبة ٩٨ فى المائة من هذه الحالات .. ولم تفشل سوى الحالات التى كان شعر العنق فيها نحيلا ، ضعيف النمو ..

١٥ ـ وتبلغ تكاليف زرع ٢٥٠ شريحة ، مبلغا يتراوح بين ١٢٥ ـ ١٤٥ جنيها ، تضرب فى ثلاث أو اربع مرات اذا كان الصلع كاملا بحيث اقتضى ٣ ـ ٤ عمليات . ومما هو جدير بالذكر ان سلطات التأمين الصحى فى السويد تساهم فى نفقات هذه العمليات اذا أصاب الصلع شبانا فى مقتبل العمر .

ومن يعش يره !



شريحتان من جلد العنق قبل زرعهما فى الرأس الاصلع ، وهما مكبرتان ٣٠ ضعفا ، وترى كل شعرة داخل كيسها الذى يخترق ٣ طبقات من جلد الرأس عند زرعها . وفى أسفل كل شعرة جذرها ، وفى الجذر توجد خلايا المادة الملونة للشعر ، الخضاب » ، فاذا توقفت هذه الخلايا عن العمل يدرك الشعر الشيب ويصير ابيض

الفن المعاصر

« ابوللينر » .. وملهماته !

* احتفلت الدوائر الفنية فى كافة أنحاء العالم أخيرا بذكرى انقضاء ٥٠ عاما على وفاة الناقد الفنى والشاعر الفرنسى المعروف « أبوللينر » (واسمه الكامل « جيوم (وليم) أبوللينير »)



((أبوللينير)) فى عـــام ١٩٠٨ ، بريشة صديقته «ماري لورينسان»

الذى يعد من أشهر فنانى الطليعة . وتخليدا لذكراه نظم « معهـــد العلوم المعاصرة » مهرجانا ومعرضا للمستندات والصور والرســـوم واللوحات التى تتابع حياة وأعمال هذا الفنان الذى بلغت شـــهرته أبعادا تكاد تكون أســـطورية .. فقد كان من أبعد الفنانين نظرا فى باريس ما قبل الحرب العالميـــة الاولى ، وساهم بنصـــيب فعال فى الاحداث الفنيـــة لعصره ، فكتب بانفعال عن شتى المدارس الجديدة للفنون التشكيلية التى لاحت فى الجو يومئذ ، ولعله كان آخـــر ذلك الجيل من عمالقة تلك الحقبة من القرن العشرين ، بحيث يمكن القول أن العالم لم ير بعده ناقدا فنيـــا آخر فى مثل حيويتـــه ، وحماسته ، ومستوى مواهبه ..

وقد مات ((أبوللينير)) ســـنة ١٩١٨ فى عامه الثامن والثلاثين ، فى قمة تفوقه ونبوغه ، وترك وراءه عـــددا من الكتابات الهـــامة « والجريئة » التى ما تزال تعتبر أكثر تحررا حتى بالنسبة لأذواقنا المتحررة المعاصرة . ومن محتويات المعرض والمهرجان نسخ من جريدة (ليـــالى باريس) التى كـــان يحررها ، وكذا صور جميع النساء اللواتى وجه اليهن أشعاره الغزلية ومنهن : (مارى) البلجيكية ابنة صاحبة المقهى .. و (آنى بليدن) المربية الانجليزية التى تبعها عبر القناة الانجليزية (بحر المانش) الى بلادها ، بلا جـــدوى .. ثم (مارى لورينســـان) التى كانت له معها علاقة عاصفة اســـتمرت خمســـة أعوام .. و « لويز دى كولينى » أو « لو » التى التقى بها فى احدى ســـهرات تعاطيه الافيون فى مدينـــة (نيس) ..



ابوللينير

و « مادلين باجيس » التى التقى بها فى قطار وغازلها بخطاب ارسله اليها من خنادق ميدان الحرب .

ومن اشهر كتب ابوللينير كتاب (الرســـامون التكعيبيون) الذى نشره عام ١٩١٣ ، وتناول فيــه فن كل من (بيكاســـــو) ، و (براك) ، و (ديشون) او (ديشامب) ، وخليلته الفنـانة (مارى لورينسان) .

مارسيل ديشون

* ومن المصادفات العجيبة ان الفنان (ديشون) هذا الذى كان معاصرا لابوللينير (واسمه الكامل مارســـيل ديشون) قد عـــاش خمســين عاما كاملة بعد زميله ، وانه توفى (عن ٨١ عاما) اول اكتوبر الماضى ، قبل اســـابيع معدودة من الذكرى الخمســينية لابوللينير .. وقد اشتهر ديشون بالسخرية « الباردة » من الحياة ، والتحصن ضد الغرور ، ومقاومة كل المحاولات التى بذلت لتمجيده كبطل لحركة الطليعة الجـديدة . كما يعد صاحب اعظم تاثير لفرد واحـــد على تطور فنون القـــرن العشرين .

وقد كان هجره للرسم ، وهو فى قمة نجاحه ، عملا خـارقا من اعمال الشجاعة . وفى ١٩١٢ رسم سلسلة من اللوحات العارية تعـد تتويجا لتجارب المدرستين التكعيبية والمستقبلية . كما تعد لوحتـــه « الكاس الكبيرة » التى بداها فى ١٩١٥ ولم يتمها ، اعظم «اسطورة» هندســـية للقـــرن العشرين ، و « مفتـــاحا » يقاس به الفن الحديث .

مهرجان لعصر « الباروك »

* اقيم فى مدينة (بولونيا) بايطاليا « البينالى » السابع والاخير من سلسلة المهرجانات المخصصـة لفن الرسم فى عصر الباروك ، وقد خصص هذا البينالى لاعمـال الفنان الايطالى (جيوفانى فرانشســـكو باربييرى) (١٥٩١ ـ ١٦٦٦) المعروف بلقب (ايلجورستينو) . ومن اشهر لوحاته (الضرب بالسياط) التى تعبر عن عقوبة الجلد بالسياط كعقاب دينى فى عصور اضطهاد الوثنيين للمسيحية .

الجديد فى العلم

الاتصال التلفونى بالعقل الالكترونى !

اذيع فى مؤتمر صحفى عقده فى الاسبوع المـاضى الســفير الايطالى « كاتانى » والمهنـدس « بترامى » فى ميلانو بايطاليا ، نبا علمى يقارنه العلماء من حيث الاهميـة بانتشار الكهرباء فى اوائل هـذا القرن ،

ويتلخص النبأ فى أن هذا العام سيشهد انتشار الاجهزة الالكترونية للمعلومات التى تسمح للسامع بأن يتصل تليفونيا بالعقل الالكترونى بدون تدخل انسان، عن طريق جهاز « تايم شيرنج » الذى سيخصص لانتاجه هذا العام مبلغ ٣٥ مليون دولار لأوربا وحدها . ولا يوجد منه الآن غير ١٢ جهازا تخدم ١٤ دولة .. لكنه سوف يعمم فى المدن الصناعية والمعامل الخاصة بل وفى اماكن الاقامة بحيث يستطيع الجميع التحدث مع العقل الالكترونى عن طريق جهاز يركب فى التليفون !

الذرة عند ابن سينا والفارابى

● اذاع الباحث العربى الاستاذ نقولا شاهين ، أستاذ الفيزياء السابق بجامعة بيروت الامريكية سلسلة أحاديث علمية فى راديو لندن بعنوان « الانسان والذرة » ، بسط فيها للجماهير كل ما يتصل بنظرية الذرة منذ ان عرفها الاغريق الى اليوم . ومن اهم ماجاء فيها أن الفيلسوف اليونانى « ديمقريطس » كان أول من توصل (فى القرن الرابع قبل الميلاد) الى الجذور الاولى لنظرية الذرة .. لكن أرسطو رفض الفكرة ولم يسلم بها .. ثم جاء مفكرو العرب وعلى



ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧) ،



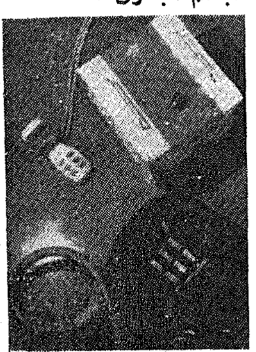
أبو النصر محمد الفارابى « ٨٧٣ – ٩٥٠ » كما تخيله رسام تركى فى احدى خلواته الذهنية .

وقد أيد الفارابى فى الاخذ بنظرية « الفيض » التى تقول ان الذرة هى العنصر الاساسى فى تكوين الاجسام

راسهم الفارابي وابن سينا ، فاقتنعا بأن الذرة هي العنصر الاساسي في تكوين الاجسام ..الخ ثم طوى النسيان الابحاث الذرية الاولى حتى أوائل القرن ١٩ حين استأنفها العالم الانجليزي (جون دالتن) .

(والبحث طويل وممتع ، لكن مجاله المجلات العلمية المتخصصة ، فنكتفي منه بهذه الاشارة الى نصيب مفكري العرب من الابحاث الذرية) .

جهاز تكييف للجسم البشري !



آخر صيحة في الاكتشافات العلمية جهاز «الهيبوثيرم» وهو جهاز تكييف صغير للجسم البشري ، يمكن حمله ويعمل بالترانزستور ، ويستطيع أن يشيع البرودة أو الدفء في أي جزء من الجسم ، من درجة ٢٠ مئوية تحت الصفر حتى درجة ٥٠ فوق الصفر .

وقد انتجه علماء الطبيعة في « أذربيجان » وتم اختباره في معهد الجراحة التجريبية والاكلينيكية في موسكو . ويقول بوريس بتروفسكي عضو الاكاديمية العلمية السوفيتية أن الجهاز سيساعد في تسهيل اجراء جراحات القلب .

الفيلم المعاصر

« رباعية الاسكندرية » تتكلف ١٠ مليون دولار !

● يكاد العمل ان ينتهي في هوليوود في اخراج فيلم من أضخم الافلام الحديثة تكلفة ونفقات ، وهو فيلم ((جوستين)) المقتبس عن الرواية الاولى من الروايات الاربع الطويلة التي كتبها الروائي الانجليزي المعاصر ((لورانس داريل)) بعنوان (رباعية الاسكندرية) .. وقد استوحاها من حياته في عاصمة مصر الثانية قبيل الحرب العالمية الثانية ، حيث كان يعمل مدرسا للغة الانجليزية في احدى المدارس الثانوية بالاسكندرية . وكان يقيم



أنوك ايميه (جوستين) مع ديرك بوجارد (الدبلوماسي البريطاني) الذي يلتقي بها ، لكن عاطفته نحو شقيقته العمياء تقف حائلا بينهما !

في حي ((اللبان)) ، ويختلط بالعامة من أفراد الشعب ، وبالغانيات ونساء الهوى من الاجنبيات المتمصرات . ومن هنا جاءت شخصيات رواياته الاربع خليطا من المصريين والاجنبيات .

وتقوم ببطولة الفيلم النجمة الفرنسية الصاعدة ((آنوك ايميه)) ـ بطلة فيلم ((رجل وامرأة)) ـ في دور ((جوستين)) ، المتزوجة من ثري مصري يدعى ((نسيم)) ، بينما تؤدي النجمة الدنمركية الشهيرة ((آنا كارينا)) بطلة فيلم ((الراهبة)) الذي اثار ضجة في فرنسا دور راقصة الكباريه ((ميليسا)) ، ويؤدي ((جون فيرنون)) دور ((نسيم)) و ((ديرك بوجارد)) دور الدبلوماسي البريطاني الشاب الذي تسيطر عليه عاطفة شاذة نحو شقيقته العمياء ، فيقول لأنوك ايميه ((حين تتزوج اختي ، سأقتل نفسي)) !

ويتولى اخراج الفيلم المخرج العالمي ((جورج كوكور)) ، الذي اخرج فيلم ((سيدتي الجميلة)) ، ومن قبله اخرج أشهر أفلام جريتا جاربو (غادة الكاميليا) ، وكاترين هيبرن ، وايفا جاردنر (التي كانت مرشحة لدور جوستين) ثم اودري هيبرن .

وقد استغرق انتاج فيلم جوستين ٨ سنوات ، (ولعلها أطول مدة استغرقها فيلم في العالم !) ، ويرجع ذلك الى ان السيناريو اعيدت كتابته ٨ مرات ، بواسطة كتاب مختلفين ، حتى امكن الحصول على سيناريو يحتفظ بروح المؤلف وجو الروايات الاربع للرباعية . وقد دفع لكتاب السيناريو الثمانية ٧٠٠ الف دولار ، كما تقاضى مؤلف الرباعية ٥٠ الف دولار ، كحقوق تأليف ،

وهكذا بلغت نفقات الفيلم كلهـا عشرة ملايين دولار ! .. ويقيم لورنس داريل مؤلف الرباعية منذ عام ١٩٥٧ فى مدينـــة (نيم) بفرنسا ، بعد ان أذاعت الرباعية صيته واصابه الثراء العريض .

وقد اختيرت ((أنوك ايميه)) لدور جوستين لان أنوثتها الطاغية التى لفتت الانظار فى ((رجل وامرأة)) رشحتها لدور الزوجة المغـامرة التى يفوح من حيـــاتها عطر الحريم .

وقد صورت المناظر الخارجية للفيلم فى تونس ، وتتلخص قصته فى أن جوستين قد نشأت منذ سن ١٢ سنة فى جو بنات الهوى ، وحين تتزوج فيما بعد من الثرى المصرى ((نسيم)) تعترف له : ((كنت وأنا مراهقة امنح نفسى للرجال مقابل كأس من النبيذ ، وأحيـــانا مقـــابل ((بلوزة)) رخيصة ! .. وحين غدا حسى مرهفا صرت أطلب تذكرة مقعد فى الاوبرا !))

وتعـلم جوستـين ان زوجهـا يهرب الاسلحة لمحـاربة الانجليز الذين يستعمرون بلاده ، وتخشى عليـه من مغبة ذلك ، فتمنح نفسها لكل من تتوسم فيه أملا فى انقاذ زوجها من مصيره ، أو التجسس على خصومه للحيلولة دون القبض عليه .. وفى أثنـاء



الشاعر دارلى (ميشيل يورك) ينقذ الراقصه ميليسا (انا كارينا) التى اعتدى عليها البحارة السكارى فى احد شوارع الاســــكندرية

ذلك تتورط فى مغامرة مع شاعر انجليزى يدعى دارلى – ويؤدى دوره الممثل الصاعد ميشيل يورك – فتصحبه فى رحلة الى الريف المصرى كى تحصل منه على معلومات لمصلحة زوجها الذى تحبه .. وعلى شاطىء بحيرة تبهره بحسنها حين تخلع ثيابها وتلقى بنفسها الى الماء عارية ! .. ثم تسخر من حيائه حين يصر على الاستحمام مرتديا البنطلون ((الشورت)) ، لخجله من العرى الكامل . وهنا يسلط المخرج ((كوكور)) الكاميرا على قبلة ملتهبة من انوك ايميه للشاعر الخجول .. لكنهما يفيقان من قبلتهما على ضوء انعكاس الشمس عليهما من مرآة تلسكوب يراقبهما بها زوجها نسيم من غرفة بعيدة تطل على البحيرة !



((أنوك ايميه)) وميشيل يورك فى مشهد غرامى من فيلم (جوستين)

اما راقصة الكباريه ميليسا – آنا كارينا – فيطاردها البحارة السكارى فى شوارع الاسكندرية حتى تخر منهارة ، عرضة للموت ، لو لم يخف لنجدتها الملحق الفرنسى (فيليب نواريه) ، ثم ينقلها الشاعر دارلى (ميشيل يورك) الى مسكنه المتواضع . انها الوحيدة التى تستطيع بواسطة صلاتها العديدة بكبار الشخصيات ان تكتشف أسرار المؤامرة ضد الزوج ((نسيم)) .

لكنها تقع فى هوى الشاعر ، فبفضله تسترد – وهى العاهرة – اعتبارها وكبرياءها كامرأة ، وتحاول ان تثيره ضد جوستين ، وتشعل جذوة رغبته فيها : ((هب انني جوستين . اشرح لى أفانين سحرها ومطارحتها الهوى . أن



النجمة الدانمركية ((أناكارينا)) (الراقصة ميليسا) مع أحد عشاقها الاجانب العابرين ، وهو يرتدى طربوشا .. !!

النساء كلهن ، في الظلام ، سواء !))

ويجيء أوان تصوير مشهد آخر من مشاهد الغرام العنيف ، في الفراش ، بين أنوك أيميه وميشيل يورك ، فنرى المخرج كوكور يصدر اليهما تعليماته ، وهو يشرب القدح العاشر من القهوة في يومه : ((ينبغى أن تشترك شفاهكما وأسنانكما وأظافركما .. كلها لا بد ان تشارك في تصوير هذا الغرام المجنون !)) .. وينفذ النجمان تعليماته ، فيجيء مشهد تلاحم الجسدين لوحة فنية ..

وتقابل جوستين الشاعر في مخدعه ، ويتبادلان الحب ، لكنها تصارحه بأن عواطفها الحقيقية مع زوجها ، الذى فشلت المؤامرة ضده ، وانهما سيسافران الى سويسرا لينجوا بنفسيهما من الخطر .. فيسألها الشاعر متوسلا : ((اذن فأنت لم تبادليني أدنى عاطفة حقيقية ؟!)) .. فتجيبه : ((في لحظات ، كنت — ببساطة — أعبدك))

وهى اجابة — في نهاية الفيلم — تكشف عن دخيلة قلب جوستين ، ودخائل قلوب كثيرات من النساء !

المسرح المعاصر

المسرح العارى في امريكا !

يبدو ان المسرح يتجه الآن الى منافسة السينما في الميدان الذى تخصصت فيه أخيرا وهو استغلال الاجسام العارية الجميلة ، الذى أصبح قاسما مشتركا في اغلب أفلام الاعوام الاخيرة .. فقد لوحظ أن عددا من المسرحيات الامريكية الجديدة أخذت تلجأ الى اسلوب الاجسام العارية على خشبة المسرح ، ولعل مسرحية ((ايروس الحلو)) Sweet Eros

— نسبة الى ايروس اله الحب والجنس عند الاغريق — اصدق نموذج لهذه الموجة الجديدة من مسرحيات العرى في امريكا ، التى يعتبرها النقاد بمثابة ((ثورة مسرحية)) . ويقول ((تيرنس ماكنالى)) مؤلف مسرحية ايروس الحلو انه يعتقد ان ظهور أبطال المسرحية عراة لا يكون مناسبا الا اذا كان مقنعا من الناحية



مشهد من مسرحية «الاوز»

الدرامية ، لا لمجرد الاثارة والاغراء .. أما سام بليزر الذى يقوم ببطولة مسرحية أخرى عارية هى ((ديونيســـوس فى عام ٦٩))
Dionysus in «69»
فانه يرى ان هناك لحظات يكون فيها العرى على المسرح منطقيا حقا ، على ان يتم ذلك بصورة بالغة الجدية ، وان يستهدف دعم بنيان المسرحية ، لا كطعم لاجتذاب المتفرجين .

وقد بلغ من اقبـال الجمهور على هذا النوع من المسرحيات ان احداها وهى مسرحية ((الاوز)) Geese بلغت ثمن التذكرة فى المقـاعد الامامية فيها عشرة دولارات !



((فالـيرى فرتـش)) فى دورها بمسرحية (عشيق الام)

٧٠ عاما على تأسيس فرقة ستانسلافسكى

● احتفلت الدوائر الفنية فى الاتحاد السوفيتى بالعيد السبعين لانشـــاء الفرقة المسرحيـة ذات الشهرة العالمية ، المعروفة باسم ((مسرح موسكو الفنى)) ، التى أسسها منذ ٧٠ عاما رائد التمثيل والاخراج فى روسيا ، وصـاحب أشهر مذهب و ((مدرسة)) للفنون المسرحيـة الـدرامية فى العصر الحديث : ((ستانسلافسكى)) .

وكان ستانسلافسكى قـد شرح أهداف الفرقة فى أول اجتماع لها ، بقوله : ((ان المهمة التى اخـذناها على عاتقنا هى مهمة اجتماعية فى المقام الاول ، وليست مشروعا تجاريا ، فلا تنسوا ان هدفنا هو ان ندخل النور والبهجة على الحياة المظلمة التى يعيشها الفقراء ،ونتيح لهم بعض اللحظات السعيدة من المتعة ، عن طريق تذوق الفن والجمال .))

وكانت تلك نقطة الانطلاق الى اصلاح شامل لمفهوم الفن المسرحي فى العالم .

ولمولد الفرقة قصة طريفة : فذات يوم تلقى ستانسلافسكى من المثقف الروسى ((دانشـينكو)) دعوة لتناول الغداء معه فى أحـد مطاعم البازار — سوق المدينة — فالتقيا ، عن غير سـابق معرفة شخصية أو صداقة ، واستمر اجتماعهما لمدة ١٨ ساعة متوالية ، من الثانية ظهرا ، حتى الثامنة من صباح اليوم التالى ، وفى تلك

((الجلسة)) ، وضعا أساس مشروع الفرقة ، التى تزاملا فى ادارتها منذ ذلك التاريخ ، لمدة ٤١ عاما بلا انقطاع !

وكانت أول رواية مثلتها الفرقة ، ورفع عنها الستار للمرة الاولى فى مساء ٢٧ اكتوبر ١٨٩٨ ، هى مسرحية ((أليكسى تولستوى)) المعروفة باسم ((القيصر فيودور ايوانوفتشى)) .. ومن أشهر الروايات التى مثلتها الفرقة خلال السبعين عاما التى انقضت من عمرها حتى الآن ، هذه الروائع : الشقيقات الثلاث (تشيكوف) ــ الحضيض ، أو الاعماق السفلى (جوركى) ــ مارى ستيوارت (شيللر) ــ بستان الكرز (تشيكوف) ــ الاخوة كارامازوف (دستويفسكى) ــ الاعداء ، وييجور بوليشوف (جوركى) ــ المفتش العام (جوجول) ــ أوراق بيكويك ، ودومبى وابنه (تشارلس ديكنز) ــ زواج فيجارو (بومارشيه) ــ أنا كارنينا (تولستوى) ، وقد اعجب بها الاديب الفرنسى ((رومان رولان)) أثناء جولة الفرقة فى باريس ، فصعد الى الكواليس ليهنىء مخرج الفرقة وممثليها .

وقد عادت الفرقة أخيرا من جولتها فى اليابان ، وفى خلال السنوات الماضية التى انقضت منذ وفاة مؤسسها العظيم ستانسلافسكى ، قامت بجولات فى : الولايات المتحدة الامريكية ، النمسا ، بلغاريا ، تشيكوسلوفاكيا ، بريطانيا ، فرنسا ، المجر ، بولندا ، رومانيا ، يوغوسلافيا . وفى كل مكان كانت تقابل بترحيب واقبال منقطعى النظير . حتى فترات الصمت أثناء التمثيل يحسها المتفرج تنبض بخفقات القلوب

وقد اخرجت الفرقة حتى الآن ١٩٧ مسرحية ، من روائع الدرامات العالمية .

ولى عهد بريطانيا يمثل على المسرح !

هل تعرف من هو أغلى ممثل كوميدى فى انجلترا اليوم ؟ أنه ولى عهدها (الامير تشارلز) الذى اقبلت الجماهير على مشاهدة أدوار البطولة التى يمثلها مع فرقة كليته ، حتى ارتفع ثمن التذكرة فى السوق السوداء من ٤ شلن الى جنيهين ، أى ١٠ أضعاف ! ومن أشهر الادوار التى مثلها أخيرا دور ((شرلوك هولمز)) (الذى تراه فيه فى هذه الصورة)




بمناسبة
.. وغير
مناسبة
بقلم
المحرر

أثمن عشر لوحـــات فى العـــــالم !


جنيفرا = ٣ ملايين جنيه !

عزيزى القارىء ..

● قوبلت محاولة تشويه ثلاث من لوحات المعـرض الفرنسى الذى اقيم فى القاهرة أخيرا باستنكار شـديد وامتعاض بالغ ، فى سائر الدوائر الفنية والادبية ..

فقد كان المعرض يضـم مجمـوعة من أندر وأقيم ما أبدع الرسـامون الفرنسيون من لوحات ، دقق القائمون على المعرض فى انتقـائها كى يتمتع بمشاهدتها جمهور القاهرة من محبى الفنون ودارسيها .. وفى العام الماضى ، سرقت من احد متاحف القـاهرة لوحة من ريشة الفنـان الخالد « روبنز » ، ثم عثر عليها فى اليوم التالى مخبأة فى ارض مهجورة بضاحية الهرم ، وقيل يومئذ ان قيمتها قدرت بثلث مليون جنيه ..

وبهذه المناسبة ، لعلك تحب أن تقرأ معى هذا الاحصاء الطريف لاثمن عشر لوحات فنية فى العالم ، وقيمة كل منها ، واسم الفنان الذى أبدعها ، ومكانها وحائزها الحالى ، والجهة أو الشخص الذى باعها اليه :

● اللوحة الاولى : جنيفرا ، للفنان ليوناردو دافنشى

وقد اشتراها متحف ((ناشيونال جاليرى)) بواشنطون، فى عام ١٩٦٧ ، من أمير ليشتنشتاين الاوربى ، بمبلغ يساوى ٣ ملايين و ١٢ الف جنيه استرلينى .

● **اللوحة الثانية : ((أرســطو)) يتأمل تمثال هوميروس ، الفنان رمبرانت**

وقد اشتراها متحف متروبوليتان بنيويورك ، فى عام ١٩٦١ ، من مجموعة ((اريكسون)) بالولايات المتحدة ، بمبلغ مليون و ١٥٠ الف جنيه استرلينى

● **اللوحة الثالثة : صورة ((تيتوس)) ، الفنان رمبرانت**

وقد اشتراها المليونير الامريكى نورتون سيمون ، فى عام ١٩٦٥ من اللورد فرانسس كوك ، بمبلغ مليون و١١٧ الف جنيه استرلينى .

● **اللوحة الرابعة : المستحمات الحسان ، للفنان سيزان**

وقد اشتراها متحف ناشيونال جاليرى بلندن من اسرة ((بيلليرين)) بباريس فى عام ١٩٦٤ بثلاثة ارباع مليون جنيه استرلينى .

● **اللوحة الخامسة : القارئة ، الفنان فراجونار**

وقد اشتراها متحف ناشـــيونال جاليرى بو شـــنطون من مجموعة ((اريكسون)) الامريكية فى عام ١٩٦١ بمبلغ ٤٣٧ الف جنيه استرلينى .

● **اللوحة السادسة : بيوت فى حى ((استاك)) ، للفنان سيزان**

وقد اشـــتراها المليونير الامريكى ((بول ميللون)) من مجموعة مدام زاباس فى عام ١٩٦٥ باربعمائة الف جنيه استرلينى .

● **اللوحة السابعة : تعبد المجوس ، للفنان روبنز**

وقد اشترتها كلية الملك بجامعة كمبريدج البريطانية من مجموعة دوق وستمنستر الانجليزى فى عام ١٩٥٩ بمبلغ ٢٨٥ الف جنيه استرلينى .

● **اللوحة الثامنة : القديس جورج والتنين ، للفنان فاندرفيدن**

وقد اشتراها متحف ناشيونال جاليرى بواشنطون من مجموعة خاصة فى عام ١٩٦٦ بمبلغ ٣٠٨ آلاف جنيه استرلينى .

● **اللوحة التاسعة : الصبى ذو الصدار الاحمر ، للفنان سيزان**

وقد اشـــتراها المليونير الامريكى بول ميللون من مجموعة ((اروين جولدز سميث)) فى عام ١٩٥٨ بمبلغ ٢٦٤ الف جنيه استرلينى .

● **اللوحة العاشرة : فوق الصخرة ، للفنان مونيه**

وقد اشترتها مجموعة سويسرية من مجموعة مدام جورج مينيبيه فى عام ١٩٦٥ بمبلغ ٢٥٢ الف جنيه استرلينى .

وفى الاعداد القادمة نقرأ معا قصة كل لوحة من هذه اللوحات العشر الثمينة ..

((مترو)) باريس .. ومحظية ملك بلجيكا !

((تبحث السلطات المصرية في هذه الايام مشروع انشاء شبكة أنفاق تحت أرض مدينة القاهرة يسير فيها مترو سريع يساهم في تخفيف ازمة المواصلات .. وهو الحل المحتوم الذي سبقتنا اليه جميع العواصم الكبرى المزدحمة بالسكان : فلجات اليه لندن منذ ١٠٦ سنوات ، ونيويورك منذ ١٠١ سنة وبرلين منذ ٩٤ سنة ، وباريس منذ ٦٩ سنة .لخ . وبهذه المناسبة ، اقدم لك فيما يلي قصة انشاء مترو باريس الذي تفخر به العاصمة الفرنسية منذ مطلع هذا القرن ، والذي اكتنفت تنفيذه ملابسات غريبة وشائقة كما سترى .. ثم اروى لك قصة مترو (لندن) ، فمترو (موسكو) :

معارضة النواب للمشروع !

● **عندما** دخل المهندس الفرنسي ((فولجانس بيانفينو)) مكتب رئيس المجلس البلدى في باريس ، في ذلك الصباح من عام ١٨٩٣ ، ليعرض عليه مشروعه لانشاء مترو يسير تحت الارض في العاصمة الفرنسية ، كانت لندن قد سبقت الى هذا المضمار منذ ثلاثين عاما ، ونيويورك منذ ٢٥ عاما ، وبرلين منذ ١٨ عاما .. أما باريس ، فكانت قانعة في مواصلاتها بالعربات ((الحنطور)) التي تجرها الجياد ، وبالامنيبوس ، لا لسبب الا لاختلاف ساستها بصدد هذا المشروع ، وعدم اقتناعهم به ..

فقد كان بعض نواب البرلمان الفرنسي يتصايحون كلما اثيرت فكرة الاقتداء بمشروع مترو لندن : ((**لن نحتمل أن يلقى بمواطنينا من أهل باريس في باطن الارض ليتنفسوا هواء مشبعا بروائح ((المجارى)) !**)) .. وكان آخرون يعتقدون ان الاهالى سيصابون بالاختناق تحت الارض كما يحدث أحيانا لعمال المناجم ، وغيرهم يؤكد انهم سيصابون



المهندس فولجانس بيانفينو ((والد)) مترو باريس !

بمرض السل .. وفريق رابع كان يخشى أن تتهدم الانفاق تحت ثقل عربات المترو ، ومن شدة الاهتزاز الذى يحدثه سيرها السريع وهى تنهب الارض نهبا !.

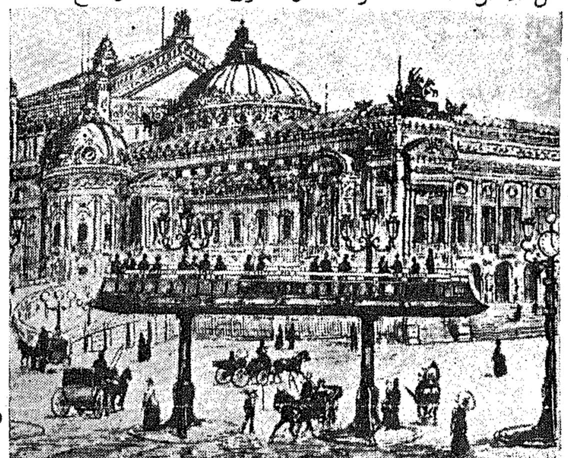
وازاءهذه المعارضةالجماعية للفكرة ، ظل المشروع ((فوق الرف)) طيلة ثلاثين عاماً ، كان خلالها يناقش المرة تلو المرة ، دون جدوى ..

وكانت سلطات المدينة قد احست منذ عام ١٨٥٥ بحاجتها الى حل حاسم لمشكلة المواصلات فجندت لهذا الغرض مجموعة كبيرة من المخترعين، لكن المشروعات التى تمخضت عنها عبقرياتهم كانت يبز أحدها الآخر فى الجرأة والغرابة :

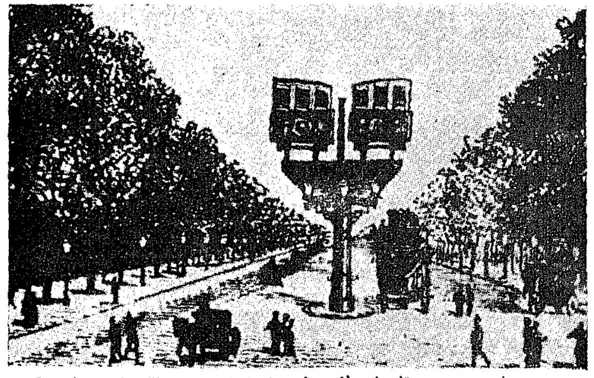
١ ـ **كان** منهـا مشروع المهندس « لويس هونزيه » الذى أوصى بتسيير قطار بخارى فى الشوارع على قضبان مرفوعة على طريقة المترو الهوائى ، وكان من مقتضى هذا المشروع ان يؤثر تأثيرا ملحوظا على جاذبية شوارع باريس الفسيحة وفى مقدمتها « الشانزليزيه » .

٢ ـ **واقترح** آخر ، ويدعى « مســيو لارتيج » مشروع قطار ذى قضيب واحد معلق ، يثبت بأعمدة تغرس فى وسط الشوارع ، ويبلغ ارتفاع الواحد منها ١٥ مترا .

٣ ـ **وفكر** مخترع ثالث يدعى « مازيه » ، وكان ضابطا قديما فى الجيش ، فى وسيلة للانتقال لا تتطلب قضيبا ، ولا عربة ، ولا كبارى ، ولا انفاقا .. وانما كان اختراعه ينصب على صنع مترو على شكل « سفينة » تنزلق فى الهواء على مجموعة من الاعمدة تقام على الارصفة ، ويبعد الواحد منها عن الآخر مسافة عشرة أمتار . وفى منتصف ارتفاع هـذه



مشروع المهندس « مازيه » : مترو على شكل سفينة تنزلق على بكرات بين أعمدة مصابيح الغــاز . وتحتها عربات الحنطور التى كانت وسيلة المواصلات فى أواخر القرن الماضى .



تصميم مشروع يرجع تاريخه الى عام ١٨٨١ : مترو معلق على صف واحد من الاعمدة فى وسط الطريق .

الاعمدة (أى على ارتفاع ثلاثة أمتار من الارض) تقام شرفة مزودة ببكرات تنزلق عليها السفينة ، التى تثبت فى جزئها العلوى بجهاز « بكرات » آخر ..

٤ ــ **أما** مسيو « آرسين أوليفييه » فقد اقترح انشاء جسور عملاقة تمر فوق العمارات على ارتفاع ٢٠ أو ٣٠ مترا وتخترق باريس فى خط مستقيم .. وهو مشروع كان سيجعل العاصمة تبدو من الطائرة أشبه بشبكة ضخمة من « الكلمات المتقاطعة » !

٥ ــ **ولو كان** المشروع الخامس الذى تقدم به « مسيو ريفان » قد حاز القبول ــ وقد أطلق عليه اسم « العربات ذات المحرك الذاتى » ــ لشهدت باريس نوعا من المترو يشبه العربات التى توجد فى مدينة الملاهى ، تتسع العربة

منها لراكبين فقط ، وتعلق على عجلة تحملها بمحاذاة قضيب شديد الانحناء حتى توصلها الى قمة مرتفعة على أعمدة تتوالى كل مائة متر ، ومن هذه القمة تنزلق الى أسفل ثم تصعد بقوة الاندفاع الى القمة ، أو المحطة التالية ، وهكذا !

٦ ــ **وأخيرا** كان هناك مشروع السادة « ديبوى ، وفيلار، وفيرايون » ، الذى كان يتلخص فى انشاء خط حديدى يمر فى داخل المنازل فى مستوى الطابق الاول ، ولا يخرج منها الا ليعبر الشوارع ، وقد كانت أهم مساوىء هذا المشروع الذى يحول العمارات التى يمر بداخلها الى أنفاق ، الضوضاء الشديدة والاهتزازات التى تحدثها القطارات أثناء مرورها .

عزيمة .. تصمد أمام المثبطات !

● وقد درست كل هذه المشروعات بعناية وجدية ، الواحد تلو الآخر ، ولو كان صاحبنا ــ « فولجانس بيانفينو » ، مبتكر فكرة المشروع السابع ــ أقل عزيمة واصرارا ، فربما كان أحد هذه المشروعات الستة الاخرى قد نفذ بالفعل ، بدلا من مشروعه .. ولكنه كان رجلا صلب الارادة ، شأن أبناء مقاطعة (بريتانى) الفرنسية ، وكان يؤمن ايمانا لا يداخله الشك بأن الوسيلة الوحيدة التى تحقق الغرض المنشود ــ فى عاصمة تنمو وتتسع بصفة مستمرة مثل باريس ــ هى خط حديدى كهربائى يشق « تحت الارض » ، **وقد ظل يدافع عن فكرته سنوات ، فى وجه سلطات مترددة ، ونواب ساخرين .. حتى خيل اليه ، فى عام ١٨٩٧ ، انه وجد الحجة القوية التى تبرر تنفيذ مشروعه ، قال لخصومه : « كيف ستنقلون ملايين الزائرين الذين سيتوافدون على باريس خلال مدة معرضها العالمى ، عام ١٩٠٠ ؟ »**

فكان جواب السلطات الرسمية : « ولكن زوار المعرض

سيحرصون على النزهة في شوارع « الشان دى مارس » وليس فى أنفاق تحت الارض ! .. ثم ان المعرض لن يستمر سوى فترة محدودة . وحين ينتهى ، فلا شيء سوف ينقذ مشروعك من الافلاس ، كلا ، ان فرنسا لا تملك أموالا تبددها وتلقى بها الى الضياع ! » .

بل لقد جابهه أحد النواب بالقول : « ان فكرتك لا بأس بها ، ولكنها لا تصلح للتنفيذ فى باريس . ان انشاء مترو تحت الارض فى مدينة ما ، يجب أن يسبق انشاء المدينة ذاتها . أما في المدن الموجودة بالفعل فان مشروعك ينطوى على عقبات مادية ومالية لا يمكن التغلب عليها ! »

فهل استكان « بيانفينو » لهذا التثبيط ، وبحث عن بقعة خالية ينشىء تحتها مشروعه ، على أمل أن تنشأ فوقها مدينة جديدة ذات يوم ؟

كلا ، بل انه واصل الصراع .. فوضع تصميمات ومقايسات لانشاء الشبكة التى كان يحلم بها ، وبلغت النفقات التى قدرها لواحد من هذه التصميمات مليارا ونصف مليار من الفرنكات ! .. وعندئذ صاح به أحد النواب : « أمام هذا الرقم الذى يثير الذعر ، اقترح أن نقفل باب المناقشة ! » — (ومما يذكر أن انشاء الكيلو متر الواحد الجديد من انفاق المترو يكلف الآن مليارين من الفرنكات !)

.. أما وقد أبى الساسة الفرنسيون أن يقتنعوا ، فقد شد « فولجانس بيانفينو » رحاله واستقل القطار الى .. بلجيكا . كلا ، انه لم يفكر فى الهجرة ، أو الذهاب الى المنفى ، فبرغم المرارة التى كانت تملأ نفسه ، فانه كان يحب فرنسا ويعشق باريس .. وانما كان بسفره يلبى دعوة تلقاها من « ليوبولد الثانى » ملك بلجيكا .



الراقصة الفرنسية الحسناء « كليو دى ميرود » ، صاحبة الفضل فى انشاء مترو الانفاق باريس ،ومعذلك فان اسمها لم يطلق على اية محطة من محطاته !

ما دخل ملك البلجيك بهذا الموضوع ؟

ان لذلك قصة ، وقصة واقعية طـريفة ، كما سنرى : كانت فرنسا قد ((أهدت)) الى ((ليوبولد الثانى)) جزءا من مستعمراتها الافريقية (الكونغو) ، فجلس الملك البلجيكى يسامر احدى محظياته الحسان ـ وكانت هذه المحظية هى الراقصة الباريسية الشهيرة ((كليو دى ميرود)) فسألها ، على سبيل المزاح : ((ما هى الطريقة التى تقترحينها ، لنشكر فرنسا على هديتها القيمة ؟)) .

وكانت الراقصة تحب باريس ، وتحن اليها ، فأجابته : ((سمعت أن مهندسا فرنسيا يتحمس لمشروع انشاء مترو تحت الارض فى العاصمة ، فلعلك تستطيع مساعدته على تحقيق حلمه !؟)) .

.. ولم تمض أيام . حتى كان « فولجانس بيانفينو » يعرض رسومه واوراقه على الملك البلجيكى ، وكان يحضر المقابلة رجل يصغى لما يقال ويدون بعض الملاحظات ، دون ان ينطق بحرف ، كان ذلك الرجل هو « البارون امبان »(١) العميل المالى للملك ، ومحتكر امتياز مترو باريس فيما بعد!

وفى الحال . اتصل الملك بأصدقائه الساسة الفرنسيين ، ليوصيهم خيرا ــ ويا للسخرية ــ بمواطنهم « بيانفينو ! » . واكراما لفضل بلجيكا فى ايواء الجمهوريين العظام الذين لجأوا الى حماها فى عهد الامبراطورية ، وافقت سلطات مدينة باريس على دراسة مشروع المترو تحت الارض دراسة جدية . وفى ٣٠ مارس ١٨٩٨ صدر قانون بانشاء شبكة من خمسة خطوط ــ بصفة مبدئية ــ طولها ٦٥ كيلو مترا ، واعطاء امتياز تشغيلها للثرى البلجيكى الوصولى « البارون امبان » !

أول ضربة معول !

● ورغم الحملة العجيبة التى شنت ضد « بيانفينو » ومشروعه ، فقد بدأت أول ضربة معول لحفر الانفاق فى يوم ٤ أكتوبر ١٨٩٨ ، فى مكان محطة المترو الحالية المسماة باسم الرئيس الامريكى « فرانكلين روزفلت » ، (والتى كانت تدعى فى الماضى محطة « ماربوف ») .. ومنذ ذلك اليوم ، صار « بيانفينو » يواجه كل يوم بلا استثناء عشرات المشكلات والعقبات التى راحت تلاحقه فى كل موقع من مواقع العمل العديدة التى فتحها فى وقت واحد على طول المسافة من (بوابة فانسين) الى (بوابة « مايو ») ، وكانت اهمها

(١) وهو بعينه البارون « امبان » الذى اشترى بعد ذلك بسنوات معدودة أراضى ضاحية (مصر الجديدة) ، بمليمات ، ثم باعها للاهالى باسعار مضاعفة بعد أن انشأ بها شركة و « مترو » مصر الجديدة .

مشكلات التربة الرطبة ، فى أرض سبق أن حفر فيها قبل ذلك الكثير من المجارى والمحاجر والكهوف ، بالاضافة الى شبكة معقدة من القنوات .

واخيرا ، وفى اليوم المحدد بالضبط ــ ١٩ يوليو من عام ١٩٠٠ ــ احتفل بافتتاح الخط رقم (١) ، وكان طوله ٥ر١٣ من الكيلو مترات .. لكن القوم العقلاء من أهل باريس نظروا الى بضــــعة الركاب الذين جازفوا بركوب المترو فى دورته الاولى ، نظرتهم الى ((حمقى)) متهورين ، برغم أن هؤلاء حرصوا على أن يتدثروا بثياب ثقيلة ، خشية الاصــــابة بالنزلات الصدرية من جراء التيــارات الهوائية المتوقعة فى الانفاق تحت الارضية !

وقد وصف احد الصحفيين رحلته الاولى بالمترو يومئذ بقوله : « كنت أعتزم الهبوط من المترو فى محطة (الباليه رويال) ، لكنى ــ مدفوعا باغراء جدة المشروع ، وطرافة أحاديث رفاقى فى الرحـــلة ، واصلت رحلتى حتى (بوابة فانسين) ، ثم عدت من نفس الطريق » .. ثم ختم الكاتب مقاله باسداء نصيحتين ثمينتين الى قرائه :

١ ــ احكموا أزرار ستراتكم أو قمصانكم قبل الهبوط فى احدى محطات المترو ، فانها كهوف حقيقية رطبة .

٢ ــ ولا تعبروا القضـــبان على أقدامكم ، لئلا تدهمكم القطارات المنطلقة باقصى سرعتها !

ولكن ، لما كان انطباع « الرواد الاوائل » الذين جازفوا بتجربة هذه المواصلة الجديدة قد جاء طيبا ومشجعا ، فقد شهد اليوم التالى جموعا غفيرة تزاحمت على الركوب ! .. ولم يلبث المترو تحت الارض أن صار مقصدا لطلاب النزهة والترويح ، شأنه شأن « العجلة الكبرى » فى مدينة الملاهى !

وفى نهاية العام ، كان المترو قد نقل سبعة عشر مليونا وسبعمائة الف من الركاب ! ..

خط يحفر تحت مجرى نهر السين !

● على أن انشاء ذلك الخط الاول لم يكن سوى البداية وبمضى الايام ، صار على « فولجانس بيانفينو » أن يحل الف مشكلة ومشكلة : من ذلك انشاء خطوط وانفاق تحت مجرى نهر (السين) .. وانشاء محطة سان ميشيل — فى الحى اللاتينى — الامر الذى تطلب فتح فجوة ضخمة توازى مساحة الميدان كله .. ثم تجفيف اراض كانت بها مستنقعات .. الى غير ذلك من العقبات التى لا يمكن حصرها ..

واليوم ، تنزلق عربات المترو فى باريس على عجلات من المطاط ، ويأمل المشرفون على هـذا المرفق أن يتفوق فى المستقبل على أمثاله فى عواصم العالم الاخرى ، بالمزيد من وسائل الراحة والمتعة .. **ويشعر الفرنسيون بأنهم مدينون بهذا الفخر الى « فولجانس بيانفينو » ، ولو ان اسمه لم يطلق على احدى محطات المترو الذى انشأه ، الا فى عام ١٩٣٧ فقط .. كما انه لم يحظ بالتكريم المادى الذى يستحقه فقد مات آخر الامر « فقيرا » !**

ومن أطرف ما قاله يوما ، ردا على تهنئة له بتوفيقه فى انجاز مشروعه : « لم أكن املك الحق فى ان اخطىء ، فان مثل مشروع مترو الانفاق ، عمل لا يمكن أن يتكرر ! » ..

واليوم ، يبلغ طول خطوط مترو باريس الذى يسير فى أنفاق تحت الارض ٢٠٢ من الكيلو مترات ؛ أى خمسة عشر ضعفا لطول الخطوط الخمسة الاولى التى بدأ بها المشروع فى عام ١٩٠٠ ، **وتقطع قطارات المترو على هذه الخطوط (فى رحلاتها المتكررة خلال الاربع والعشرين ساعة) ١٢٠ الف كيلو متر كل يوم ، أى ثلاثة أضعاف محيط الكرة الارضية ! .. وهى**

تنقل كل عام نحو مليار ونصف مليار (١٥٠٠ مليون) من الركاب ! .. وقد نقلت منذ انشائها حتى اليوم عددا من الركاب يوازي خمسة عشر ضعف عدد سكان الكرة الارضية جميعا ! ..

مترو لندن ..

ينقل ٧٠٠ مليون راكب سنويا !

● أما ((مترو)) العاصمة البريطانية ، فله بدوره قصة أخرى .. ففي عام ١٨٤٢ اقترح محام يدعى ((تشارلز بيرسن)) — كان يعمل لحساب بلدية لندن — انشاء خط حديدي يربط بين محطتي (كينجز كروس) و (بادنجتون) ، لمواجهة شدة الازدحام ولا سيما في ساعات ذهاب الناس الى اماكن اعمالهم وعودتهم منها . واقترح أن يمد هذا الخط عبر خنادق تحفر في باطن الارض كي تكفل سرعة الوصول ، بشرط أن ((تسقف)) هذه الخنادق لمنع دخان القاطرات ((البخارية)) من تلويث هواء المدينة ، (فقد كانت الكهرباء يومئذ ما تزال بعد في مهدها).

واهتمت شركتا السكك الحديدية التي تنتهي خطوطهما عند المحطتين المذكورتين بهذه الفكرة ، ولكنهما جابهتا اعتراضات شديدة من جهات أخرى ، وظل الجدل حول المشروع قائما ، يخفت حينا ويشتد احيانا ، الى ان وافق البرلمان على تنفيذه فأصدر مرسوما بذلك في عام ١٨٥٣ ، أي بعد عشر سنوات من نشأة الفكرة الاولى للمشروع .

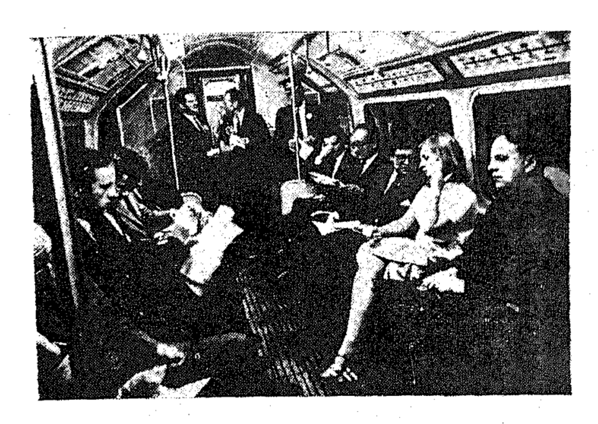
.. لكن اجراءات تنفيذ ذلك الخط الاول — وكان طوله نحو ستة كيلو مترات — استغرقت عشر سنوات أخرى ، فلم يفتتح الا في ٩ يناير من عام ١٨٦٣ . ورغم أن اكثر الناس كانوا قد تكهنوا بفشل المشروع ، فانه استطاع — رغم قصر خطوطه — أن ينقل في العام الاول تسعة ملايين ونصف مليون راكب ! .. وشجع نجاحه الشركتين على أن تتبنيا مشروع خط طويل يربط ضواحي لندن كلها بقلب المدينة ، وهو الخط الذي اطلق عليه اسم ((المتروبوليتان)) — ثم اختصر الى ((المترو)) ، وهو الاسم الذي صار يطلق عليه في البلاد الاخرى بعد ذلك — وكان ذلك الخط أول خط من نوعه في العالم يمد في جوف الارض . وادى نجاح هذا الخط بدوره الى مد خطوط أخرى مماثلة ، خصوصا بعد أن مكن انتشار الكهرباء والتقدم الهندسي من شق انفاق عميقة وطويلة في باطن الارض ، وتسيير القاطرات الكهربائية على تلك الخطوط .

وقد تم افتتاح الخط ((الكهربائى)) الاول فى لندن فى عام ١٩٠٥ ، وما ان حل عام ١٩١٣ حتى حلت القطارات الكهربائية محل القطارات البخارية على جميع الخطوط الجوفية ، وشبه الجوفية ، والارضية ، التى تؤلف الشبكة المعقدة الممتدة التى تعرف اليوم باسم ((قطارات تحت الارض)) ، والتى قررت الحكومة البريطانية تأميمها منذ عام ١٩٤٨ .

وفى عام ١٩٦٢ تقرر انشاء خط جديد طوله ٤٠ كيلو مترا يعرف باسم خط فيكتوريا ، يمتد جزء منه تحت قاع نهر التيمز ، وقد افتتح الجزء الاول منه فى أول سبتمبر الماضى (١٩٦٨) ، وينتظر افتتاح الجزء الباقى منه فى أوائل عام ١٩٧٠ ، بما فى ذلك أنفاق المحطات والسلالم المتحركة



٣ سلالم كهربائية متحركة تنقل أفواج الصاعدين والهابطين من والى محطة ((الاندر جراوند)) فى حى بيكاديللى بلندن .



مقاعد مريحة فى قطارات المترو الجوفية
الفاخرة على خط فيكتوريا الجديد بلندن

ومجارى التهوية .. ويقدر مجموع نفقات هذا الخط بنحو ٨٠ مليون جنيه استرلينى . ويعتبر أحدث الخطوط الحديدية فى العالم وأكثرها تقدما فى المجال التكنولوجى ، اذ يشرف على تسيير كل قطار من قطاراته والاشراف عليه رجل واحد فقط ، لا يفعل أكثر من مراقبة اغلاق الابواب ، وبمجرد اغلاقها يسير كل شىء فى القطار تلقائيا بواسطة أجهزة خاصة تتولى زيادة السرعة وتخفيفها والوقوف فى المحطات ثم الانطلاق منها دون تدخل انسان ، بالاعتماد على اشارات كهربائية يلتقطها القطار عبر الخط الحديدى الذى يسير عليه بطرق آلية .

وقطارات هذا الخط من أحدث طراز ، ذات مقاعد مريحة ، ونوافذ زجاجية مزدوجة ، ومكبرات الصوت تلقى على الركاب مختلف البيانات والاعلانات ، بطرق جذابة ومريحة للاعصاب . وفى ساعات الازدحام تتوالى القطارات على هذا الخط كل دقيقتين ، وبذلك يستطيع — بعد اتمام القسم الباقى منه — نقل ٢٥ الف راكب فى الساعة الواحدة ، فى كلا

الاتجاهين . وتتخلل الخط عشرات المحطات ، يفضى بعضها الى محطات السكك الحديدية الرئيسية لمدينة لندن .. وابواب جميع هذه المحطات تفتح وتغلق تلقائيا بواسطة تذاكر ذات رموز ممغنطة ، كما تتولى هذه الابواب مراقبة دخول الركاب وخروجهم . وفى بعض هذه المحطات دوائر تليفزيونية مغلقة ، تساعد على مراقبة حركة الركاب وتدفق سرعتها فى ساعات الازدحام .

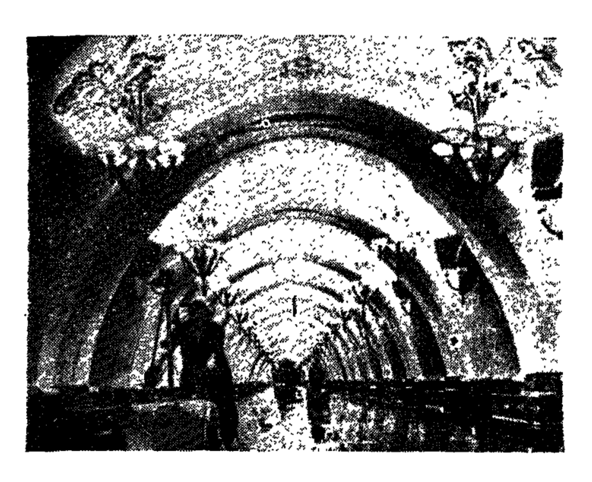
وباكتمال مراحل هذا الخط الجديد ، يبلغ طول شبكة خطوط مترو العاصمة البريطانية ٤٨٠ كيلو مترا ، يمتد نصفها على الاقل داخل انفاق جوفية ، شقتها الآلة ويد الانسان . وتقوم عليها أكثر من ٢٨٠ محطة ، فى شتى أحياء لندن وضواحيها . وتقوم هذه الشبكة بنقل حوالى سبعمائة مليون شخص كل عام . ويصل عمق الانفاق فى بعض اجزائها الى ثلاثين مترا تحت سطح الارض ، ويهبط الركاب من الشارع الى المحطات أو يصعدون منها بواسطة سلالم متحركة ومصاعد كهربائية ، وقد أنشىء أول سلم متحرك منها فى عام ١٩١١ ، ويبلغ عدد هذه السلالم الآن ١٨٠ سلما . وفى بعض المحطات تتعدد الطوابق وتتفرع الانفاق والخطوط فوق بعضها البعض ، فى اتجاهات متقاطعة ، وتنقل السلالم المتحركة الركاب بين مختلف الطوابق فى حركة دائبة لا تنقطع ! (كما رأيت فى الصــــــورة)

وبعد أن عرفنا قصة انشاء مترو باريس ، ثم مترو لندن .. تعال نقم بزيارة لمترو العاصمة السوفيتية ، موسكو :

مترو موسكو
ينقل ٤ ملايين راكب يوميا !

● ذات صباح من شهر مايو عام ١٩٣٥ ، انطلقت العربات الزرقاء لمترو العاصمة السوفييتية ، فى رحلة افتتاح أول خط كهربائى تحت الارض ، تقل أول فوج من الركاب من محطة (سوكولنيكى) ، فى الطرف الشمالى الشرقى لموسكو ، الى شارع (كومينتيرن) فى وسط العاصمة ..

ولم يكن شق انفاق أول خط فى موسكو ، بالمهمة السهلة ، فان التربة ذات الطبيعة المراوغة الخداعة ، والقنوات الجوفية العديدة ، شكلت صعوبات جمة بالنسبة للقائمين على تنفيذ المشروع ، لكنهم تغلبوا على تلك العقبات بجلب عمال المناجم ذوى الخبرة من مناطق جبال (الاورال) و (الدونباس) ، كما أن عشرات المصانع فى شتى انحاء البلاد أمدت المشروع الضخم بالآلات والادوات اللازمة لحفر الانفاق ، وما يلى ذلك من عمليات انشائية واسعة النطاق .



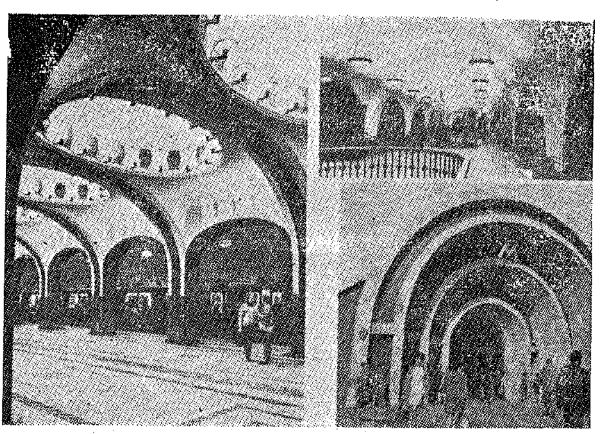
النجفات الفاخرة والجدران من الرخام فى البهو الاسفل لاحدى محطات مترو موسكو .. وعاملة تغسل ارض المحطة بالصابون بعد توقف آخر مترو فى نهاية الليل .

وفى سبتمبر من عام ١٩٣٨ تم افتتاح الخط الثانى من خطوط مترو موسكو ، وقد كسيت جدران محطاته بالرخام الفاخر ، وزينت بالثريات الكهربائية الرائعة (كما ترى فى الصورة) ، وبالتماثيل واللمسات الفنية التى جعلتها شبيهة بأبهاء القصور .. كما زودت بلوحات لاشهر الرسامين المعاصرين ، تمثل أهم أحداث تلك الحقبة من الثلاثينات ، مثل غزو المساحة الشاسعة من القطب الشمالى ، ورحلات الطيران بدون توقف من موسكو الى الشرق الاقصى ، ثم الى أمريكا ..

وفى عام ١٩٤١ ، حين هاجم هتلر الاتحاد السوفيتى ، فرضت الحرب على موسكو قيود الاظلام التام .. وبينما راحت الانوار الكاشفة لمراكز

الدفاع ضد الغارات الجوية تذرع سماوات العاصمة ، بحثا عن الطائرات المغيرة ، وتمزق أستار الضباب ، فى تلك الليالى الكثيبة من الخريف الدامى ، صارت أنفاق المترو بمثابة ((البيت الثانى)) لكل انسان ، ينام فيها الاطفال آمنين من غارات الالمان ، ومن دوى المدافع المضادة للطائرات .. وحين يستيقظون ، كانت تطالعهم السماوات الزرقاء المرسوما على سقوف الانفاق ، وتحيط بهم من كل جانب شتى المناظر المريحة للاعصاب .

ثم انتهت الحرب .. فصار سكان العاصمة يتدفقون فى الامسيات الباردة ــ بعد يوم من العمل الشاق ــ عبر الشوارع والميادين ، الى حيث تضىء اللافتات الحمراء المرسومة على شكل حرف (M) ــ الحرف الاول من كلمة ((مترو)) ــ فوق واجهات مداخل المحطات ، كعلامة تبعث فى أوصالهم الدفء والراحة ..



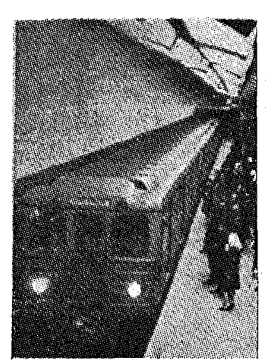
ثلاث صور تمثل فخامة انفاق المترو فى موسكو (وفى الصورة اليمنى السفلى : المدخل العلوى المفضى من الشارع الى محطةالمترو تحت الارض ، وعليه حرف M ، الحرف الاول من كلمة « مترو »)



الشباب السوفيتي من الجنسين في احدى عربات المترو ، وشاب يمسك بآلة موسيقية ..

ويحمل مترو موسكو كل يوم ، في المتوسط ، اربعة ملايين و ٢٠٠ الف راكب . وقد قدرعدد الذين أقلتهم عرباته خلال الاعوام الثلاثة والثلاثين التي انقضت منذ انشائه ، بنحو ٢٥ ألف مليون راكب . وثمن التذكرة على أي خط من الخطوط موحد ، وهو خمسة ((كوبيك)) ، (وتساوي قرشين بالعملة المصريه) ، والتذكرة تبيح للراكب ان يستعملها لاية مسافة مهما طالت ، كما تبيح له أن يبدل القطارات وينتقل بها من خط الى خط كما يشاء .

ويبلغ طول خطوط مترو موسكو ١٢٣ كيلو مترا ، ويجرى العمل لمد ٥٦ كيلو مترا أخرى من الخطوط قبل عام ١٩٧٥ . وتتخلل هذه المسافات ٨٢ محطة . وفي ساعات الزحام تتوالى القطارات كل دقيقة ونصف دقيقة ، أما في بقية الاوقات فيمر قطار كل ثلاث دقائق . ويعمل المترو من الساعة السادسة صباحا حتى الواحدة بعد منتصف الليل ، وفي أيام العطلات والاعياد يمتد سيره الى الثانية صباحا . وتسير قطاراته بسرعة أربعين كيلو مترا في الساعة ، في المتوسط ..



مترو الانفاق الذى شق تحت مدينة (باكو) السوفيتية ، واقفا على رصيف احدى محطاته فى جـوف الارض ، والركاب يتأهبون لركوبه .

والى جانب مترو موسكو ، توجد أنفاق للمترو فى أربع مدن سوفيتية أخرى ، هى لينينجراد ، كييف ، باكو ، «تيبليسى» عاصمة جمهورية جورجيا) ، وهى العاصـمة التى احتفلت اخيرا بمرور ١٥٠٠ سنة على انشائها .. ويجرى الآن شـق الانفاق لمشروع خامس ممـاثل ، تحت شوارع مدينة (خاركوف) الكبـرى ، عاصـمة جمهـورية اوكرانيا . وقـد بلغ احصـاء الركاب الذين نقلهم مترو (باكو) خلال عامه الاول الذى انقضى ٣٠ مليون راكب ! .. وقــد اقيمت عليه ٦ محطات حتى الآن ، ويجرى العمل فى ١٢ محطة اخرى ..

.. والعقبى للقاهرة باذن الله !

سخرية الجاحظ !

يؤثر عن « الجاحظ » قوله ، فى السخرية من أحد خصومه ، انه :

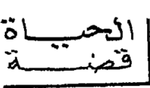
يسمع غير ما قيـــل	ويفهم غير ما سمع ..
ويكتب غير ما فهـــم	ويقـــرأ غير ما كتب !

عزيزي القاريء ..

في هذا الباب قدمت لك فى الأعداد السابقة ، من الروايات الطويلة العالمية ، الروائع التالية :

مانون ليسكو (الاب بريفو) ، مراهق (البرتو مورافيا) ، مرتفعات وذرنج (برونتى) ، الوحل (زولا) تاييس (أناتول فرانس) ، آسيا (ترجنيف) ،التلميذ (بول بورجيه)، الشيطان علىالارض (برتراند رسل)، افروديت (بيير لويس) ، لحن كرويتزر (تولستوى) ، البجعة السوداء (توماس مان) ، المعطف (جوجول) ،قلبعذراء (جالزورثى)، أشجان فرتر (جيته) ، العانس (موباسان) ، الافق المفقود (جيمس هيلتون) ، الذئبة (فيرجا) ،الجريمة والعقاب (دستويفسكى) ، أبناء وعشاق (د.هـ. لورنس) ،الشيطان فى الجسد (راديجيه) ، آموك ، ورسالة من مجهولة (زفايج) ، الزوج والعشيق (موم) ، جين اير (برونتى) احدىنوتردام (هوجو)، العالم كما يسير (فولتير) ، صباح الخير أيها الحزن (ساجان) ،قلب البطل (جوركى) .. الخ

وفى هذا العدد أقدم لك هذه القصة الطويلة من الادب الانجليزى المعاصر : « صعلوك فى حى سوهو » .





روائع القصص العالمى



ADRIFT IN SOHO

مصدرة بمقدمة عن حياة المؤلف وأدبه

كولين ويلسون

● فى اثناء الحرب العالمية الثانية ، ظهر جيل من الشباب الانجليزى يعرف فى تاريخ الادب الانجليزى المعاصر بجيل ((البنجر)) . ويرجع اصل هذه التسمية الغريبة الى أن أفراد هذا الجيـل كانوا يعاونون فى جمع محصول البنجر لصناعة السكر لمدة بضعة اسابيع ، ويتقاضون عن عملهم هذا اجورا كبيرة يعيشون عليها طوال العام . واهم ما يميز هذا الجيـل احساسه بالغربة عن مجتمعه وبانه طريد هـذا المجتمع . وينحدر ((كولين ويلسون)) ـ الذى يعتقد بعض النقاد انه أول اديب غاضب فى انجلترا المعـاصرة ـ من ((جيل)) البنجر ، فهو يعبر عن غربته ، كما يعبر عن احساسه بالضياع .

ولعل من النادر ان نجد اديبا يختلف النقاد فى تقييمه كما يختلفون فى تقييم ((كولين ويلسون)) . على أن هناك حقيقتين ثابتتين لا يختلف بصددهما اثنان : الحقيقة الاولى ان كولين ويلسون ((وجودى)) النزعة .. والحقيقة الثانية انه يناصب المادية العلمية العداء ، ويدعو الى المثالية الرومانسية ، كما أنه يرى فى ((الدين)) حلا لكل ما تواجهه الانسانية من مشكلات ..

حياته فى سطور

● وقـد ولد ((كولين ويلسون)) فى (ليسستر) بانجلترا فى ٢٦ يونية عام ١٩٣١ ـ فهو اليوم لم يجاوز السابعة والثلاثين من عمره ـ

وبعد أن أتم دراسته الثانوية الفنية ، ترك المدارس فى عام ١٩٤٨ ليلتحق بسلاح الطيران الجوى البريطانى خلال عامى ١٩٤٩ — ١٩٥٠ .

وفى عام ١٩٥٠ ترك سلاح الطيران الى الحياة المدنية ، ليعمل محصلا للضرائب . ثم انتقل الى لندن فى العام التالى (١٩٥١) حيث تزوج من ((دوروثى بيتى تروب)) ، وكان يومئذ فى العشرين من عمره .

وخلال العامين التاليين تنقل بين عدة وظائف ، وقضى فترات فى كل من (باريس) ، و (ستراسبورج) بفرنسا . وفى عام ١٩٥٤ عاد الى لندن حيث بدأ — فى ديسمبر من ذلك العام — فى تاليف كتابه الاول (اللامنتمى) ، الذى كان السبب فى شهرته وذيوع صيته ، وقد فرغ منه واصدره فى عام ١٩٥٦ . وطوال تلك المدة التى استغرقها اعداد الكتاب ، والتى كان يتردد خلالها على مكتبة (المتحف البريطانى) ليستعين بما فيها من مراجع لازمة لبحثه ، اضطر الى الاقامة فى ((خيمة)) اعدها بنفسه على أرض (هامستيد) المجاورة للمتحف ، كى يوفر الوقت ويقتصد فى النفقات !

ولم تكن تلك أولى المشاق التى تحملها ((كولين ويلسون)) ، كى يشبع نزعته الى البحث والاطلاع ، فقد تحمل الى جانبها شظف العيش، اذ كان عمله السابق المتواضع فى احدى المكتبات لا يترك له فسحة من الوقت يمارس فيها هواية القراءة والتاليف ، فاضطر الى التخلى عن وظيفته المنهكة لينصرف بكل طاقته الى حياة البحث والاطلاع ، واجبرته الحاجة أن يكسب قوته من غسل الاطباق !

نجاح ساحق لكتابه الاول : اللامنتمى

● على ان تضحياته تلك لم تذهب سدى ، فلم يكد يصدر كتابه الاول (اللامنتمى) — The Outsider — حتى أصاب نجاحا ساحقا ، هبط عليه من السماء كالغيث المنهمر ، بطريقة مفاجئة أدارت رأسه ، وسببت له اختلالا فى توازنه .. فدفعه ((الثراء)) السريع الذى حققه

له ذلك النجاح الى الافراط فى الانفاق ، الى الحد الذى جعله ينفق الفين من الجنيهات فى فترة لا تتجاوز الشهرين ، دون أن يشترى أو يقتنى شيئا باقيا سوى بعض الكتب والاسطوانات .. ولا تزال هواية جمع الاسطوانات تلازمه حتى اليوم ، واخص ما يحرص عليه منهـا اسطوانات ((الاوبرات)) العالمية المشهورة .

وعلى اثر ذلك النجاح الذى احرزه كتـابه الاول ، انهالت على كولين ويلسون عروض لا حصر لها لالقاء المحاضرات ، والاشـتراك فى شتى البرامج الاذاعية والتليفزيونية .. لكن النجاح يكون عادة ذا وجهين ، فهو يغرى بعض الناس أحيانا بمناصبة صاحبه العداء . ومن امثلة هذا العداء الذى شكا منه كولين ويلسون يومئذ ، انه حين نشر نقدا لاحد اعمال الاديب ((د. هـ. لورنس)) فى مجلة (ذى ليسينر) المعروفة ، تلقى محرر هذه المجلة سيلا من الخطابات الساخطة التى نعت كاتبوها كولين ويلسون باقذع العبارات والاوصاف !

ورغم تعاطف الكثيرين من مندوبى الصحف والمجلات معه حين أدى نجاحه الى انتشـار ((موضة)) نشر الاحاديث معه و ((التحقيقات الصحفية)) عنه فى مختلف الصحف ، الا ان بعض أولئك المندوبين كان يتعمد الاساءة اليه عن طريق اقتطاع مقتطفات من بعض اقواله الصارخة التى تتسم بالغرابة والشذوذ ، ونشرها بمعزل عن بقية السياق الذى وردت فيه ، بغية اظهاره بمظهر ((المعتوه)) ، او الرجل الذى لا يتمتع باى قدر من الاحساس بمسئولية التصريحات التى يتفوه بها ! .. من ذلك ان احدهم نشر على لسانه قوله انه ((ينوى أن يعيش حتى يبلغ سن الثلاثمائة !)) ، دون أن يذكر الصحفى ((الخبيث)) أن هـذه العبارة انما وردت فى سياق الكلام عن كتاب ((برنارد شو)) المشهور (العودة الى متوشالح) ، الذى اعرب كولين ويلسون عن اعجابه الشديد به . ومعروف ان ((متوشالح)) الذى جاء ذكره فى ((التوراة)) انما يضرب به المثل فى طول العمر ، فقد عاش نحو تسعمائة سنة !

فشل ذريع لكتابه الثانى : الدين والمتمرد !

● على أن نجاح كولين ويلسون الساحق فى كتابه الاول ، اعقبه رد فعل عكسى فى كتابه الثانى ((الدين والمتمرد)) Religion And The Rebel الذى أصدره فى العـــام التالى ١٩٥٧ ، فقد منى الكتاب الجديد بفشل ذريع ، وأجمع كبار النقاد على مهاجمته والنيـــل من مؤلفه : فهاجمه الناقد ((فيليب توينبى)) بقسوة ، كما حمل عليـــه الفيلسوف الكبير ((أ. ج. أير)) ـ أبو الوضعية المنطقية فى انجلترا ـ حملة عنيفة مدمرة .. الامر الذى جعل كولين ويلسون يضيق بالشهرة ويتبرم بها ، بل ويرى فيها نقمة وشرا يحيقان بمن تصيبه .. وفى ظل هذه الصدمة وما صاحبها من خيبة أمل ، ومرارة نفسية ، غادر ويلسون لندن الى مدينة ((كورنوال)) الصغيرة ، حيث استقر بعيدا عن الاضواء، يمارس الحياة الخاصة التى تروق له ، ويستمع الى اسطواناته المفضلة لساعات طويلة متصلة ، ويقرأ ما يشاء من الكتب . ورغبة منه فى تجنب الزوار ، وفى اعتزال الحياة العامة ، حرص على قضاء بقية وقته فى لعبة (الاسهم) فى الحانة الصغيرة المحلية التى يتردد عليها صيادو السمك فى ((كورنوال)) . وفى تلك الفترة النكدة امتنع عن الخـــوض فى اية مناقشات فكرية ، حتى مع أخلص أصدقائه . ثم شد رحاله الى النرويج والمانيا لالقاء بعض المحاضرات على طلبة الجامعة . وفى هذين البلدين سره أن يهتم مندوبو الصحف والمجلات باستجلاء آرائه وأفكاره ، دون الخوض فى حياته الخاصة .

وبالرغم من ان ((كولين ويلسون)) ـ فى برمه بالنقاد ـ قطع وعدا على نفسه الا يعود الى تاليف الكتب النقدية ، فقد دفعه العناد والرغبة فى استثارة النقاد الى اصدار كتابه النقدى الثالث (فى عام ١٩٥٩) بعنوان ((عصر الهزيمة)) ، يشجعه على ذلك يقينه من أن النقاد لن يستقبلوه بصدود أكبر من الصـــدود الذى استقبلوا به ((المتمرد والدين)) . وكان النقاد اكثر رفقا به فى هذه المرة ، فقد كان هجومهم

على ((عصر الهزيمة)) خاليا من لهجة التعنيف والزجر التى تناولوا بها كتاب ((الدين والمتمرد)) .

روايته الاولى : ((طقوس فى الظلام))

● وفى تلك الاثناء فرغ ((كولين ويلسون)) من تاليف رواية ((طقوس فى الظلام)) التى كان قد بداها وهو فى التاسعة عشرة من عمره . ولكن الناشر ((جولانز)) رفض أن ينشرها ، بسبب جراتها فى معالجة المسائل الجنسية ، الامر الذى اضطره الى ادخال بعض التعديلات عليها حتى تصبح لائقة للنشر . وحين نجحت هذه الرواية ، قرر ((كولينويلسون)) أن ينقطع للتاليف الروائى، اقتناعا منه بان الكاتب الذكى يستطيع عن طريق الحيلةان يعرض واجهة منالافكار والآراء النقديةالتى يراها، فيقالبروائى.

ويخطىء من يظن أن ((كولين ويلسون)) ــ الوجودى ــ يدعو فى أدبه الى الانحلال الجنسى ، لان وجوديته ذات نزعة دينية ، ترى فى العقيدة الدينية حلا للمشكلات التى خلقتها المادية العلمية .

وحين نجحت ((طقوس فى الظلام)) ، اتبعها ويلسون بروايته التاليـة ((صعلوك (او منحرف) فى حى ســوهو)) ــ التى نلخصـها لك فى الصفحات التالية ــ والتى يحمل فيها على الانحلال والضياع اللذين تردى فيهما الشباب الانجليزى ، عن طريق الكشف بصراحة عن ألوان هذا الانحلال والضياع ، وصوره ، ومداه ..

والى جانب هاتين الروايتين ، أصدر كولين ويلسون ثلاث روايات أخرى ، هى : ((دنيا العنف)) ، و ((رجل بغير ظل)) ، و ((الشك الضرورى)) .. علاوة على مسرحيتين مثلتا بنجاح على المسرح ، هما : ((أستراحة فى فيينا)) و ((الزهرة المعدنية)) .. ثم عاد الى الكتابة فى النقد ، فاصدر فى عام ١٩٦٢ كتابا بعنوان ((القوة على الحلم)) .

وفى عام ١٩٦٦ أصدر ويلسون كتابا جديدا فى نقد المجتمع ، بعنوان : ((الجنس والمراهق الذكى)) .. وبالاضافة الى الكتب التى يصدرها ، فانه يكتب بين الحين والآخر لاشهر صحف الاحد الانجليزية الاسبوعية .

حوافزه الى الكتابة .. ورأيه فى نفســـه .. !

● ويتعرض كولين ويلسون للحوافز التى تدفعه الى الكتابة ، والى الاستمرار فيها ، فيقول ان حافزه الوحيــد الى الكتابة هو اقتناعه الراسخ بأن لديه شيئا هاما يريد ان ينقله الى الناس . اما حافزه الى الاستمرار فى الكتابة ، فهو اقتناعه — اقتناعا لا يقل رسوخا — بعبقريته : فهو يعد نفسه أول كاتب نفسى حقيقى ظهر فى التــاريخ الاوربى بعد نيتشه ! .. وفى رأيه ان الادباء المعاصرين لا تنقصهم الموهبة او العبقرية ، بل ينقصهم الوثوق بالنفس .. وهو يكن اعجابا شديدا ب ((دانتى)) ، و ((جوتة)) ، و ((شكسبير)) ، و ((نيتشه)) ، و ((شو)) ، لان هؤلاء الادباء جميعا لم يشكوا للحظة واحدة فى عبقريتهم وفى انهم أطفال الآلهة المدللين ، فى حين أن الكاتب المعاصر يشعر بهزيمته ويحس بضآلته حتى قبل أن يشرع فى الكتابة ، ومن ثم كان جدب الادب المعاصر وخواؤه . ومما لا شك فيه أن احساس ((كولين ويلسون)) بعبقريته هو الذى دفعه الى الاستمرار فى الكتابة بالرغم مما اعترض طريقه من فشل وعوائق منذ أن شرع فى الكتابة وهو فى التاسعة عشرة من عمره . ففى مطلع حيــاته الادبية كان الناشرون يرفضون كتاباته دون أدنى تردد . ولكن ذلك لم يثبط من همته أو يفل من عزيمته ، بل زاده عنادا واصرارا على الصمود والتحدى .. واقنع نفسه انه حتى لو بدأ الناشرون فى قبول كتاباته وهو فى الخمســين من عمره ، فان اعراضهم عنه طوال هذه الفترة سيتيح له فسحة من الوقت يقضيها فى المزيد من الخبرة والانتاج . وهذا ما حدا به الى أن يكتب ويكتب كانســان أصابه مس من جنون ، فى حين تخــاذل الكثيرون من أقرانه الادباء الناشئين وآثروا الانسحاب من المعركة !

وبعد هذا التعريف السريع بكولين ويلسون ، تعال نتعرف على أدبه من خلال روايته الطويلة التى نلخصها لك فيما يلى ..

- ١ -

● **وصلت** الى لندن بعد الظهر ، واتجهت من فورى الى « بيت الشباب » الذى يقع فى شارع (جريت أوزموند) • ومع أننى زرت لندن قبل ذلك مرتين ، الا أننى لم أمكث فيها أكثر من يوم واحد فى كل مرة •

وما أن فرغت من قيد اسمى : « هارى بريستون » ، فى سجل الفندق ، وكتبت أمام خانة الوظيفة « متعطل » ، حتى مضيت الى الشارع ، ورحت أتجول بين المـــارة ، وسرعان ما انتابنى احساس بالغربة وسط ذلك الخليط من الموظفين المتأنقين ، والفتيات اللاتى يشبهن عارضات الازياء •

وأخيرا ، استقرت بى قدماى فى حانة رخيصة فى حى (توتنهام) ، حيث تناولت وجبة متواضعة تتألف من بيضة واحدة وبعض البطاطس • ووقعت عيناى على نسخة من صحيفة « ذى ستار » ــ تركها أحد رواد الحانة سهوا ــ ملقاة على أحد المقاعد • واذ نشرتها أمامى ، وقع بصرى على نبأ وفاة الممثل « جيمس دين » فى حادث سيارة • ولم تكن بينى وبين هذا الممثل صلة ، ولم أشعر نحوه بأية ضغينة ، ولكن موته بدا لى شيئا طيبا ! وفكرت : ما أهمية زيادة أو نقصان واحد من ممثلى السينما ؟

وجلست فى مقعدى وأنا أشعر بالقنوط ، ولمحت شابا له لحية يدخل الحانة ، وبرفقته فتاة بدت على سيماها ملامح الفنانات ، ترتدى جوربا سميكا أحمر اللون ، **فابتسمت لها ، لكنها أشاحت بوجهها بعيدا وتجاهلتنى • واذ ذاك أدركت سبب احساسى بالتمرد على لندن ، التى تمثلت لى كما لو كانت محور مؤامرة كبيرة تشعر المرء بأن لا وجود له !**

وسرى الملل والسأم الى نفسى بعد قليل ، فنهضت وخرجت

من الحانة ، وسرت قليلا فى شــوارع المدينة ، ثم عــدت الى غرفتى فى بيت الشباب • وما أن ارتديت ثياب النوم ، حتى ألفيت بجسدى فوق الفراش ، لكننى لم أجد الى النوم سبيلا ، فقد عادت بى الذكريات الى الماضى القريب ، الى أول يوم أعفيت فيه من الخدمة فى سلاح الطيران ، يوم وجدت فى جيبى مكافأة توازى مرتب شهرين ، فقفزت الى ذهنى آلاف المشروعات التى خيل الى أنه يمكن استثمار أموالى فيها •

وخطرلى ــ حينذاك ــ أن أتفرغ ، لمدة خمسة شهور مثلا ، لتأليف رواية أو مسرحية ناجحه • لكننى لم ألبث أن أدركت ــ بعد قضاء يومين فى المكتبة للاطلاع على بعض المراجع ــ أن كتابة المسرحيه ليست مجرد صب الكلمات فوق الورق ، مثلما يلقى الانسان بزهر النرد آملا آن يأتيه الحظ دائما برقمى « ستة » ! •• وتملكتنى اذ ذاك رغبة ــ كرغبة البخيل ــ فى تعويض المبلغ الذى أنفقته فى سبيل ذلك الاكتشاف ، فتوجهت فى اليوم التالى الى مكتب العمل ، باحثا عن وظيفة ما •••

وحاولت أن أتغلب على ملل الانتظار بمطالعة كتاب من تأليف « ماركوس أوريليوس » (١) • **وفجأة خطر لى أن « أوريليوس »**

---

(١) ماركوس اوريليوس أمبراطور وفيلسوف رومانى ، ولد فى روما عام ١٢١م وتوفى فى فيينا عام ١٨٠م .وقد خلده كتابه الفلسفى ((تاملات)) اكثر مما خلدته حياته السياسية كامبراطور لاعظم دولة فى العالم فى ذلك العصر . وقد تولى ((اوريليوس)) عرش روما لمدة ١٩ عاما (١٦١ ــ ١٨٠) ، تميز فيها حكمه بالانتصارات الحربية على البرابرة ، وتحسين احوال العبيد ، وتوطيد النظام ، ونصرة العدالة ، واصلاح القوانين المدنية .. كما تميز شــخصه بانكار الذات ، وسعة الاطلاع ، وطيب الخلق . والشــائبة الوحيدة التى تنسب اليه هى عداؤه واضطهاده للديانة المسيحية التى كانت ناشئة فى ايامه . وكتابه (التاملات) الذى كتبه باللغة اليونانية اثناء اقامته فى المعسكر خلال حروبه ضد البرابرة يتضمن مجموعة من مبادىء الاخلاق العملية ، وهو يعد من اشهر كتب الفكر الفلسفى الخالدة على مر الزمن

(كتابى)

لم يصبح فيلسوفا الا لانه كان امبراطورا ، وأنك لن تستطيع أن تكون فيلسوفا ، اذا كنت خالى الوفاض !

وعندما عدت الى منزل الاسرة يومذاك ، أخبرت والدى بأننى عثرت على عمل يدوى ، يدر دخلا لا بأس به ، فبدت على وجهيهما الغبطة .. ولكننى شعرت ـ فى أول يوم لاستلامى العمل ـ بأننى فى حالة يرثى لها من الضيق والقلق ... لقد ولدت فى مجتمع يتشدق بالحرية ـ اذ فى وسع المرء أن يسرق رغيفا من الخبز ، دون أن يتعرض للعقاب الذى تعرض له « جان فالجان » ، بطل قصة البؤساء ـ ولكن أين هى هذه الحرية التى تنحصر فى طريقين لا ثالث لهما : اما أن أكتسب قوتى بعرق جبينى ، واما أن أموت جوعا ؟!

وفى بادىء الامر قمت بعملى دون تفكير ، كنت أمسك بالمعول بلا دراية ، مثل تلميذة صغيرة لا تدرى أين تضع أنفها حين يقبلها رجل !

وابتسمت اذ تذكرت العمال الذين شاركونى ذلك العمل ، لا سيما « تيرى » الذى كان يجد لذة فى سرد أدق تفاصيل علاقاته بزوجته البدينة ، التى لا تكف عن الشجار ، وترفض أن تعطيه « حقوق الزوجية » ، ما لم يسلمها أجره كاملا !

غير اننى ما لبثت أن أحسست ـ بعد ثلاثة أسابيع ـ بالسأم والضيق ، وفقدت كل اهتمام بزملائى العمال ، وغدت قصصهم وأحاديثهم ـ التى أدركت أن معظمها من نسج خيالهم ـ تثير فى نفسى احساسا بالضجر . لكننى ، فى كل مرة شرعت فيها فى ترك العمل ، كنت أحجم عن اتخاذ هذه الخطوة فى آخر لحظة ، بسبب حاجتى الى الأجر الذى أتقاضاه منه .. بيد أن حادثة فاصلة جعلتنى أقدم على ذلك : فقد عدت ذات يوم ، لاجد مأتما قد أقيم بالمنزل : لقد مات جدى الذى كان يحوطنى بحدبه ويغمرنى بعطفه !

والواقع أن الوفاة ، فى حد ذاتهـا ، لم تستطع أن تثير مشاعرى ، ولم أشعر ـ حقيقة ـ أن جدى قد توفى ، ورحل عن عالمنا .. وساءلت نفسى : ما هو الموت ؟.. كيف يمكن أن يختفى انسان ـ هكذا فجأة ـ من عالم الوجود ؟ .. انسان كان منذ قليل ينبض حيوية وحركة .. فاما أن جدى لم يمت ، واما أنه لم يوجد على ظهر الارض أصلا !.. **ان الناس فى أحوال كهذه لا يفتأون يحدثون أنفسهم بأن شيئا لم يحدث، وبأن الحياة ماضية فى طريقها ، وهذا ما يجعلهم يستيقظون من نومهم كل صباح فيخرجون لمباشرة أعمالهم ، ويتزوجون من فتيات يخيل اليهم أنهن على قدر من الفتنة والجاذبية !**

.. وفى الصباح ، كنت قد اعتزمت ترك ذلك العمل ليدوى ! .. فسلمت أمى خمسة جنيهات ، وركبت قطارا الى لندن ، وفى يدى كيس من الورق ، وحقيبة غاصة بالكتب .. ومع أن العالم استعاد ـ فى نظرى ـ هدوءه ومظهره المألوف ، الا أن حياتى كانت قد اتخذت لها سبيلا جديدا !

⊙❖⊙

● **وفى** الصباح التالى كان على أن أبحث عن غرفة ، فما أن تناولت افطارى ، وسددت قيمة مبيت الليلة فى بيت الشباب ، حتى وليت وجهى شطر مقهى متواضع ، حيث مكثت هناك بعض الوقت ، ثم ابتعت نسخة من جريدة « لندن ويكلى أدفرتايزر » ، وركزت انتباهى على صفحة الاعلانات المبوبة . وأخيرا وقع اختيارى على عنوان منزل به غرفة خالية فى حى (ايرل كورت) .

غير أننى اذ بلغت العنوان ، خيل الى أننى أخطأت فى القراءة ، اذ كان المنزل ضخما ، أشبه بقصر احدى شخصيات

« أوسكار وايلد » . لكنى ما لبثت أن استجمعت شجاعتى ، وضغطت الجرس ..

وفتحت صاحبة المنزل الباب ، وكدت أطير فرحا لما علمت أنها تطلب للغرفة الخالية ايجارا قدره جنيهان وخمسة عشر شلنا فقط فى الاسبوع ! .. **لكن فرحتى لم تدم طويلا ، فقد واجهتنى بالشروط الجائرة التى وضعتها لمستاجرى مسكنها ، والتى تحرم على الساكن أن يطهو طعامه فى غرفته ، او ان يستقبل زوارا بعد العاشرة مساء ، وخاصة اذا كانوا من الجنس الآخر !.. وأضافت ، ان منزلها يتمتع بسمعة محترمة ..**

وفى غرفتى ، بمنزلها ، قمت باحصاء ما معى من نقود ، فوجدتها نحو عشرين جنيها .. وتبينت أن على العثور على عمل بأسرع ما يمكن ، والا تعرضت للتشرد .. ورحت أعلل نفسى بالأمانى ، متخيلا نفسى وقد وفقت الى عمل أجد فيه لذة ، كأن يكون فى المسرح مثلا ، أو فى احدى دور النشر .

ولكن القدر الذى قذف بى الى ذلك المنزل ، لم يكن يرجى منه ـ فيما يبدو ـ أن يفتح أمامى أبواب السعادة !

وحاولت أن أضع لنفسى خطة للانفاق ، حتى لا تنفد نقودى بسرعة ، ووجدت أن أفضل طريقة لذلك ، هى أن أمكث بالمنزل أطول مدة ممكنة ، وأن أقتصد فى نفقاتى .. وبدأت فعلا فى تنفيذ الفكرة فى نفس اليوم ، فلم أخرج من المنزل الا بعد الظهر ، حيث قضيت نحو ساعتين فى مكتبة (كينسنجتون) الشعبية ، أحاول أن أشغل نفسى بالقراءة .. ولكن ما أن خرجت من المكتبة ، وسرت فى شوارع المدينة دون هدى ، حتى ملأنى منظر الجماهير السائرة فى الشوارع المضيئة اضطرابا .. فتوجهت من فورى الى (هايد بارك) ..

وهناك استعدت صفو مزاجي ، وهدأ بالى قليلا ، فغـدا فى وسعي أن أتأمل ـ فى هدوء ـ الألوان والاضـواء التى كانت تحوطنى من كل جانب ، وأن أدع نفسى تحت رحمـة تيـار الجماهير ـ الذى كان يشبه نهرا من الدماء ـ يجرفنى أمامه الى حيث طاب له ذلك !

وركبت حافلة أقلتنى الى زاوية شـارع (شافنتسبيرى) ، حيث توقفت بعض الوقت ، متأملا منظر رجلين يرقصان على نغمات « الاكورديون » .. ثم دخلت احدى الحانات ، واذ كان الوقت مبكرا ، لم أر بها روادا كثيرين . وانتقيت لنفسى مائدة فى أحد الاركان ، حيث احتسيت كوبين من البيرة ، وبعد قليل سئمت الجلوس وحيدا ، وأخذت أفاضل بين أن أقصـد حانة أخرى ، أو أن أقف فى طابور أمام احـد المسـارح لاشـاهد مسرحية كانت تعرض هناك ـ من تأليف « اليوت » ـ اسمها « الكاتب الخصوصي » .. وطوال تفكيرى هذا ، كانت أنظارى معلقة بباب الحانة ، وكأننى أنتظر قدوم صـديق مجهول ، من حيث لا أدرى ، أو وقوع حادث هام ، قد يكون له دور كبير فى تغيير مجرى حيـاتى .. **وفعـلا ، لم يمض وقت طويل حتى دخلت الحانة فتاة تنـاهز العشرين من عمرها ، ووقفت فترة قصيرة ، تذرع الجالسين بنظراتها ، كما لو كانت تبحث عن شخص ما ، ويبدو أنها لم تجد بغيتها ، فقد اتجهت نحو البـار وراحت تتحدث الى الساقى حـديثا لم يصل الى أذنى ، لكننى لمحته يهز رأسه علامة النفى . واذ لمحتنى جالسا بمفردى وقد انهمـكت فى قراءة كتاب ، تقـدمت منى ، وجلست على المقعد المجاور لى !** .. ومع أننى تعمدت ألا ألتفت اليها ، فيبدو أنها استجمعت شجاعتها وسألتنى عما اذا كانت تلك الحانة هى الوحيـدة فى الميـدان ؟ .. فرفعت رأسى عن الكتاب ،

وأجبتها بأننى لا أدرى ، وان كان من السهل أن أستفسر لها !
•• وقبل أن أفرغ من كلامى ، دخل رجل يمسك فى يديه مجموعة أوراق ، وتوحى ثيابه المشعثة ، وذقنه التى لم تمسسها موسى منذ زمن طويل ، بأنه فنان ، ويبدو أنه اذ رآنا نجلس معا ، حسبها صديقتى فتطوع بأن يرسم لها صورة ! •• وأجبته فى حيرة : « انها ليست صديقتى » ، وما لبثت الفتاة أن انتهزت الفرصة ، ووجهت للرسام السؤال الذى وجهته الى منذ هنيهة ، فأجابها بأن ثمة حانة أخرى قريبة • وعلى الفور هرعت الفتاة الى الخارج ، تاركة حقيبة يدها على المائدة !

وسحب الفنان لنفسه مقعدا ، وجلس الى جوارى ثم قال : « انهن دائما ينتظرن صديقا • ان منظرها يوحى بأنها سائحة أمريكية » • وقبل أن أجيبه ، عادت الفتاة قائلة انها لم تجد صديقها هناك أيضا •• وأعاد الفنان ـ الذى عرفت انه يدعى « جيمز ستريت » ـ عرضه بأن يرسم لها صورة ، قائلا انه لن يتقاضى منها مقابل ذلك سوى نصف جنيه !

وسرعان ما أخرج قلم فحم من جيبه ، وراح يحملق فى وجه الفتاة تارة ، ويخطط بقلمه على الورق تارة أخرى • وفجأة لمحت الساقى يرمق « جيمز » بنظرات شذراء ، اذ لم يكن قد طلب شرابا ، فطلبت له كوبا من البيرة •• ورغم أننى كنت جالسا بين رجل غريب وفتاة لم يقع نظرى عليها من قبل ، فاننى أحسست بجو من الألفة ، وكأنما قد جمع بيننا تجاوب روحى وعاطفة انسانية !

ودار بيننا حديث عرفت منه أن الفتاة تدعى « دورين تايلور » ، وانها نيوزيلندية ، وليست سائحة أمريكية كما حسب « جيمز » •• وفجأة أشارت « دورين » الى شاب كان

يقف أمام البــاب باحثــا بنظراته فى أرجاء الحانة ، وقالت : « ها هوذا » ! •• ، فأدركت انه الشاب الذى كانت تنتظره • ولمح الشاب « دورين » فأسرع متجها الينا •• وبادرها «جيمز» يهمس فى اذنها قائلا : « هل بوسعــك أن تحضرى غــدا فى نفس الوقت كى أتم رسم الصورة ؟ » •• واذ وصل صديقها الى مكاننــا ، لم تســتطع أن تجيب ، فأومأت برأسها علامة الموافقة •

وما أن خرجت من الحانة مع صديقها ، حتى التفت « جيمز » نحوى قائلا :

ـ يا للاسف •• لقــد ضاعت منــا فرصة لا تعوض •• ولكن يوجد دائما أمل فى المستقبل •• ما رأيك فيها ؟

ـ رائعة !

ـ ألست تعتقد انها تبدو مثقلة ؟

ـ مثقلة ؟!

ـ بالمال طبعا • وأرجح أن تكون سائحة ثرية !

ـ ولكنك لا تهتم ـ بالتأكيد ـ بمــا اذا كانت غنيــه أم فقيرة !

ـ أوه •• كلا •• عندما أشارك احدى الفتيات الفراش ، لا يعنينى البتة ما اذا كانت مفلسة أم ثرية •• ولــكنى أعتقد أن المــال يضفى على المرأة ـ أية امرأة ـ جاذبية فائقة !

وسألته أن يتناول على حسابى كوبا آخر من البيرة ، فرفض بحجة انه لم يذق طعاما منذ الصباح • وهكذا رأيت من واجبى أن أدعوه لتنــاول بعض الطعــام ، فقبل دعوتى شاكرا ، ثم اقترح على اسم أحــد المطــاعم • وراودنى خاطر سريع •• قلت لنفسى : لقد وقعت فى شراك محتال من المحتــالين الذين يغص بهم حى « سوهو » ، لــكننى ما لبثت ـ بعــد خمس

دقائق - أن أحسست بالخجل من سوء ظنى به ، فقد وجدته يقودنى الى « بدروم » كئيب على مقربة من ميدان (شافنتسبيرى) ، وبالبدروم مطعم يقدم أرخص الوجبات ٠

وما أن فرغنا من تناول الطعام حتى سألته :

- انك تتمتع بصوت جميل وأداء رائع ، فلماذا لا تحاول الالتحاق باحدى فرق التمثيل ؟ ٠٠ وان لم تجد فى لندن ٠٠ فليكن ذلك فى الاقاليم !

- ولكن منذا الذى يرغب فى العمل بالاقاليم ؟ ٠٠ ان المسرح يحتضر هناك ، واننى أفضل أن أموت جوعا وأصبر ، حتى يعترف حى (الويست اند) بمواهبى !

- اذن ٠٠ لماذا لا تعرض عليهم مواهبك ؟

- آه ٠٠ لاننى لا أحب المطاردة ٠ لا أحب أن أطارد أى شىء ٠٠ ما عدا النساء بالطبع ، وحتى فى هذا المضمار لا أحبذ المنافسة ، فان كانت الفتاة راغبة فحبا وكرامة ٠٠ والا فالنساء كثيرات !

وبعد قليل انتقلنا الى حانة أخرى استطاع جيمز فيها أن يقنع رجل أعمال بأن يرسم له صورة ، وما أن قبض ثمنها حتى أصر على دعوتى الى كأس من الويسكى ، فقلت له :

- ربما تحتاج الى هذه النقود ٠٠

لكنه أشاح بيده فى حركة مسرحية قائلا :

- أوه ٠٠ لقد تناولت اليوم طعاما ٠٠ !

وقبل موعد اغلاق الحانة بنصف ساعة ، دخل الحانة فوج من طلبة كلية الفنون ، فنهض جيمز واتجه نحوهم ، وسرعان ما اندمج معهم فى حديث طويل ٠٠ وما لبثت أن أحسست بالضيق ، فنهضت بدورى منصرفا ، ولكن جيمز لحق بى أمام الباب ، وسألنى ان كنت أعرف شيئا عن الادب الروسى ،

فلما أجبته بالايجاب فرح الى أقصى حدود الفرح ، وطلب منى أن أشاغل واحدا من الطلبة يحضر رسالة عن « دستويفسكى » وذلك حتى يتسنى لجيمز أن يخلو بصديقة الطالب الاديب !
وسحبنى جيمز الى الداخل مرة أخرى ، وقدمنى الى فتى ذى لحية سوداء ، وفتاة قصيرة القامة ، ممتلئة الجسم ، وانتهز جيمز فرصة انهماك الفتى فى الحديث معى ، واختفى مع الفتاة .. ولم يبد على صديقها أى اهتمام ، بل انطلق يشرح لى .. فى اطناب ـ نظريته فى أن « دستويفسكى » قتل أباه لان ثمة علاقة شائنة كانت تربطه بأمه !!

ووجدت مشقة فى التخلص من الفتى ، ثم انصرفت فى طريقى الى مسكنى ، لكننى ما كدت أبلغ ناصية ميدان (راثبون) ، حتى أمسك شخص بذراعى ، واذا به جيمز ، وبصحبته تلك الفتاة القصيرة القامة الممتلئة الجسم ، وكان اسمها « ميرا » . وبكل بساطة طلب منى أن أسمح لهما بقضاء بعض الوقت فى غرفتى .. !

وتصورت وجه صاحبة المنزل الذى يذكرنى دائما بوجه البومة .. وحسبت لحظتئذ ان من كرم الاخلاق تلبية طلب جيمز ، ولم تنقض خمس دقائق حتى كنا جميعا نتسلل على أطراف أصابعنا الى غرفتى .. !

وكان النعاس يثقل أجفانى ، بينما انطلقت « ميرا » تحكى لنا قصة صديقة لها احترفت الدعارة بعد أن اغتصبها أبوها عنوة وهو مخمور .. وحاولت أن أطرد النعاس عن عينى ، فرحت بدورى أقص عليهما قصة مشابهة ، غير أننى ما لبثت أن أدركت انهما كانا يصغيان لى من قبيل المجاملة ، فقد لمحت كلا منهما يتحسس جسد الآخر ، فى شوق ولهفة ، من أسفل الغطاء الوحيد الذى لدى ، والذى التحفا به وتركانى بدون

غطاء ! وأدركت أن وجودى ليس ضروريا فى تلك اللحظات بالذات .. فتصرفت كأحسن ما يكون التصرف فى مثل هذه الظروف : دخلت دورة المياه .. ولعلنى نعست هناك حوالى نصف ساعة .

ولما عدت بعد غيبة كافية ، أخبرنى جيمز ان « ميرا » تقيم فى حى بعيد ، وان قطار منتصف الليل فاتها .. وكان ردى الطبيعى أن استضفتهما حتى الصباح .. وخرجت « ميرا » من تحت الغطاء لتستكمل خلع ما بقى من ملابسها قطعة فقطعة ، دون أى احساس بخجل أو حرج ، ثم عادت الى الفراش ، لا يستر جسدها سوى شعرها الغزير المتناثر هنا وهناك .. وبعد لحظة وجدتها تلقى بشىء على الارض .. كان أول قطعة من ثيابها الداخلية خلعتها أثناء وجودى فى دورة المياه ، وبدا كان وجود هذه القطعة بينهما فى الفراش كان يضايقهما ..!

وتركتهما يستكملان عبثهما فى فراشى ، بينما افترشت أنا سجادة على الارض ، وجعلت من ملابس « ميرا » وسادة لى .. !

واستيقظنا على صوت صاحبة المنزل وهى تصيح بنا غاضبة ، محتجة على اصطحابى رجلا وامرأة الى الغرفة .. وقالت انها قررت أن أجمع حاجاتى فورا وأرحل عن بيتها « الشريف » ...

وفى الطريق ، راح جيمز يعتذر لى عن تسببه فى طردى من المنزل ، لكننى ـ فى الحقيقة ـ لم أكن غاضبا أو مستاء ، فقد سئمت تحكم تلك المرأة ! .. والتهمنا افطارنا فى عجلة ، ثم ركبنا حافله ، ورأيت على شفتى جيمز ابتسامة غامضة ، وكأنه يهنىء نفسه على مغامرته مع الفتاة متهكما ..

- ٢ -

● وتركنى جيمز كى يذهب الى المتحف البريطانى ، ليعقد احدى « صفقات » رسومه ، بعد أن واعدنى على اللقاء بمقهى « الفرنسى » ، فرحت أتسكع فى الشوارع دون هدف معين ، واسترعت انتباهى — فى واجهة احدى المكتبات المتواضعة — مجموعة من كتب « نيتشه » ، الفيلسوف الالمانى ، مترجمة الى اللغة الانجليزية . وسرعان ما دفعت خمسة عشر شلنا ، فربطها الكتبى وحملتها معى ..

وما لبثت برودة الجو أن دفعتنى الى مقهى « الفرنسى » حيث وجدت « جيمز » جالسا فى انتظارى ، وتساءل عن الربطة التى أحملها ، فقصصت عليه ما فعلت ، فرمانى بالبلاهة والحمق اذ دفعت مبلغا ضخما .. ثلاثة أرباع الجنيه .. ثمنا لبعض الكتب الحقيرة ، كما وصفها .. واذ سمع اقتراحى بأن نتوجه الى احدى الحانات لنتناول بعض الشطائر والنبيذ ، لبى الدعوة مرحبا ، وقد أشرق وجهه بالابتسام .. وقضينا الساعتين التاليتين فى التنقل من حانة الى أخرى ، وخلال ذلك عرفنى جيمز بنماذج عجيبة من البشر .. مثل « أوسكى » الذى يدير مطعما ، لا يقدم فيه سوى السمك ، واذ كان بلا رأس مال ، فقد كان يطلب الحساب من العميل مقدما ، ويرسل تابعا له لشراء السمك ، وعلى العميل أن يصبر على الجوع ، حتى يفرغ « أوسكى » من طهوه !

ونموذج آخر قدمه جيمز لى : « فارتى روبرتس » ، أمهر لاعب شطرنج فى العالم ! .. وكان روبرتس ، فيما بدا لى ، واسع الثقافة ، برغم ملابسه الممزقة ومظهره الزرى .

وغيره .. وغيره .. وكدت أسقط اعياء ، بعد أن قضينا عدة ساعات فى التجول على الاقدام .. وكانت السماء قد

امطرت ، وسرت الرطوبة الى جسدى ، فشعرت بحنين الى ان تكون لى غرفة خاصة ، لا يشاركنى فيها أحد ، دافئة ، أستطيع أن آوى اليهـا لأتمتع بقـدر من النوم .. فأخـذت استحث « جيمز » على أن يتركنى ويرحل حتى يمكننى أن أستأجر غرفة ، غير أن هذه الفكرة أثارت استياءه ، وما لبث أن سألنى عما تبقى معى من نقود ، فلما أخبرته بأنها لا تزيد على العشرين جنيهـا ، فاجأنى باقتراح غـريب : فما دامت تلك النقود لا تكفينى لأكثر من أسـبوع ، فانه يقترح أن نعيش معا على ذلك القدر من المال لمدة عشرة أيام ، ثم يتكفل هو بى لمدة أسبوعين ! .. والغريب أننى سرعان ما اقتنعت بمنطقه ، ووافقت دون تردد ، فابتسم وقد لاح على وجهه الرضـا والسرور ، وقال : « والآن .. أتشعر بحاجة الى النوم ؟ .. حسنا .. سأعثر لك على غرفة ! »

وعبرنا شارع « أوكسفورد » ، ثم عرجنا على شارع « بيرسى » مخترقين ميدان « راثبون » ، وهناك توقفنـا أمام أحد المنازل ، وأخبرنى جيمز أن احـدى صديقاته ـ وكانت تعمل « كموديل » للفنانين ـ تسـتأجر غرفة فيه ، وأن بوسعى أن أنام فى غرفتها حتى السابعة مساء ، وهو موعد عودتها من العمل !

وكانت الغرفة فى الطابق العاشر ، ولما فتح جيمز البـاب بمفتاح كان يحتفظ به فى جيبه ، وجدت الغرفة فى حالة من الفوضى لم أر مثيلا لها من قبل ، وقد تناثرت فى أرجائها العلب الفارغة ، وأعواد الثقاب المطفأة ، والاوانى القذرة .. الخ ..

وانسحب جيمز متعللا بأنه ذاهب الى المتحف القومى ، وسيعود بعـد ساعتين ، وما أن وجـدت نفسى بمفردى فى الغرفة حتى أخذت حماما ، وحلقت لحيتى التى طال شعرها ،

فاحسست بانتعاش ، واستلقيت فى استرخاء فوق الفراش وأنا أحاول النوم ، ولكن دون جدوى ، اذ لم أكن قد ألفت جو الغرفة ، فالتقطت كتابا من كتب « نيتشة » ، وقضيت ساعة أقرأ فيه ، وبعدها سمعت وقع خطوات تصعد الدرج ، فظننت أنها صاحبة الغرفة قد عادت .. ولكن ما ان فتح الباب حتى فوجئت بجيمز واقفا أمامى يقول انه أحضر معه فتاة تدعى « جنيفر » ، وطلب منى أن أتظاهر أمامها بأننى مستأجر الغرفة ..

كانت الفتاة فى نحو السابعة عشرة من عمرها ، ترتدى ملابس أنيقة ، وفى حديثها لكنة أهالى (الميدلاند) — وهى لكنة بنى وطنى — وقدمنى « جيمز » اليها على اننى واحد من ألمع أدباء لندن ، وينتظرنى مستقبل باهر . وأدركت أنه متلهف على أن يخلو بالفتاة ، فارتديت معطفى وغادرت الغرفة ، وقد غمرنى احساس بالحسد والغيرة .. فقد كانت الفتاة فاتنة حقا .. !!

وما أن وصلت الى الطابق الارضى حتى تذكرت الفتاة التى تواعدنا على لقائها فى الحانة ، كى برسمها ، فرفعت رأسى وصحت : « لا تنس اننا مرتبطان بموعد بعد ساعة فى الحانة ، مع الفتاة النيوزيلندية ! » .. وجاءنى صوت جيمز من أعلى : « أوه ، يا الهى ، لقد نسيت .. سأحاول أن اذهب ، ولكن اذا لم أحضر فى الموعد ، فاذهب بمفردك للقائها » ..

وخرجت الى الشارع وقد اجتاحنى احساس غامر بالارتياح ، ووجدت نفسى أتمنى أن يجد جيمز نفسه مشغولا لمدة ساعات أخرى ! .. وبينما انا أسير فى شارع (توتنهام رود) استولى على فجأة شعور غريب ، وكأننى أصبت بشلل فى تفكيرى ، فكدت أعجز عن عبور الشارع ! ..

ولا شك أن الغيرة لعبت دورا كبيرا فى ذلك ، اذ عادت الى ذاكرتى أحداث الساعات الاربع والعشرين الاخيرة : جيمز مع « دورين » .. ثم جيمز مع « ميرا » ، ثم مع «جنيفر» ! **وغمرنى احساس شديد بالخجــل ، بل بدا لى تلهفى على مقابلة الفتاة النيوزيلندية أمرا مزريا .. وبدت لى المدينة أشبه بكتلة من الاسمنت المسلح الاصم ، فى أنكارها للحقائق .. ماذا لو أننا كنا من ابناء جيل يتمسك بالاخلاق الطيبة ، لا من جيل لا أخلاق له !** .. وتساءلت : ماذا يجب علينــا أن نفعل ؟ هل ننسف المدينة كما اقترح « مارتى » ، بطل العالم فى الشطرنج ؟ .. وبدا لى الامر معقولا ! ..

ولما وصلت الى الحانة وجدتها تكاد تخلو من الرواد . ولم أكد اجلس فى أحد الاركان ، وأطلب لنفسى قدحا من البــيرة ، حتى دخلت «دورين » ، ولاح على وجههــا السرور لرؤيتى ! .. لكن فرحتى لمحافظتها على الموعد ما لبثت أن تلاشت عندما أدركت أنها جاءت فقط لرؤية « جيمز » ، فاعتذرت لها بأن أمرا طارئا منعه من الحضور .

وراحت تستدرجنى فى الحديث ، حتى علمت بأمر الصفقة التى عقــدتها مع « جيمز » ، فصاحت بى : « أتعنى أنك ستأتمنه على مالك ؟ » .. وأجبتها : « وما المانع ؟ أتظنين أنه سيغدر بى ؟ اننى لا أجازف بالكثير ، على أى حال .. ثم اننى لا أرغب الآن فى الالتحاق بعمل ! » ..

ـ لكنك ستضطر الى العمل ان آجلا أو عاجلا .. أم تراك تنوى أن تعيش على التسول .. ؟ !

وبعد فترة سألتها عن صديقها الذى كان معها فى الليله الماضية ، فأجابت بأنها تخلصت منه بعد أن حاول أن يجردها من ملابسها بالقوة فى سيارة الاجرة ! .. ثم عادت تتحدث من جديد عن موضــوع عثورى على عمــل ، فأجبتها بأننى

لا أرغب فى الالتحاق بعمل فى أحد المكاتب ، فهذه الاعمال تثير فى نفسى الشعور بالملل ، فسألتنى عن نوع العمل الذى أرغب فيه ..

وهنا انطلقت أحدثها عما كنت أحلم به دائما .. مجتمع من الفنانين والادباء ، يستخدم كل فرد فيه مواهبه وذكاءه ليقوم بأود زملائه ، حتى لا يضطروا للعمل لدى الغير .. فلو أننا استطعنا العثور على عدد من الناس يدينون بهذا المبدأ ، لكان فى امكاننا أن نشترى بمبلغ زهيد منزلا قديما ، نحوله الى مايشبه ((ديرا)) للفنانين ، نتقاسم فيه العمل بالتساوى ، فاذا ما نجح أحدنا فى نشر كتاب له ، أو بيعت له صــورة ، فانه يســاهم بجزء من المبلغ فى الانفاق على الآخرين ..

وعندئذ سألتنى ، أين يمكننى أن أعثر على أحد يؤمن بهذا الراى ؟ .. فأجبتها بأن حى « سوهو » يغص بعشرات منهم فى هذه اللحظة . ولكى أثبت لها ذلك رافقتها فى جولة فى حانات الحى ، وعرفتها ببعض الشخصيات التى قابلتها فى الليلة الماضية ، وقد علقت « دورين » على تلك النماذج البشرية ضاحكة بقولها : « يا لغرابة أصــدقائك ..! هــل يتحدثون جميعا مثلما تحفل به الروايات .. ؟! »

وأخيرا أبدت رغبتها فى العودة ، ثم أعطتنى رقم تليفونها كى أتصل بها فيما بعــــد ، فودعتها وعدت الى احدى تلك الحانات .. وهناك وجدت جيمز جالسا ، ولما سألته عن الفتاة التى كانت برفقته أجاب بأنها تدعى « تشارفنج جنيفر » ، وأنه قابلها فى المتحف القومى ، وهى تعمل فى أحد المكاتب بحى (توتنهام) ، وقد خطبت « لباشكاتب » فى أحد مكاتب البلدية ، ولما كانت تريد أن تستمتع بآخر لحظات « العزوبية » فقــد رحبت فورا باقتراح جيمز أن تصــحبه الى منزل أحــد

آصــدقائه ، بعــد أن قال لها انه لا يجدر بهــا أن تدع ذلك « الباشكاتب » ــ الذى كان أشبه « بجثة محنطة » ــ ينقلها من عالم الفنيات العذارى الى عالم النساء ٠٠!!

وحاولت أن أخفى معالم الغيرة من وجهى ، وسألته : « وهل أستمتعت هى برفقتك ؟ » ٠

ــ لا أظن ٠٠ بل ولا أنا أيضا ٠٠ ان مشاركة العــذارى الفراش عمل شاق ٠٠!

وتناولنا قدحين من البيرة ، مال بعدهما جيمز الى الخلف بكرسيه وهو يهتف : « ايه ، أيتها الحرية !٠٠ انك الشىء الدى لا يفهمه أولئك الكلاب البورجوازيون ٠٠ ولنضرب مثلا بذلك « الباشــكاتب » اللعين : **انه يتمتع بكل الصفات التى يقدرها المجتمع : وظيفة مرموقة تدر عليه ايرادا كبيرا ، ومنزلا يملــكه فى الضــواحى ، وكل ما تشــتهيه امراة ٠٠ ولكن « جنيفر » تفضــلنى عليه ! ٠٠ أتدرى لمــاذا ؟ لان رائحة « الحرية » تفوح منى ! ٠٠ بل لقد بلغ بها الامر الى حــد أن قالت لى انها تتمنى أن تحمل منى ٠٠ لانها تفضل أن أكون أنا والد طفلها !** »

ولم أتمالك نفسى من الضحك ، وسألته : « ولكن ، مافائدة « الحرية » اذا كنت لا تعرف أين ستجد وجبتك التالية ؟! »

ــ ولكنى أعرف ! ٠٠ سأتناولها على حسابك ؟!

ــ ٣ ــ

● **واذ** كنا لا نعرف مأوى نبيت فيه ليلتنا ، فقد قضيناها راقدين فى القطار ، ولم يكلفنا الامر أكثر من ثمن بطاقة دخول المحطة ٠ وفسر لى جيمز بعض آرائه عن مفهومه للحرية ، فقال ان جميع الناس ــ فيما عدا البوهيميين بالطبع ــ منافقون

٠٠ انهم ينفقون حياتهم فى السعى الى الحصول على جهاز تليفزيون أو « غسالة » كهربائية ، لكن الشيء الوحيد الذى يعجزون عن الحصول عليه هو « الكرامة الانسانية » ٠٠ ذلك أن العبد لايستطيع أن يذوق طعم الكرامة ٠٠ وهذا هو السبب فى كراهيتهم للبوهيميين ، الذين يرفضون أن يبيعوا أنفسهم للوهم الاكبر ٠٠ ولا يقبلون التزوير أو التدليس ! ٠٠ « ان الناس لا يفهمون أن كبار المصلحين عاشوا مشردين ، ليس لهم مأوى ٠٠ والا فهل يمكنك أن تتصور « المسيح » فى سيارة « كاديلاك » ؟! بالطبع لا ٠٠ ذلك أنه عاش مثلنا ٠٠ متجولا فى الحقول ٠٠ !! »

ثم اقترح جيمز ان يعرفنى ببعض أصـــدقائه من الفنانين والفنانات ، الذين يشـــاركهم الاقـــامة فى مسكنهم احيانا ، ولما ارتقينا الدرج ، كدت أتعثر أمام الباب فى رجـل وامرأة افترشا حشية على الارض • وقفزنا فوق النائمين ، وفتح جيمز الباب بمفتاح كان يحمله فى جيبه أيضا ، فتعثرت قدماه بحشية أخرى ، وصاح أحد النائمين : « من هناك ٠٠ ؟ » ، بينما جاء صوت آخر من الداخل صائحا : «أغلق الباب أيها اللعين ٠٠؟»

وأضاء جيمز النور ، فوقع بصرنا أول ما وقع على الرجل الذى تعثرت فيه قدما جيمز • كان رجلا بدينـــا ، ذا لحية سوداء طويلة ، ورأس أصلع • وفى الناحية اليسرى رأيت فراشا مزدوجا احتله ثلاثة أشخاص ، وفى الوسط استغرق اثنان فى النوم فوق حشية مصنوعة من المطاط ، وفجأة برز من تحت الغطاء رأس أحـــد الثـلاثة الذين يشغلون الفراش المزدوج ، فاذا هى فتاة شاحبة الوجه ، ذات شعر طويل أسود فاحم ، ولما وقع بصرها على جيمز طلبت منه أن يعد الشاى ! !

وما لبثت الفتـــاة ان تسللت من بين الرجلين اللذين كانت

ترقد بينهما ، وهبت واقفة على قدميها ، فكدت أصعق اذ رايتها لا ترتدى من الثياب الا قطعة واحدة هى مشد الصدر « السوتيان » .. فلما لمحتنى التقطت معطفا سترت به جسدها العارى ، وراحت تتثاءب وتتمطى ! .. وبدا أنها لم تكن قد نالت قسطا كافيا من النوم فى تلك الليلة ، اذ سرعان ما عادت الى الفراش قائلة انها ستنام حتى يفرغ جيمز من اعداد الشاى . ولما كنت غريبا عنهم ، فقد دفعها الخجل والحياء (!) الى أن تسدل الغطاء فوق جسدها ، قبل أن تخلع المعطف وتلقيه بعيدا عنها .

وفى تلك الاثناء استيقظ الآخرون ، وعاد جيمز من المطبخ حاملا أبريق الشاى ، فوزعت « فيرا » ــ وهذا اسم الفتاة ــ الشاى علينا مع شطائر الجبن ، ورأيت أن أساهم فى ثمن الافطار فدسست فى يد « فيرا » عشرة شلنات ، غير أن هذا التصرف أغضب جيمز ، فقال انه يخشى أن ينظروا الى بعد ذلك وكأننى « مليونير » أبعثر أموالى ذات اليمين وذات اليسار .. !

وفى الطريق أخبرنى جيمز ان سكان ذلك البيت هم جميعا من الفنانين والادباء العاطلين ، الذين لا مورد لهم ، فيما عدا الرجل البدين الاصلع الرأس ، الذى كان صحفيا مشهورا يدعى « هوفمان » .. فلما سألته عما يفعله مثل هذا الرجل بين ذلك الجمع الغريب من الناس ، أجابنى بأنه يخشى ــ فيما يبدو ــ أن تدركه الشيخوخة قبل أن يستمتع بملذات الحياة الى أقصى حد ، ومن ثم فهو يتردد بين الحين والآخر على ذلك المنزل ، كى يستمتع فيه بالحرية ، والخمر ، و « الحشيش » ، والنساء !

ثم أخبرنى بأن رساما مغمورا يدعى « ريكى بريلاتى » يدير

شئون المنزل ، وهو يدين « بالشيوع المطلق » في معاشرة النساء ، فهو يرى أن لكل رجل الحق فى اقامة علاقة جنسية مع أية فتاة يشتهيها ، وترضى به !

ــ ولكن ٠٠ ماذا يحدث لو اشتهى رجلان فتاة واحدة ؟

ــ فى هذه الحالة تترك حرية « الاختيار » للفتاة نفسها ، أما اذا كانت من طراز « فيرا » ، فانها تقتسم الفراش مع الرجلين معا ٠٠ !!

- ٤ -

● **وفى** اليوم التالى ، تركنى جيمز فى احدى الحانات ليذهب الى المتحف البريطانى ، عله يجد هناك من يطلب منه رسم صورته ! ٠٠ وجلست وحيدا أجرع كؤوس الخمر كأسا تلو الاخرى ، وبعد قليل شعرت بدوار ، فخرجت الى الطريق ، لكن لذعة الهواء البارد زادت حالتى سوءا ، فسرت أترنح ذات اليمين وذات اليسار ، وفجأة لمحت « دورين » تحملق فى ٠٠ **وبنظرة واحدة منها الى أدركت أننى قد أفرطت فى الشراب ، وخشيت أن يصيبنى سوء اذا سرت فى الطريق بمفردى ، فامسكت بذراعى وسارت الى جوارى ، حتى بلغنا مسكنها ٠٠ وهناك أدخلتنى الحمام ، وأجلستنى على حافة « البانيو » ثم قدمت لى شرابا لتهدئة المعدة ، فشربته فى جرعة واحدة ، ثم قادتنى الى غرفة نومها ، وما أن لامس جسدى فراشها حتى استغرقت على الفور ، فى نوم عميق ٠٠ !**

٠٠ وعندما استيقظت كانت الغرفة تسبح فى ظلام دامس ٠٠ ولم أجد « دورين » ، فأدركت أنها خرجت ٠ وكان تأثير الخمر قد زال عنى ، وسرت الى أنفى رائحة عطرية منبعثة من الوسادة ، فطبعت قبلة عليها ، ثم عدت الى النوم العميق ٠٠ وعندما فتحت عينى مرة أخرى وجدت « دورين » واقفة أمام

الباب ، مرتدية معطفا بلله المطر • وألقيت نظرة سريعة على « المنبه » فاذا بها الساعة السابعة •• يا الهى ! لقد نمت سبع ساعات كاملة !!

وسألتنى « دورين » عما اذا كنت جائعا •• وبعد أن تناولت قليلا من الطعام تذكرت أننى كنت قد اتفقت مع جيمز على لقائه فى محطة (واترلو) ، ولكن « دورين » منعتنى من الخروج قائلة ان بوسعى أن أقضى الليلة فى مسكنها ، هذا اذا كان النوم فوق أريكة لا يضايقنى •• !

وحلقت ذقنى التى طال شعرها ، وقضيت فى الحمام وقتا طويلا أنثر الماء حولى كطفل صغير •• فلما خرجت أحسست كأننى أولد من جديد ، وقد سرى الانتعاش والراحة الى جسدى ، واذا بى أرى شابا وفتاة جالسين فوق الاريكة ! •• وعرفتنى « دورين » بهما ، كان الشاب يدعى « رود » والفتاة «تامى» ، وكانا خطيبين على وشك الزواج • وبعد قليل عثرا على « الجرامفون » فوضعا فوقه اسطوانة راقصة •• وعلى أنغام الموسيقى ورنين كئوس الشراب ، دار الرقص وشرب الخمر حتى سقط الاثنان اعياء وثملا •• فلم تجد « دورين » مفرا من أن تعد لهما الاريكة التى كنت أمنى نفسى بالنوم فوقها •• !

وأعدت لى « دورين » فراشا على الارض من بعض البطاطين ، ولما تهيأت للنوم ، أمسكت بيدها تعبيرا عن شكرى وامتنانى ، فانحنت على وطبعت على شفتى قبلة خاطفة ، ثم خرجت بسرعة وأطفأت النور •• !

وبينما كنت أستمع الى صوت انسياب الماء فى الحمام ، شرد ذهنى الى الاحداث العجيبة التى وقعت لى خلال الايام الثلاثة الماضية ! •• لكن غطيط « رود » ــ الذى كان اشبه بصوت قطار سريع ــ قطع على تسلسل أفكارى •• وبعد خمس

دقائق فتح باب الحمام ، وظهرت « دورين » مرتدية غلالة نوم شفافة ٠٠ !

وراحت « دورين » تهز « رود » في عنف ، لكن صوت غطيطه ازداد ارتفاعا ، فانضممت اليها ٠٠ ويبدو أنه ظن اليد التى تهزه هى يد « تامى » ، فانه قبض عليها وأدناها من شفتيه ، وطبع عليها قبلة ٠٠ فانفجرت « دورين » ضاحكة ، وأخيرا تمكنت من تخليص يدى من قبضته ، بعد أن دفعت اليه بدلا منها بيد « تامى » ! ٠٠ واذ ذاك التفتت « دورين » الى قائلة : « أعتقد أنه لا مفر من أن تنام فى حجرتى » ٠٠ ولم أكن فى حاجة الى الحاح منها ، فحملت بطاطينى وهرعت الى غرفتها ــ قبل أن تغير رأيها ! ــ وسألتها : اين سأنام ؟

ــ هل تعد بأن تلزم حدودك !

ــ بالطبع ٠٠ !

ــ اذن ٠٠ بوسعك أن تنام فى فراشى !

٠٠ ووضعت وسادة تفصل بيننا ، فرقدت على الجانب الذى حددته لى ، بينما نامت هى على الجانب الآخر ٠ وراحت الافكار تتضارب فى رأسى ٠٠ ولم أجد تعليلا للسعادة التى غمرتنى ٠٠ لم يكن ما أحسه نحوها شهوة حسية ، لكن مشاعرى كانت تفيض عاطفة وحنانا ٠٠ كلا ٠٠ لم أكن أعشقها ، ولا كانت تتملكنى رغبة فى الزواج منها ٠٠ وانما كان احساسى نابعا من شغفى بالانوثة فى ذاتها ، شغفا لم يهبط الى مستوى الشهوة !
وخيل الى ان القدر شاء أن يعوضنى عن متاعب الايام الثلاثة الماضية ، فأغدق على تلك اللحظات التى تفيض خيالا وسموا بالروح ٠٠ وسرعان ما أدركت أن الحياة التى يطلق عليها الكتاب « الحياة البوهيمية » انما هى حياة جرداء ، تبعث على السأم والضيق ٠٠ ورحت أسائل نفسى : لماذا يبدو رقادى الى جوار « دورين » أمرا غريبا ؟ وهل كان الامر سيبدو

كذلك لو كانت الفتـــاة هى « ميرا » ــ مثـــلا ــ وليست « دورين » ٠٠ ؟

وفى السادســة صباحا غفوت اغفــاءة قصــيرة ، مفعمــة بالسعادة ! ٠٠ غير أننى استيقظت بعد ساعتين على صوت فتح الباب ، فوقع بصرى على امرأة عجوز تنظر الينا من فرجة الباب، فأدركت ــ على الفور ــ أنها صاحبة المنزل ، الا أننى لم أر جدوى من ايقاظ « دورين » ، فخرجت الى الصالة ٠٠ وهناك رأيت « رود » و « تامى » مستغرقين فى النوم ، وقد انحسر ثوب « تامى » الى خصرها ، فـكشف عن جورب حريرى شفاف ، وفخذين عاريتين فى بياض الثلج ٠٠ !!

وعدت على أطراف أصـــابعى الى الفراش ، وفى هذه المرة ألقيت بالوسادة التى تفصلنى عن « دورين » بعيدا ، ورقدت ملتصقا بها ٠٠ وكانت هى مستلقية على ظهرها ، وقد ألقت باحدى ذراعيها خارج الفراش٠٠وسرعان مااستغرقت بدورى فى النوم ، وقد أحطت خصرها بذراعى ، وشفتاى ملتصقتان بوجنتها ٠٠

وأيقظتنى « دورين » بعد ساعة ، لتقدم لى قدحا من القهوة ، ثم عادت الى جوارى فوق الفراش ، دون أدنى احساس بالخجل ٠ وأخبرتنى أن صاحبة المنزل ثارت غضبا لاستضافتها « رود » و « تامى » ، وأنها أنذرتها بمغادرة المنزل ٠٠ وعلى الفور خطر على ذهنى منزل شارع « نوتنج هيـــل » ٠ وبرغم أننى كنت أشك كثيرا فى أن تقبل السكنى فى ذلك المنزل ، الا أننى لم أر ضيرا فى اقتراحه ٠٠ وكدت أرقص طربا عندما وافقت على الفور دون أن تبدى أية معارضة ، ورحت أهنىء نفسى على هذا ٠٠ فعلى الاقل ، أصبح بوسعى الآن أن أحتفظ بها لنفسى لمدة يومين !

٠٠ وشعرت بسعادة لم أشعر بها منذ جئت الى لندن !

- ٥ -

● **وتركت** « دورين » تعد حقائبها ، وذهبت الى (المقهى الفرنسي) كي أعتذر لجيمز بسبب تخلفي عن لقائه بالامس ، لكنه استقبلني بود وترحيب ، ثم قصصت عليه كيف قابلت « دورين » ، وما كان من قضائي الليلة في مسكنها ، ثم تفكيري في أن أستأجر لها غرفة في منزل « نوتنج هيل » ..

وعدت متأخرا لأجد « دورين » تنتظرني بفارغ الصبر ، فانها خشيت أن يكون جيمز قد أقنعني بأن أنفض يدى من أمرها ! .. ولما وصلنا الى المسكن الجديد ضغطت على الجرس ، ولكن أحدا لم يجبنا ، فصعدنا الى الطابق الاول ، واذ لم نجد أحدا هناك تابعنا الصعود الى الطابق الاعلى حيث يقطن « ريكي بريلاتي » ، الرسام الذى أخبرني « جيمز » بأنه المشرف على شئون المنزل .

ووجدناه شابا في مقتبل العمر ، ضخم الجثة ، ذا لحية سوداء مشعثة ، ويرتدى سروالا قذرا من « الفانيلا » ، يثبته باحدى « كرافتاته » بدلا من الحزام ، وجاكتة « بيجامة » ملطخة ببقع الألوان . وما أن عرف بغيتنا ، وأن « دورين » على جانب من الثراء ، حتى وافق على الفور على تأجير غرفة لها ، وكانت الغرفة في حالة يرثى لها ، لكنني حين عرفت أن ايجارها جنيه ونصف الجنيه في الاسبوع فقط ، بادرت الى دفع قيمة ايجار ثلاثة أسابيع مقدما .. وحاولت «دورين» أن تعيد الى الحجرة شيئا من النظام ، فالتقطت من الارض أعواد الثقاب المستعملة ، وقطع الزجاج والصيني المتناثرة على الارضية ، ثم جلست تعد قائمة بالاشياء التى نحتاج اليها ، وقالت لي انها أعجبت بالرسام ، فأجبتها بأن رسومه توحى بأنه يملك موهبة فذة !

وبرغم أنني كنت قد واعدت « جيمز » على تناول طعام الغداء معه ، الا أن التعب حل بي ، فاستلقيت فوق الفراش بكامل ملابسي ، وما لبثت « دورين » أن رقدت بجواري • وبعث في ذلك ، في بادىء الامر ، احساسا بالانفعل أطار النوم من عيني ، ولكن ما أن لففت ذراعي حولها ، وضغطت هي على يدي ، ثم جذبتها الى صدرها ، واستغرقت في النوم ، حتى سرى الخدر الى جسدي كله ، فاستغرقت أنا الآخر في نوم عميق ••

واستيقظت على صوت « جيمز » يصيح من الخارج ، فتسللت من الفراش بهدوء وخفة ، فطلب مني أن أذهب معه الى حي المسارح ، حيث اعتاد أن يقدم ، من وقت لآخر ، احدى التمثيليات أمام رواد المسرح الذين يصطفون في طابور أمام «شباك التذاكر» •• وحين وصلنا الى هناك راح « جيمز » يردد ، في أداء مسرحي بارع ، مقتطفات من احدى مسرحيات شكسبير ، فصفقت له الجماهير اعجابا وطربا ، أما أنا فقد سرت أمام الطابور وفي يدي ورقة لفت على شكل قبعة ، ألقى كل منهم فيها قطعة نقدية صغيرة •• فلما أحصينا النقود ، في أحد المقاهي ، وجدناها تربو على عشرة شلنات • وسألت « جيمز » لماذا لايرتزق من هذه المهنة ، مادام يتمتع بموهبة في التمثيل ، فأجابني بأن المرء اذا كرر الشيء نفسه كل يوم ، فقد اللذة التي يشعر بها في بادىء الامر ، وصار محترفا بدلا من أن يكون هاويا •• ثم أنه يعرف خمسين طريقة أخرى لكسب المال •• !!

•• وانطلق يشرح لي فلسفة الحرية التي يعتنقها قائلا : « دعني أشرح لك كيف بدأت حياة «الصعلكة» : لقد جئت الى حي « سوهو » فور تسريحي من الجيش ، وأنا لا أملك من النقود الا جنيهين ، وفي الليلة الاولى التقيت في احدى الحانات

بفتاة من طالبات مدرسة الفنون ، لمحت فى عينيها الرغبة فى قضاء بعض الوقت معى •• !! لكنى لم أكن أعرف مكانا أصحبها اليه • وأخيرا دلنا أحد الاشخاص على مكان كان يستخدم فيما مضى كدار للسينما ، ولما لم يكن فى المكان مقاعد، فاننا افترشنا الارض ، وكانت السماء تمطر فاضطررنا الى تغيير موضعنا عدة مرات ••

« وبعد أن ودعتها سرت أتسكع فى شوارع المدينة ، منعما النظر فى أولئك المساكين الذين يسعون الى رزقهم • كانوا فى طريقهم كى يكسبوا مزيدا من المال ولكن لحساب أصحاب الاعمال الاغنياء ، فوقعوا بين تروس الآلة الضخمة ، دون أن يفقهوا شيئا عن معنى الحياة والحرية •• ! »

وفرغ جيمز من سرد ذكرياته ، فانتقلنا ــ هو وأنا ــ من المقهى الى أحد الكهوف التى يغص بها حى « سوهو » ، وهناك جذب انتباهى رجل تبدو عليه مظاهر الثراء ، فأخبرنى « جيمز » أنه من هواة الفن ، وله نفوذ كبير فى دنيا الصحف التى تنشر الانتاج الادبى والفنى ، وأنه يدعى « سير ريجنالد بروبتر » • ووجد جيمز فى مقابلته فرصة لتقديم خدمة لصديقه الرسام « ريكى بريلاتى » ، فاصطحبه الى المنزل ، وهناك وجدنا « دورين » جالسة وسط « المجموعة » كلها ، وقد انهمكوا فى الشراب وتدخين « الحشيش » ، وسررت اذ لاحظت أن « دورين » تجلس على مقعد مستقل ، ولم تفعل مثل الفتيات الاخريات اللائى انتثرن فوق الحشايا ، وسط عدد أكبر منهن من الرجال ، وطلب « جيمز » من « دورين » أن تحضر احدى اسطوانات الموسيقى من غرفتها ، فتطوعت أنا بالذهاب معها •• وبينما كانت منهمكة فى اختيار الاسطوانة ، أدرتها فجأة نحوى ، ثم طبعت على شفتيها قبلة حارة ، ولكنها تملصت منى

قائلة : « أرجوك .. لا تفعل هذا ، فقد يروننا ! » . لكنى ما أن ضممتها الى صدرى ثانية ، حتى شعرت بجسدها الدافىء يلين بين ذراعى ، وانفرجت شفتاها لتلتقيا بشفتى .. ورحت أقبلها فى كل مكان من جسدها ، وأنا أحس بالحرارة تنبعث من جسدينا ..

.. وأخيرا ، دفعتنى عنها وهى تقول : « أتريد أن نفعل مثل أولئك الذين يعيشون فى الطابق الاعلى ؟ » .. فأجبتها ، وأنا أحاول أن أخفى اضطرابى : « لماذا ؟ .. ماذا يفعلون ؟ »

ـ لا شىء .. لكنهم لا يحاولون اخفاء علاقاتهم ! .. لقد افرطت تلك الفتـــاة « فيرا » فى الشراب ، ثم راحت تقبـــل « تومى » وفمها ملىء بالنبيذ ! . . وما لبثـا أن غادرا الغرفة متعانقين . وأعتقد أنهما لو كانا أكثر ثملا ، لما ترددا فى اطلاق العنان لشهواتهما أمام الآخرين .. !

وبعد أن أعطينا الاسطوانات لبقية أفراد المجموعة ، صعدت مع « جيمز » و « دورين » و « سير ريجنالد » الى الطابق الاعلى لزيارة الرسام « ريكى » . وطرقت بابه ، ولكن أحدا لم يرد ، ففتحته بهـدوء وتسللت الى الداخل ، وهنـــاك لمحت « ريكى » واقفا على بعد ست أقدام من لوحة كان منهمكا فى رسمها ، وقد بدا كأنه منوم تنويما مغناطيسيا ، وبالقرب منه جلس فتى هندى صغير ، عاريا كما ولدته أمه ، متربعا فوق البساط ..

ووقف « جيمز » مستغرقا فى تأمل اللوحة ، فانضممت اليه، واذ ذاك أدركت السبب الذى جعل الرسام يبدو كأنه منوم تنويما مغناطيسيا . لقد كانت اللوحة تحفة رائعة ، تنبىء بوضوح بمدى الجهد والموهبة الخارقة اللذين بذلا فى اتمامها . وما لبث « جيمز » أن ضرب الرسام على ظهره صائحا : « أيها

الفنان الملهم ٠٠ لقد خلقت تحفة لا مثيل لها ٠٠ ألا توافقني على ذلك ياسير ريجنالد ؟ » ٠

وأفاق « ريكي » من غيبوبته ، ونظر الينا في فضول يخلو من أى شعور بالعداء ، متسائلا كيف دخلنا ؟ ثم أخبرنا أنه أطلق على اللوحة اسم « نارينـدا » ٠٠ ولما سأله « سير ريجنالد » عما اذا كان يرغب في بيعها ، أجابه في جفاء : « كلا ٠٠ كلا » ٠٠ لكن « جيمز » خف الى نجدته قائلا انها لم تنته بعد ٠؛

وبعد قليل سمعت جيمز يهمس في أذن سير ريجنالد : « لا تطلب منه أن يبيعك واحدة من لوحاته ٠٠ انتظر حتى نعرفه أكثر ! » ٠٠ فلم أملك الا أن أشعر بالاعجاب بقدرة « جيمز » على اتمام الصفقات ٠٠

ولاحظت أن « دورين » كانت ترمق « ريكي » بنظرات تنم عن الاعجاب بشخصه ، أكثر من اعجابها بلوحاته ٠ ورغم أنني كنت أشاركها ذلك الاعجاب ، الا أنني شعرت بالغيرة تنهش قلبي ٠٠ !

- ٦ -

● **لقد** استطعت حتى الآن أن أسرد على القارىء كل الأحداث التي وقعت لي منذ اليوم الأول الذى وصلت فيه الى لندن ، حسب تسلسل وقوعها ، ولم يكن ذلك عسيرا فقد كانت تلك الايام مزدحمة بالاحداث ٠٠ ولكن ما أن وصلت الى اقامتي في غرفة واحدة مع « دورين » حتى وجدت نفسي في حاجة الى التدقيق في اختيار الأحداث التي ينبغي أن أدونها هنا ٠٠ فلم يمض وقت طويل حتى عثر « جيمز » على عمل مؤقت في حي (لوتون) ، ولم يعد يتردد علينا كثيرا ،

مما جعلني أتنفس الصعداء ، فقد كانت « دورين » غير مرتاحة الى علاقتى به ، وما بدا من نفوذه على ..!

واذ أصل الى هذه المرحلة ، أشعر بأنه ينبغى لى أن أتحدث فى اسهاب أكثر عن « دورين » ، **وليس بوسعى ان ادعى اننى كنت أعرفها جيدا ، قبل ان اشاطرها المسكن . ولما كنت قليل الخبرة بالنساء ، فان تعلق ((دورين)) بى وقبولها ان اشاطرها غرفة واحدة ، افقدانى توازنى ..!**

لقد حاولت لعـدة سـنوات أن أقنع نفسى بأن الثمن الذى ينبغى للمرء أن يدفعه مقابل كونه شـاعرا وفيلسوفا ، هو عدم أهليتـه وكفاءته فى الشئون الدنيوية .. وأن أنظر الى النظام كأنه بمثابة تجويع للشهوات البشرية .. وفجأة ، اذا بدورين توليني ثقة وطمأنينة لم تقدمهما لاحد غيرى ..!

لقد كان أبوها يدير عدة متاجر فى (نيوزيلندا) ، وكان سريع الغضب ، ذا حاسة ذواقة للجمال ، وكان يعاملها معاملة خاصة ، ولهذا تعلقت به .. الى أن علمت - ذات يوم - أن له عددا كبيرا من العشيقات !.. أما أمها فلم تعر الامر أهمية بالغة ، بل راحت تشغل نفسها باعطاء دروس فى الموسيقى فى جمعية خيرية للعمـــال ، وكرست « دورين » فترة من وقتها كل يوم لتتلقى دروسا فى العزف على البيـانو ، على يد مدرس يبلغ عمره ضعف عمرها .

وقد استطاع ذلك المدرس ان يوهمها بأن تعشقه . لكنه كان متزوجا ويخشى ان تفقده الفضيحة وظيفته فى الجامعة . ومن ثم حاول ان يقنعها بالانتقال معه الى مسكن آخر ، وان تعيش معه كعشيقة .!

وشاء طالعها الحسن أن يكتشف أبوها الامر قبل أن تبت

بقرار فيه ، فثــار ثورة عارمة ، وشهر مسدســـه فى وجه المدرس مهددا • ثم أرسلها الى انجلترا بعد أن زودها بمبلغ من المال يكفيها لمدة ستة أشهر ، ولم تكن قد قضت فى انجلترا الا اسبوعا واحدا عندما التقيت بها •

وأدركت من عشرتي معها أنهـــا تتصف بالوداعة ودماثة الخلق ، ولذلك كان الرجال الاقوياء الشخصيــة ـ من طراز « دون جوان » ـ يثيرون فيها التوجس والخوف ، كما أنهـا كانت تحس دائما بالوحشة والوحدة ، وبأنها فى حاجة شديدة الى صحبة الناس ، فلما تعرفت بى وجدت فى كل ما كانت تبحث عنه : كنت على عكس أبيها فى كل شىء ، وقد أحضرتها لتعيش فى منزل يغص بالنــاس الذين يثيرون الاهتمام ؛ فى نفس الوقت الذى قمت فيه بدور الدرع الواقى ضد تماديها فى اقامة علاقات معهم ••!

ولا شك أن « جيمز » كان سيضحك ملء شدقيه لو علم أننى ظللت أرقد معها فى سرير واحد دون أن أصبح ـ بالمعنى المألوف ـ عشيقها ••!! لكننى كنت أرى فى ذلك ، بعــد أن فشل مدرس الموسيقى فى اغوائها ، ثقة غاليــة منهــا ، فلم أحاول أن أستغل الفرصـــة • ولا يعنى هــذا أن « دورين » كانت باردة المشاعر ، أو انها لم تكن تجـــد لذة فى اقامة علاقة جنسية معى ، الا أنها كانت أشبه بفتاة مصابة بمرض المشى أثناء النوم ، وقد استيقظت فجأة وهى على حافة هاوية سحيقة ••!

لكن احســاسى بغرابة موقفى ما لبث أن ازداد ، وخشيت أن تحس بأننى فرضت نفسى عليهــا •• صحيـــح أنه كان بوسعى أن أتخلص من هذا الاحساس بعــدة وسائل ، كأن أدفع نصف ايجار الغــرفة ، أو اشترى لنفسى سريرا صغيرا

من النوع الذى يستخدم فى الرحلات .. كنت فى حاجة الى أن أخلو بنفسى قليلا ، وفى نفس الوقت كنت أخشى أن تظن « دورين » أننى أقدمت على مثل هـذه الخطوة بسبب رغبتى فى اقامة علاقة جنسيـة مع «فيرا» ، أو غـيرها من الفتيات اللائى كن يترددن على المنزل من آن لآخر ..

واتجهت بمشكلتى الى الرســام « ريكى » ، فأخبرنى أن أحد الطلبة قد استأجر غرفة بالمنزل ، ودفع ايجارها لمدة شهرين مقدما ، الا أنه لم يضع قدمه فيها منذ عدة أسابيع. وعرض على « ريكى » أن أشغل هذه الغرفة . وبرغم أنهـا كانت تستخدم من قبل كدورة مياه الا أننى وجـدت فيهـا بغيتى ، وزاد من سرورى أن علمت أن ايجارها لم يتجاوز خمسة شلنات فى الاسبوع .

الا أن مشكلة واجهتنى هى كيفية عثورى على مورد للرزق، فشعرت بحاجة ماســة الى الالتحاق بعمل منتظم ، وكانت وسائل « جيمز » العبقرية فى سبيل التهرب من العمل تتطلب من المرء مجهودا أكبر مما يبذله فى العمل ذاته !.. وازددت اقتناعا بهذا الرأى عندما وجدت نفسى جالسا بغرفة المطالعة فى المتحف البريطانى .. فقد شرعت فى كتـابة مذكرات صغيرة ، تمهيدا لنشرها فى كتاب تناولت فيه التناقض بين رأيين فى الحرية : الرأى الدينى والرأى الاجتماعى . وفى القسم الاول من الكتاب كنت أرغب فى بحث موضــــوع المبشرين الدينيين ، وأن أشرح رأى اليهـــود فى التنبؤات الواردة عن عودة المسيح ثانيةً ، وفى القسم الثانى أســجل نمو الآراء الاجتماعية عن الحرية ، مبتدئا بكتاب « اليوتوبيا » أو المدينة الفاضلة ، لمؤلفه « توماس مور » ، « ومدينـــة الشعب » لكامبانيلا . أما الموضوع الرئيسى فيرتكز على كتاب

« ولد الانسان حرا » للكاتب « جان جاك روسو » .
ولما جلست على مقعدى تلاشت رغبتى فى العمل ، فقد رأيت أمامى عددا كبيرا من الكتب ، واحترت أى كتاب أختار ..

وبدلا من أن أكتب شيئا وجدت نفسى أحملق فى فتاة فاتنة تجلس بجوارى . وما لبثت نظراتى أن تسللت داخل ردائها . واكتشفت أنها لم تكن ترتدى أية ملابس داخلية ، ورحت أسائل نفسى كيف أركز ذهنى فى موضوع نشأة الدين المسيحي بينما هو مشغول في مثل هذا الموضوع الحى الساخن ؟! فأغلقت الكتاب وعدت الى المنزل .

ولم أجد « دورين » فى غرفتنا ، فصعدت الى شقة « ريكى » ووجدته واقفا يضرب بريشته فوق لوحة ضخمة وقد رقدت أمامه فتاة عارية كما ولدتها أمها ، فى السابعة عشرة من عمرها .. ولما لمحنى « ريكى » طلب من الفتاة - وتدعى « ميلانى » - أن ترتدى ملابسها ، وذهبت « ميلانى » لتعد لنا الشاى ، فأخبرنى بأنها ابنة صاحبة المنزل ، ولما سألته عما اذا كانت قد أصبحت عشيقتهأجابنى بأنها ترغب فى ذلك ، ولكنه يرفض أن تكون له أية علاقة بفتاة عذراء ..!

ثم انطلق يشرح لى نظريته قائلا : « اننى أومن بأن الجنس وهم ، بل هو أكثر الاوهام جاذبية .. فلو أننى كان لدى الوقت الكافى ، أو كنت مثلك كاتبا ، لكرستحياتىلدراسته ، الا أننى أعتقد أنه لا يوجد أمام المرء الا طريقان لا ثالث لهما: اما أن يبحث عن فتاة شريفة فيتزوجها ، واما أن يلهو مع فتيات من طراز « فيرا » .. فتيات يستمتعن بالعلاقة الجنسية ، ولا يجدن فى ذلك غضاضة أو خجلا ، أما لو

سايرت « ميلانى » فلن تمضى أربع وعشرون ساعة حتى تحاول أن تفرض على شروطها ورغباتها ، محاولة التدخل فى شئونى الخاصة ، وبذلك لن تكون لى حياة خاصة مستقلة بى » .

وقضيت مع « ريكى » ثلاث ساعات نزلت بعدها الى غرفة « دورين » ، ولما أبلغتها بأننى استأجرت الغرفة التى أمام غرفة « ريكى » انهارت فوق الفراش ، ثم انفجرت تبكى بحرقة ، فأحطتها بذراعى فى حنان ، وأخذت أحاول أن أشرح لها أن انتقالى من غرفتها لم يكن وليد رغبة فى هجرانها .. وأخيرا بدت كما لو كانت قد اقتنعت بمنطقى ، وعاد الهدوء والسكينة الى فؤادها .. وما لبثنا أن احتفلنا — فى صمت ! — بعودة الصلح بيننا ، وغمرنا احساس جارف بالحنان والهدوء ، وكأننا نعرض أنفسنا لنسمة الصباح الباكر بعد حمام ساخن .. وأعدت لى «دورين» وجبة دسمة ، ثم أطفأنا النور واستلقينا فوق الفراش !

ولم تمض خمس دقائق حتى استغرقت هى فى نوم عميق ، وخيل الى أن وجهها كان يبدو — على ضوء النار المتوهجة فى المدفأة — فى براءة الاطفال ، ووضعت يدى فوق خصرها ، وشرد ذهنى فى آلاف الخواطر ... «ريكى» .. «ميلانى» .. و « جيمز » .. لم يكن قد مضى اسبوعان منذ هبطت فى محطة لندن ، ورأسى مشحون بالرغبة فى طلب الحرية ، وما لبثت أن أخذت أسائل نفسى متعجبا عما اذا كان البحث عن الحرية يقود المرء — لزاما — الى فراش امرأة ..؟!!

— ٧ —

● **واستيقظت** على صوت دقات على النافذة ، فتسللت من الفراش فى هدوء ، خشية ايقاظ « دورين » ، واذا بى أفاجأ « بجيمز » واقفا مع فتاة متوسطة الجمال ، وان كانت تتمتع

بقوام ممشوق ، وكانا يحمـلان عددا من زجاجات الخمر ٠٠ واستقبلته «دورين» فى برود ، وأخبرنا «جيمز» بأنه تطوع بأن يكشف للفتاة ـ « جوان » ـ ما تحفل به حياة الفنانين البوهيمية ، المغرقة فى الجنس ، من متعة وبؤس ٠٠!

ولحق بى « جيمز » فى دورة المياه ، وهمس فى أذنى طالبا منى أن أترك له ونصديقته ركنا فى الغرفة ليبيتا فيه ، فأجبته بأننى أترك له غرفتى فى الطابق الأعلى ، ليستخدماها كيفما يحلو لهما !

ولما صعدنا الى غرفة الفنـانين ، وجدناهم يستعدون لحفلة المساء ، وما أن وقع بصرهم على زجاجات الشراب التى يحملها « جيمز » حتى راحوا يهتفون فى صخب ٠٠ ووجدت متعة فى مراقبة «جوان» وهى تتأمل طريقة حديثهم وشرابهم وصخبهم، وبدا عليها الاهتمام والشعور باللذة فى بادىء الامر ، لكنها ما لبثت أن أحست بالغثيـان عنـدما أدركت أن الوعاء الذى تناولت فيه الطعـام كان معدا ، فى الاصل ، لكى يقضى فيه المرء حاجتـه !٠٠ وأدركت أنه لولا وجود « دورين » ـ التى انهمكت معهـا فى حـديث طويل ـ لما بقيت « جوان » بين أولئك الفنانين وقتا طويلا ٠٠ ٠

وبعد قليل خرجت الى الصـالة ، فسمعت صوت طرقات على البـاب الأمامى ، واذا برجل كنت قد قابلته ذات مرة مع « سير ريجنالد » ـ ويدعى « أوزوالد بليكشتين » ـ يقف مع جماعة من الرجال يحملون تابوتا ضخما ٠ وأخبرنى «أوزوالد» أن التابوت ملىء بزجاجات الشمبانيا ، وأنه كان يقصد غرفة « ريكى » ٠٠ وساعدت الحمالين حتى وصلنا بالتابوت سالما ، وهناك انضم الينا الباقون فى هرج ومرج بالغين ، وسرعان ما فتحت زجاجات الشمبانيا ، ودارت الكئوس على الجميع ٠

لكن الحمالين ما لبثوا أن عادوا بعد قليـل حاملين ، هذه

المرة ، جهازا للتليفزيون · وحاول « ريكى » أن يحتج ، ولكن احتجاجه لم يجده فتيلا ، وفتح أحدهم الجهاز ، واذا بسير ريجنالد يبدو على شاشته ، فهرعت لاستدعاء « ريكى » الذى تبعنى دون أن ينبس بكلمة ، وقد أحس بأن حدثا خطيرا على وشك الوقوع ، وعندما وصلنا كان السكون مخيما على الحاضرين ، فيما عدا صوت مذيع التليفزيون الذى كان يتجه بحديثه الى رجل آخر بجوار سير ريجنالد ، قائلا : « والآن يا مستر «رويهمر» ·· هل تتفضل بأن تخبرنا عما اذا كنت توافق على ملاحظات «سير ريجنالد» عن اللوحة ؟» .. فأجاب هذا فى لهجة ألمانية واضحة ، قائلا انه لا يوافق اطلاقا على أن اللوحة تمثل الاتجاه الصوفى فى الرسم ·

·· وانتقلت الكاميرا بعد ذلك لتعرض لوحة « ريكى » التى رفض أن يبيعها لسير ريجنالد منذ أيام !·· واذ ذاك ارتفع صوت « ريكى » صائحا فى غيظ وحنق : « ذلك الاحمق اللعين ! » ··· ثم دارت عيناه فى أرجاء الغرفة ، باحثتين عن أوزوالد ، لكن هذا كان قد اختفى تماما !·· وختم معلق التليفزيون حديثه قائلا : « حسنا ! أعتقد أن المشاهدين يوافقوننى ، اذا قلت ان سير ريجنالد أقام الدليل - مرة أخرى - على قدرته الفذة فى كشف النقاب عن الرسامين الجدد الموهوبين ··· ونحن فى الواقع نأسف لان الرسام نفسه ليس موجودا بيننا الآن ! »

وما أن أغلق « ريكى » الجهاز ، حتى اندفعت « ميلانى » نحوه ، وألقت بذراعيها حول عنقه وراحت تمطر وجهه وشفتيه بقبلاتها الحارة ، وما عتم الآخرون أن انضموا اليها مهللين مهنئين بالنصر الذى أحرزه ريكى ، ولكنه لم يشاطرهم رأيهم، بل بدا عليه الضيق والانزعاج !·· واذ رأت « دورين » ذلك خرجت به الى غرفتنا حيث لحقت بهما هناك ، وما أن أغلقت

الباب حتى انفجر « ريكى » صائحا : « ذلك الخائن ! لقد حضر الى ذلك الخنزير « رويهيمر » وطلب منى أن أقرضه احدى اللوحات ، لتزيين غرفته ٠ والآن انظرا ماذا فعل ؟! » فأجابته دورين : « لكنهم يحاولون اسداء خدمة اليك ! » ٠

ـ كلا ٠٠ بل انهم لا يخدمون سوى أنفسهم ، اذ يعود اليهم الفضل ـ بهذا الذى فعلوه ـ فى اكتشافى !

ـ انك تملك موهبة نادرة ، ومن حق الجماهير أن تشاهد انتاجك !

ـ لست مستعدا بعد !

ـ ولكن ماذا يضيرك من هذا كله ؟٠٠ انه لا يعنى شيئا سوى أن هنالك من يهتمون بأعمالك ٠٠٠ ولن يعوقك ذلك عن التقدم !

ـ انك لا تفقهين شيئا فيعالم الفن ٠٠ أتعلمين ماذا حدث لرسام يدعى « سوندرز » ؟٠٠ لقد أقام معرضه الاول منذ خمس سنوات ، فكتبتجريدة التايمز تقول انه أحسنرسام فى انجلترا ٠٠ وقد در عليه ذلك المعرض ثلاثة آلاف من الجنيهات ، لكنه ظل بعد ذلك ستة شهور وهو لا يكتسب شيئا سوى المديح والتقريظ ٠٠ واذا ببعض النقاد يهاجمونه زاعمين أنه قد استنفد طاقته ٠ ولما أقام معرضه الثانى ، باء بالفشل الذريع ، فأدمن علىالشراب ، ومنذ ذلك الحين لمتنتج ريشته لوحة واحدة ٠٠ !

ـ ومع هذا أعتقد أنه ينبغى ألا تحكم على نفسك على أساس ما حدث لآخرين ٠٠

ـ اننى لا أصدر حكمى علىنفسى ، بلعلىعالم الفن اللعين، ولست أرغب أن يعلق انسان يجهل الفن علىأعمالى بملاحظات وقحة ، زاعما أنه أدرى بما ينبغى ان أرسم ٠٠!

ـ علىأية حال لا أعتقد أنالامر يبلغهذا القدر منالسوء ٠

ولا ريب أنه من الممتع أن يكون الانسان رساما مشهورا ٠٠!

فوضع « ريكى » يده فوق كتف دورين ، قائلا : « يافتاتى العزيزة ٠٠٠ لم تبادرنى أبدا بادرة من الشك فى أننى سأصير ذات يوم رساما ناجحا ٠٠ فعندما كنت فى السادسة عشرة تنبأ لى أحدهم بأننى سأصبح مشهورا ، فأجبته حينذاك بقولى : « اننى أعلم ذلك » ٠٠٠ وكنت أشعر منذ ذلك الحين بالثقة فى نفسى وبأننى سأحقق نصرا ، لكن التجارب علمتنى ماذا يأتى من التسرع اذا لم يكن الواحد منا على تمام الاستعداد لا للنجاح ولكن للمحافظة عليه ٠٠٠ »

وساد الصمت ، وتقدم « ريكى » نحو الباب ، فوضع يده فوق المزلاج ، ثم التفت الينا قائلا :

ـ سأقضى الليلة عند « ميلانى » ٠٠٠ لكنى لا اريد أن يعلم احد بذلك ٠٠!

- ٨ -

● **وأصبت** بالأرق فى تلك الليلة ، .ولم أجد وسيلة الى النوم سوى استخدام الاقراص المنومة ، وكانت الساعة العاشرة عندما استيقظت ، فوجدت « دورين » تعد الشاى ، وقالت لى : « لقد عاد ريكى ليطلب منك أن تساعده فى أمر ما ، وقد اتصل سير ريجنالد تليفونيا ، قائلا انه سيحضر لزيارة ريكى ، ولكن صديقنا ريكى عزوف عن رؤيته ! »

كانت شمس الصباح المشرق قد غيرت شكل الغرفة ٠٠ حقا ، كان الاثاث لا يزال مغطى بالتراب ، والجدران فى حاجة الى تزيين ، لكن شيئا منعشا انبعث من خلال الاصوات الصادرة من الخارج ٠٠٠ أصوات الباعة المبكرين ينادون على بضائعهم ، وأصوات المشترين يساومون فى الاسعار ، وأصوات الاطفال يصخبون ويمرحون !

وبينما كنت أحتسى الشـاى ، مسندا ظهرى الى الجدار ، متاملا خيوط الغبار السابحة فى شعاع من ضوء الشمس ٠٠ رحت اتأمل «دورين» وهى منهمكة في تنظيف الغرفة ، وقد علقت « مرولة » فوق فستانهـــا ، فبـدت لى فى هيئة ربة المنزل ٠٠ وسالتها :

ـ هل تعتقدين أن جوان اعتـادت أن يشـاطرها الاغراب فراشها !؟

ـ اننى واثقة من أنها ليست من ذلك الطراز من النساء ٠

ـ وهل تحبذين تحرر الجيل الجديد وانطلاقه ؟

ـ كلا اننى أجد متعة فىمراقبتهم ، لكننى لا أطيقانتفكير فى أن أعيش حياتهم !

ـ اذن لماذا سمحت لى أن اشاطرك غرفتك ؟

ـ لأنك لست على شاكلتهم !

وأدركت بالطبع ما ترمى اليه ، وتأكدت من أمر واحـد ، وهو أننى مهمـا حاولت تغيير طبعى ، فاننى لن أستطيع أن اغير من الواقع شيئا ، ولن أستطيع أن اعيش وفقـا لنمط حيـاة « جيمز » وفلسفته عن الحرية ، واننى سواء أردت أم ابيت ، أعيش بعقلية البورجوازى ٠

ووصل سير ريجنالد بعد قليل ، وأبلغته دورين أن ريكى لا يرغب فى استقباله ، فأجاب بقوله : « اننى أقدر خوفه من هجوم النقاد عليه ، ولكن الامر ليس من المحتم أن يسير فى ذلك الطريق ، وأنا شخصيا أعتقد أنرسوم «ريكى» ممتازة ، وتنبىء عن موهبة دفينة ٠٠ » ثم التفت الى قائلا : « دعنـا من أمر « ريكى » مؤقتا ٠٠ أخبرنى : أترغب فى العمل معى ؟ »

ـ العمل معك ؟!

ـ أجل ، لقد ابتعت دارا صغيرة للنشر ٠٠

ـ لست أدرى ما نوع العمل الذى تطلبه منى ؟

ـ انني أعتزم نشر الانتـــاج الفنى والفلسفى ··· ومن الطبيعى أن أتوقع من أصدقائى أن يســاعدونى بمجهودهم · ولن يكون العمــل طول النهــار ، بل سيكون ثلاثة أيام فى الاســبوع وحسب ·· ويتلخص المطــلوب منك فى أن تقرأ الأصول الواردة ، وأن تراجع البروفات وهكذا ···

ووجدت صعوبة فى تصديق أنالحظ قد ابتسم لى أخيرا ، لكننى حاولت أن أخفى لهفتى متظاهرا باللامبالاة ، وأجبته : « متى أبدأ ؟ » فقال : « من الغد » ··· ولمحت النظرة التى بدت فى عينى دورين · لم تكن أقل منى غبطة وسرورا ··

وطلبت منى دورين أن أحاول اقناع « ريكي » بالتعــاون مع سير ريجينالد ، فبــادرت بالصعود الى غرفة « ريكى » ، الذى رفض فى بادىء الامر الاصغــاء الى منطقى ، وأصر على عدم مقابلة أحد ، ثمقال انه يعتزم الرحيل عنالمنزل ، باحثا عن مكان هادىء يستطيع فيه أنيتفرغ لعمله ، دون أنيزعجه أحــد · فاقترحت عليه أن يقيم لنفسه قلعــة حصينة داخل المنزل ، يعجز الزوار عناقتحامها · وعندئذ بدا الاهتمام على وجهه ، ثم قال :

ـ حقا اناقتراحك يبدو معقولا ··· فبوسعى أن أقيم بابا بأعلى الدرج ، وأن أشيد هنا حاجزا ··· ولكن هذه العملية تتكلف نحو عشرين جنيها لا أملك منها بنسا واحدا !

· · فاقترحت عليه أن يقترض المبلغ من سير ريجنالد ·· وهرعت الى أسفل وقد هزنى الطرب لنجاحمسعاى ، فوجدت سير ريجنالد يحملق فى قلق عبر النــافذة ، ودورين منهمكة فى تنسيق الفراش ، وأفضيتاليهما بنتيجةمسعاى ، فوافق ريجنالد فورا على اعطاء « ريكى » المبلغ ، ثم صعدنا جميعــا الى غرفة « ريكى » ، واعتذر اليــه ســير ريجنالد عن اقدامه على عرض لوحته دون استشارته !

وكان ريكى اذا اقتنع بفكرة بادر بتنفيذها على الفور ، وهكذا نزل فى الحال وابتاع ألواحا خشبية وورقا مقوى ، وساهم كل منا قدر استطاعته فى تحصين القلعة ، حتى سير ريجنالد لم يجد غضاضة فى مساعدتنا فى دق المسامير .

وفى المساء فرغنا من البناء ، فطلب منى ريكى أن أستدعى « دورين » ، كى نشرب معا كأسا فى نخب « العزله فى القلعة » ، واذ كنا نحن الثلاثة نحتسى الكأس فى صمت ، سرى الدفء متوهجا فى قلبى .. انها كبرياء الرضا .. وتوهج الاحساس بالنجاح ، وبأن المرء حقق شيئا حيويا خالدا ، وكان أكثر ما أرضى كبريائى هو سلوك « ريكى » الذى ترك التزمت واتخذ من «دورين» ومنى صديقين حليفين، وهتف بى هاتف يقول انعلاقتى قد توثقت ـ أخيرا ـ بشخصين يستحقان أن يحتلا فى حياتى مكانا دائما !!

ورن جرس الباب مرتين ، فنظرت من النافذة ، وقلت لريكى : « انها فتاة ترتدى « بيريه » أخضر اللون » .. وصاحت دورين : « **ياللعنة .. نسيت أن أبلغك أن فتاة تدعى « بربارا » ، اتصلت بنا تليفونيا قائلة انها ستحضر بعد الظهر !** »

ـ بربارا ...! لست أعرف أحدا بهذا الاسم ... قولى لها اننى لست بالمنزل ..!

ـ قالت انك وعدتها أن تستخدمها كنموذج لك ..

فضغط يده على صدغه وقال : «أوه يا الهى !! لقد تذكرت .. **يحسن بنا أن ندعها تدخل** .. »

وعندما خرجت « دورين » لفتح الباب ، نظر الى ريكى ، وقد ارتسم على وجهه تعبير الأسى والاستسلام ، ثم قال :

ـ أوه ... ها نحن نبدأ من جديد !!

الخالدون



عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب قصص حياة : ديفاليرا ، غاربـــالدى ، باستير ، زولا ، ماركونى ، تشايكوفسكى ، فلورنس نايتنجيل ، مصطفى كمال اتاتورك ، مدام كورى ، شوبان ، موباســان ، كليوباترة ، ليدى هاملتون ، مختار ، ديكنز ، مارى أنطوانيت ، ســـارة برنار ، بيتهوفن ، موســولينى ، شيللى ، بلزاك ، بودلير ، تولوز لوتريك ، دستويفسكى ، موليير ، كونفوشـــيوس ، جوته ، بوذا ، موسى ، المسيح ، محمد ، رمسيس الثانى ، الملكة كريستينا ، د. هـ. لورنس ، مدام دى بومبـــادور ، الكسندر ديماس ، مايكل انجـلو ، مارى ستيوارت ، موزار ، سومرست موم ، مستنجيت ، شوبنهـاور ، محمد عبده ، كاترين مانسفيلد ، ابو بكر الصديق ، مكيافيللى ، مريم المجدلية ، كاترين العظمى ، ريشليو ، دزرائيلى ، جواهرلال نهرو ، جوبلز ، فان جوخ ، أينشتاين ، والتر رالى ، سوزان أنتونى ، فولتير ، فارون ، لافاييت ، عائشة زوجة الرسول ، صلاح الدين الايوبى ، المركيز دى ساد ، القـــديس بولس ، رفاعة الطهطاوى ، باسترناك ، بيكاسو ، فرانز ليست ، شفايتزر ، سارتر ، فلمنج ، سيمون بوليفـار ، الامام الغزالى ، توماس مان ، تاجور ، اندرا غاندى ، بيكت ، مورياك ، جوركى ، العذراء مريم .

وفيمايلى اقدم لك حياة الموسيقى الايطالى : فيردى ..

من قصص حياة أساطين النغم

چيسپّى ڤــيردى

واضع ألحان أوبرا "عايدة" و"ريجوليتو"

وعشرات من
الأوبرات العالمية



VERDI (By : J. WARRACK)

الموسيقى الذى خلدته أوبرا ((عايدة)) ..

كان احد الحانه يوما اللحن الرسمى لدولتنا ، فيما قبل الثورة (السلام « الملكى » المصرى السابق) .. وكانت احدى « اوبراته » - وهي الاوبرا المصرية الفرعونية «عايدة» - رمزا لحدث هام في تاريخنا ، هو افتتاح قناة السويس . ومع ما اقترن بالعهد الذى كان اللحن يرمز اليه، وما صاحب الحدث الذى كانت ((الاوبرا)) من معالمه البارزة . مع ما اقترن بهما من ذكريات أليمة ، فان الاذن لا تزال تطرب لذلك اللحن كمجموعة من الانغام المتناسقة ، المنسجمة ، التى تدل على عبقرية فنية .. وما زالت ((الاوبرا)) تشهد له بانه اعظم استاذ للاوبرا الايطالية .. بل العالمية .

ذلك هو ((جيسيبى فيردى)) .. وقد لا تعرف عنه الكثير، برغم علاقته هذه بتاريخنا الحديث ، فيما قبل الثورة ، وبرغم ما كان له من دور رئيسى فى تحرير بلاده !

فتعال معى نتعرف عليه فى الصفحات التالية :

العبقرى .. بين حياته العامة والخاصة

● من العباقرة من تطغى أعماله على اسمه وسيرته بعد موته ، فأنت قد تعرف أعماله ، ولكنك لا تكاد تعرف الكثير عنه هو شخصيا .. ومن هؤلاء « جيسيبى فيردى » . فهو قد يغيب عن أذهان الكثيرين من عشاق الفن الذى برز فيه - وهو التلحين للاوبرا - ولكنهم حين يسمعون شيئا من موسيقاه ، التى وصفت بأنها « أكثر اشكال الموسيقى استثارة للمشاعر » ، تهفو أذهانهم اليه ، وتتطلع عقولهم اليه في اعجاب وتقدير ، كواحد من أعظم ملحنى الاوبرا فى العالم ..

ذلك لان « فيردى » لم يحاول أن يقلد سواه ، ولا أن يتحدى غيره ممن كانوا لامعين فى عالم الموسيقى .. **وانما كان يتأمل الحياة الانسانية بعين واعية ، نفاذة الى الاعماق ، ثم يعكس ما يرى على ذهن واع ، ميال الى المرح** .. وكانت حيـــاته على نقيض حياة معظم المبرزين فى ميدان التلحين : كانت طويلة، مليئة بالاعمال الموفقة ، والانتصارات المجيدة ، وألوان التكريم .. فاستطاع ــ وهو على قيد الحياة ــ أن ينتزع اعجاب قومه واكبارهم ، واستطاعت أعماله أن تبقى بينهم ــ بعد موته ــ ميراثا قوميا ، وان تنتشر خارج بلادهم لتصبح تراثا ثقافيـــا للانسانية كلها ..

وكانت عظمته شخصية وفنية فى آن واحـد ، لم تشبهـا كراهية أو سخط فى أى من ناحيتيهـا ، ولم تضـف عليهـا الانفعالات العاطفية رواء مصطنعا ، كما فى حياة كثـيرين من العظماء ..

مولده فى ظل مذابح النمسويين !

● **فى الدقائق** الفاصلة بين التاســع والعــاشر من شهر أكتوبر سنة ١٨١٣ .. وفى فندق بسيط ، يعلو حانة صغيرة، فى قرية متواضعة من ريف ايطاليا تدعى (ليــه رونكولى) ــ بالقرب من مدينة (بوسيتو) ، بدوقية (بارما) ــ ولد « جيسيبى » ، لوالد كان يمتلك ذلك الفندق ..

وكانت ايطاليا اذ ذاك مقسمة الى اقطاعيات ودوقيات صغيرة، تشيع فيها الفرقة ويستشرى فيها النفوذ الاجنبى ، فان بدء أفول نجم نابليون جعل القوات النمسوية والروسيــة تنطلق لتجتاح كل أثر بقى من نفوذ الفرنسيين .. ومع أن (ليــه رونكولى) كانت قرية منزوية ، الا انها لم تغب عن أنظار القوات

النمسوية ، فاذا بفصائل من هذه القوات تندفع الى القرية .. ولاذ بعض أهلها بالفرار ، بينما لجأ بعض آخر الى حمى كنيسة القديس ميشيل . واذا الجنود يهاجمون الكنيسة ، فيعملون التذبيح فى النساء والاطفال المحتمين بها !

امرأة واحدة من نساء القرية كانت اذكى من سواها ، فان اعتزازها بحياة وسلامة طفل صغير كانت تضمه الى صدرها ، دفعها الى أن تتسلل الى برج الأجراس ، فتنكمش بطفلها فى ركن من أركانه ..

تلك كانت زوجة صاحب الفندق الصغير والحانة المتواضعة .. وكان الطفل هو « جيسيبى فيردى » .

القيثارة التى أدخلته الى عالم الموسيقى

● **ونشأ** « فيردى » بين قوم بسطاء ، متواضعين ، يعمل الرجال منهم فى الحقول ، حتى اذا آبوا آخر النهار ، لم يجدوا ندوة تضمهم خيرا من حانة « كارلو فيردى » — والد الطفل — حيث تغسل كؤوس النبيذ متاعب النهار .. ولم يكن فى تلك البيئة ما يذكى فى الطفل موهبة ونبوغا ، ولكن كانت فيها قيم بسيطة ، واضحة المعالم ، درسها واستوعبها منذ حداثته .. فقد كان « فيردى » ذكيا ، محبا للعزلة ، لا يخالط أقرانه ولا يشاركهم ألعابهم ..

والهم القدر أباه ، اذ لاحظ كيف كان الصبى يصغى فى شغف الى عازف كمان متجول ، كلما مر أمام الحانة ، فابتاع لجيسيبى أداة صغيرة ذات أوتار ، أشبه بالقيثارة .. فاصبحت خير زميل للصغير فى وحدته . وقد ظل يحتفظ بها طوال حياته.

.. ومن الطريف أنه كاد يحطمها يوما ، لسبب عجيب . ذلك انه كان يعبث بأوتارها ، فاذا بأحد هذه الاوتار يصدر

نغما طرب له الصغير أيما طرب ٠ فعاد يحاول الحصول على هذا النغم مرة أخرى ، ولكنه لم يستطع ٠ وفي غيظه واستيائه، هم بأن يحطم اداته الحبيبة ، لولا ان وفد عليه أبوه مصادفة، فانقذها من نقمته ، وعلمه ان الانسياق للغضب لا يمكنــه من أن يتعلم شيئا !

يعزف الارغن وهو في العاشرة

● **ومرة أخرى** ، أراد أبوه أن يرضى شغفه بالموسيقى ، وان يعده ـ في الوقت ذاته ـ للمستقبل ، فأرسله الى قس القرية ليعلمه كي ينشأ في خدمة الكنيسة ، وليكون كذلك على مقربة من الارغن ٠٠ ولكن الغلام كان أكثر اهتماما بأنغام الارغن منه بالطقوس الكنسية ٠٠ وقد حدث يوما أن بهرته الانغام ، وهو ممسك بالماء والنبيذ للقس ، فانسكبا منه ، فما كان من القس الا أن أخرجه من نشوته بركلة جعلتــه يتــدحرج على ســلم المذبح !

وعلى يدى « بايستروتشى » ـ عازف ارغن الكنيسة ـ أخذ الغلام يتلقى دروسا استوعبها بسرعة مدهشة ، فحذق العزف على هذه الآلة ، حتى اذا مات « بايستروتشى » ، حــل محله بسهولة ، وهو في العاشرة من عمره !

وفي تلك الاثناء ، أرسله أبوه الى بلدة (**بوسيتو**) ، ليتردد على مدرســتها ٠ وقدر له أن يقيم لدى بدال يدعى « انتونيو باريتسى » كان عضوا عاملا في جمعية محبى الموسيقى بالبلدة ، مما أتاح للغلام أن يصغى الى الموسيقى ، والى حديث الموسيقى ، وأن يتدرب على العزف ٠٠ وفي يوم الاحد من كل أسبوع ، كان يقطع على قدميه ستة أميال ، ليصل الى قريته ويعزف على أرغن الكنيسة ٠٠

يؤلف الالحان وهو فى الخامسة عشرة !

● **واخذ** « باريتسى » يرعاه ويشجعه ، حتى اذا ألف فرقة موسيقية ، وأحضر لها « بيانو » من (فيينا) ، انفسح المجال امام الصغير .. **كان يسمع الالحان ، ويتدرب على العـزف ، ويشترك فى نسخ (النوتة)** .. وكان فى البـلدة مسرح ، اشتركت الفرقة الموسيقية مع الفرقة التمثيلية التى كانت تعمل فيه ، فاتيحت لجيسيبى تجربة جـديدة ، هى تطويع الالحان لتتمشى مع التطورات «الدرامية» لما كان يمثل على المسرح ..

وبدأت موهبـة التأليف تتفتق فى نفسه ، فشرع ـ فى سنة ١٨٢٨ ـ يؤلف ألحـانا للفرقة .. **وعنـدما اخرجت** « **حـلاق اشبيليه** » **على مسرح البلدة ، كانت الافتتاحية التى سـبقت الفصل الاول ، من تأليف** « **جيسيبى فيردى** » ! .. وكانت من الروعة بحيث استأثرت بالاعجاب الذى أخذ ينمو فى البلدة ، فيشد من أزر الموسيقى الصغير ، ويشجعه على المضى فى تأليف الالحان .

ولم تحن سـنة ١٨٣٢ ، حتى كان الفتى قد بلغ التاسـعة عشرة من عمره ، وكان قد اسـتوعب كل ما يمكن أن يتيحـه « باريتسى » وجمعية محبى الموسيقى له من معرفة ، وبدت عليه مخايل تنم عن أن موهبته الموسيقية لا تزال دفاقة ، ومن الغبن أن تظل حبيسة فى جداول الفرص المحدودة التى كان يوفرها مجتمع البلدة المحلى ..

كل هذا لاحظه « باريتسى » الذى أحب الفتى ، لا سيما حين لاحظ تآلفا قويا يجمعه بابنته « مرجريتا » .. لذلك لم يتردد الرجل فى أن يدفع الفتى قدما ، فأوفده الى (ميلانو) ، المدينة الكبيرة التى كانت ـ ولاتزال ـ العاصمة الموسيقية لايطاليا .. وتكفل بنفقات تعليمه واقامته هناك .

وفى (ميلانو) ، حاول « جيسيبى » آن يلتحق بمعهد الموسيقى • ولكنه أخفق فى الامتحان الذى عقد له ، **فكان لهذا الاخفاق وقع أليم على نفسه ، كاد أن يثبط من تحمسه ، لولا أن الممتحنين أشادوا بموهبته ، وعزوا رسوبه الى جهله بالقواعد والنظريات ، فأقبل يدرس القواعد الاولية للموسيقى على أستاذ فى ميلانو يدعى (لافنيا) ، كان يرأس فرقة دار أوبرا « لاسكالا » •**

وقضى فيردى عامين فى دراسة دائبة ، دون أن يشغله هذا عن أن يؤلف لحنا ، بين وقت وآخر ، يغذى به فرقة « باريتسى » فى (بوسيتو) •• الى أن سنحت فرصة كانت خير دعاية له • فقد صادف أن كانت « جمعية ميلانو الوترية » تجرى التجارب فى دار الاوبرا ، لاخراج أوبرا للموسيقى « هايدن » • وذات يوم تغيب عازف « البيانو » ، فدعى « جيسيبى » الى العزف بدلا منه •• وألفى نفسه يعزف بيد واحدة ، ليشير باليد الاخرى للفرقة يقودها ، مما بهر « ماسينى » المخرج ، فعهد اليه بالعزف فى الحفلة العامة التالية !

فتاة احلامه •• والاوبرا الاولى

● **على أن** الحنين الى « مرجريتا » الحسناء كان لا يفتأ يلح عليه كى يعود الى (بوسيتو) ، ثم وجد ما يحفزه الى العودة فورا عندما نعى اليه عازف أرغن كنيسة البلدة ، فلم يتوان فى أن يضحى بالاضواء التى كانت قد بدأت تسلط عليه ، وأسرع الى (بوسيتو) •

ولكن الاحداث التى صادفته فى البلدة كادت تخيب آماله : اذ صادف منافسا على منصب عازف الارغن ، ولم تكن منافسة عادلة ، اذ كان المسئولون فى الكنيسة يحابون غريمه • ولكن

كفاءة « فيردى » استطاعت أن تكفل له الفوز بالمنصب .. ثم أعقب ذلك فوز أكبر .. فوزه بمرجريتا الحسناء ، فعقد قرانهما فى مايو سنة ١٨٣٦ .

ولم ينسه عمله ، ولا شغلته عروسه عن الحلم الذى كان يراوده .. حلم وضع « أوبرا » يسكب فيها اشهى أنغامه . واستطاع « فيردى » أن يفرغ من أول « أوبرا » من تاليفه – وهى « أوبيرتو » – فى سنة ١٨٣٩ ، فحاول أن يعرضها فى (بارما) ، ولكنه لم يجد ترحيبا ، فلم يلبث أن حملها واصطحب زوجته – التى كانت اذ ذاك فى الثامنة عشرة – وسعى الى (ميلانو) . وهناك ، وجد عناء حتى اقتنع مدير دار أوبرا « لاسكالا » بقيمتها الفنية ، فتقبلها منه ، بعد أن كاد الشاب يستسلم لليأس ، ويرتد بعروسه الى (بوسيتو) .

وعرضت أوبرا « أوبيرتو » فى نوفمبر من ذلك العام ، فلقيت نجاحا لا بأس به ، أغرى مدير دار الاوبرا على أن يتعاقد مع « فيردى » على ثلاث أوبرات جديدة – احداها هزلية – يقدمها على فترات مداها ثمانية أشهر لكل واحدة .

سلسلة من الصدمات ..

● **وكان** عليه أن يفرغ من « الكوميديا » أولا ، فعكف – فى تحمس واستغراق – على العمل فى الاوبرا ، التى عرفت فيما بعد باسم « ملك ليوم واحد » . ولكن النحس شاء أن يرافقه فى تلك الفترة : فقد لازمه المرض ، ونفدت نقوده ، واضطرت « مرجريتا » الى أن ترهن الكثير من حليها وأمتعتها .. ثم استأثر الموت بالطفلين اللذين كانا ضياء بيت الزوجين ..

ولكن سوء الطالع لم يكتف بكل هذا ، فاوعز الى الموت

فاختطف « مرجريتا » بعد مرض شديد ٠٠ وبقى « فيردى » وحيدا ، معلولا ، ذاوى القوى ٠٠ جسديا ومعنويا وروحيا ٠ لذلك لم يكن ثمة عجب فيأن تفشل الاوبرا الكوميدية ٠ وكان فشلها صدمة جديدة زعزعت مابقى للارمل الشاب من رجاء ، فقرر أن يكف عن التلحين ، وأن يتكسب عيشه بتدريس الموسيقى ، واعداد المغنين ٠

ولكن « ميريللى » ــ مدير أوبرا « لاسكالا » ــ كان يرعاه عن كثب ، فى ارتقاب فرصة مناسبة يرده فيها الى صوابه ، ويذكى ــ من جديد ــ جذوة نبوغه ٠٠ وذات مساء ، دفع اليه بقصة شعرية عن « نبوخذ ناصر » ، وما زال به حتى أقنعه بأن يقرأها ٠ وشرع « فيردى » فى قراءة القصة ــ فى ذلك المساء ــ من قبيل الفضول ، فاذا أسلوبها يبهره ، فلم يدعها حتى أتى عليها ، ثم ظل بقية ليله يفكر فيها ، وفى خياله أنغام تتدافع !

الخيط الرفيع ٠٠ بين اليأس والنجاح !

● **بيد أن** النهار جلب معه الهموم ، فعادت تثقل روح الموسيقى المحزون ، واذا به يرد القصة الى « ميريللى » ٠ ولكن هذا أبى أن يقبل منه أى اعتذار ، ولم يدخر وسعا فى مقاومة القنوط الذىكان مستوليا على « فيردى » ٠٠ وقد صدقحدسه، ونال جزاءه بعد أيام ، اذ أتاه « فيردى » وهو يتأجج حماسا وحمية ، **ثم راح يعمل كالمحموم ، حتى أخرج الاوبرا التىعرفت باسم « نابوكو » ، والتى افتتحت فى « لاسكالا » فى مارس سنة ١٨٤٢ ، فاذا بها تصيب نجاحا هائلا ، كان بداية مجد « فيردى » كملحن (أوبرا)** ٠٠ ولم يكن قد انقضى عامان على فشل « ملك ليوم واحد » ، حين وجد الموسيقى الشاب نفسه

محمولا على أمواج المجد الذى ظن ـ فى أويقات أساه ووحشته ـ أنه قد طلقه !

ولقد تبدو ألحان « نابوكو » اليوم ـ بعد ١٢٠ سنة من وضعها ـ بسيطة .. ولكنها عندما وضعها « فيردى » ، أتاحت للايطاليين ماكانوا يحبونه ويتوقون اليه : ألحانا واضحة ، صافية ، سهلة الاداء والغناء ، يشيع فيها الشجن المستعذب . وثمة شيء آخر استهوى الايطاليين اذ ذاك : فان الذين استمعوا الى « الاوبرا » وشاهدوها كانوا شعبا حزينا ، أمضه الهوان ، وأذله الخضوع لجور محتل أجنبى ، فوجد فى أنين شعب مغلوب على أمره ـ فى القصة ـ صدى لأنينه .. ووجد فى مصير ذلك الشعب حافزا له على التربص للغاصبين ..

الحان تحيى روح الثورة فى النفوس

● **وجاءت** « الاوبرا » التالية تذكى روح التحفز أكثر وأكثر .. كان عنوانها : « اللومبارديون » ، وكان موضوعها يحرك زهو أبناء (**لومبارديا**) ـ وهم من الايطاليين ـ ويذكرهم بدور أجداد لهم فى الحملة الصليبية الاولى .. فاذا الحمية تدب فى نفوسهم ، مما أثار جزع السلطات ، فحاولت أن تجرى فيها تعديلات تخفف من قوة ماكان فيها من تحريض : **ولكن «فيردى» أبى كل الاباء ان يغير كلمة واحدة أو نغما واحدا ! .. وهنا ارادت السلطات أن تصادر « الاوبرا » ، ولكن « ميريللى » استطاع ـ بلباقة ودهاء ـ أن يقنع المسئولين بأن المصادرة جديرة بأن تنبه القوم ، وأن تثيرهم ، وأن تكون وقودا جديدا للثورة !**

وظلت « الاوبرا » تعرض ، وألحانها تغوص فى أعماق الناس وفي أذهانهم ، ثم تروح تتردد على ألسنتهم ، فيزدادون اكبارا

لمؤلفها ، وينظرون اليه كثائر ، وليس مجرد موسيقى .. ثائر يعبر عن ثورته بالانغام !.. وهكذا امتزجت السياسة بالفن. وكثيراً ماتمتزج السياسة بالفن تحت ضغط أو قهـر ، ولكنه يكون امتزاجا مصطنعـا ، زائفـا ، فى أغلب الحـالات .. **أما امتزاج فن « فيردى » بالسياســة ، فكان نابعا من عاطفة قوية ، أصيلة ، منبعثة من أعماق قلبـه ونفســه** .. ولم يكن « فيردى » مضطرا الى أن يذلل معايير الفن من أجل السياسة ، لأن موسيقاه كانت تصدح بولائه الطبيعى لوطنه .

« أوبرات » تلهب الروح الوطنية

● **واتبع** « فيردى » أوبرا « اللومبـــــارديون » ، بأوبرا « هرنانى » المأخوذة عن رواية (فيكتور هيجـو) الخالدة .. وكانت المشاعر الســـياسية قد هاجت فى صـدور الايطاليين وعقولهم ، **فلم يروا فى « هرنانى » مجرد قصة غرامية ، وانما راوا فى فرار البطلة من عاشق لجوج ، لحوح ، رمزا لبـلادهم وهى تصد النمسويين ، وترفع عنها النير ..**

ولقد كانت « هرنانى » من الناحية الفنية ، مرحلة منمراحل تقدم « فيردى » وتكشف عبقريته .. ولكن الايطاليين انساقوا الى المغزى السياسى الذى استخلصوه لانفسهم منها ، وكان هذا ـ فى حد ذاته ـ دليلا على تململ النفوس وحيرتها . فقد كانت أية محاولة لطرد الاجنبى بالقوة ، خليقة بأن تقابل بقوة أشد ، وببطش جبار لا رحمة فيه .. **على أن « ماتزينى » ـ البطل الوطنى الذى عانى جور المستعمرين ـ كان قد نفث آراءه فى « فيردى » ، فلم يعوز « فيردى » السلاح ، بل أنه صاغه من موسيقاه ، فاذا به أقوى من السيف والمدفع ..**

وأصبح الجمهور يبحث عن المغزى السياسى فى أوبرات

« فيردى » ٠٠ فلما ألف أوبرا « اثنان من فوسكارى » ـ المأخوذة عن مسرحية لبايرون بهذا الاسم ـ ثم أتبعهما بأوبرا « جان دارك » ، رأى الايطاليون فى الاثنتين قبسا من الامل فى أن السماء قد تساعدهم ، فتهبهم القدرة على الجهاد فى سبيل وطنهم ٠٠

ومع ذلك ، فان هذه « الاوبرات »المتتابعة ، لم يكن سبب نجاحها أن « فيردى » تعمد أن يجعلها مواعظ أو دعوات وطنية على حساب الفن ، وانما لأن عواطفه الوطنية كانت تنساب فى أنغامه وهو يحاول أن يرقى بفنه الى أعلى مراقى الابداع ٠٠ وهذا ـ فى حد ذاته ـ كان دليل العبقرية الكامنة فى أعماقه .

يرجىء المجد ٠٠ فى سبيل الخبرة !

● **ولم يكن** « فيردى » متسرعا فى سعيه الى المجد ، بل لعله كان يتعمد أحيانا أن يبطىء السعى ، ريثما يستوثق من خطاه ٠٠ وقد شرح نهجه هذا ـ فيما بعد ـ بقوله : « لست موسيقيا عظيما ، وانما أنا موسيقى واسع الخبرة » ٠٠ **وهكذا كان أهم أهدافه أن يكتسب الخبرة والتجربة أولا ٠٠ وكان هذا ـ فى حد ذاته ـ يعجل بتقدمه ، برغم ما كان يتعمده من ابطاء !**

وبينما كان فيردى يكتسب براعة فى وضع « الاوبرات » ، كان صيته يذيع وينتشر فى كافة أرجاء ايطاليا ٠٠ ولم يعد الاخفاق يثبط عزيمته ٠ فان فشل « الاوبرا » التى أعقبت « جان دارك » ـ وكان اسمها « السيرا » ـ لم يفت فى عضده ، كما حدث عند فشل أوبرا « ملك ليوم واحد » ، بل زاده نشاطا وهمة ، **فلم تنقض سبعة اشهر ، حتى خرج على الناس بأوبرا « اتيلا » التى كانت نصرا جديدا ٠٠ ثم اتبعها ، بعد عام ، بابدع أوبراته الاولى جميعا ، وهى « ماكبث » ، التى**

عرضت في فلورنسا في مايو سنة ١٨٤٧ .

ولم يكن « فيردى » يعرف الانجليزية ، ولكن ترجمة متقنة لمسرحية « ماكبث » كانت قد وقعت بين يديه ، فأرست فيقلبه حب « شكسبير » الى آخر حياته .. وقد بلغ في هذه « الاوبرا » مستوى أرقى من كل مابلغه في سابقاتهـا ، اذ كان الترابط بين الموسيقى والقصـة أقوى وأوثق . **ومع انهـا ليست أروع انتاجه على الاطلاق ، الا انها تعد أسمى تحفة في انتاجه حتى سن الثالثة والثلاثين . كما أنها كانت بداية نهـج جديد في أسلوبه ..**

وقد بلغ من تأثر « فيردى » بماكبث ، أنه لم يرض عنها كل الرضا ، بدليل أنه عاد فأجرى فيها تنقيحا ـ فى سنة ١٨٦٥ ـ فجعلها بالشكل الذى ظلت عليه بعد ذلك ، الى يومنا هذا .

موعد مع المجد ..

● **وعرف** « فيردى » عالما أوسع من حدود بلاده .. فسـافر الى لندن ، ومنها الى باريس .. ولكن الحـانه لم تلق الا نجاحا متوسطا .. وبينما كان فى باريس ، نمى اليه أن فى بلاده محاولة جدية للتخلص من ربقة النمسويين ، فأسرع بالعودة . وانصرف عن محاولات كان يبذلها ليجعل من مسرحيتى شيكسبير « الملك لير » و « هامليت » مادة لتحفتـين جـديدتين من أوبراته ، وعكف على أوبرا ذات مضمون سياسى ، يذكى ثورة قومه ، وقد اختار لموضوعها الفترة التى هزم فيها حلف ولايات (لومبارد) امبراطور النمسا « فردريك برباروسا » ، فى سنة ١١٧٦ . وفعـلا قوبلت أوبرا « **معـركة لنيانو** » بحماس هائل . بيـد أن الثورة أخنقت فى سنة ١٨٤٨ ، وتبدى الأسى القانط الذى

اكتنف نفس « فيردى » فى الاكتئاب الذى ســاد أوبرا « لويزا ميلر » ..

ولكن الأسى كثيرا ما يكون تمهيدا لتألق المجد .. وهذا ما صادف «فيردى» فعلا ، فما أن عرضت أوبراه التالية « ريجوليتو » ــ فى سنــة ١٨٥١ ــ حتى أذاعت صيت الموسيقى الايطالى ، فى كل مكان .. وكان قد أخذها عن قصة فيكتور هيجو : « الملك يلهو » .. وقد أثار موضوعها شكوك السلطات ، فلم يستطع « فيردى » أن يتغلب على معارضتها الا بعد مفاوضات طويلة . وذهل الناس للترابط الرائع بين الالحان والشخصيات . ولم يلق لحن من الحان «فيردى» ما لقيه لحن أغنية «المرأة المتقلبة» فى هذه الاوبرا .. لا سـيما فى نهايتـه الدرامية ، التى صاحبها ــ على المسرح ــ انهيـار المهرج الأحدب على الـكيس الذى كان يعتقـد أنه ضم جثـة الدوق الذى غرر بابنتـه ، فاذا به يكتشف انه انما قتـل ابنته ذاتها خطأ ، اذ انهـا ضحت بنفسها لتفتدى حبيبها !

« لاترافياتا » و « التروفاتورى » بعد « ريجوليتو » !

● **وكانت** « ريجوليتو » طالع السـعد له ، فاذا أوبراه التالية «**التروفاتورى**» ــ الشاعر الهائم ــ تلقى نجـاحا باهرا فى سنة ١٧٥٣ .. وتعزز هذا النجاح ــ فى العـام ذاته ــ بأوبرا أخرى ، هى « **لاترافياتا** » ، التى أخذها عن « غادة الكاميليا » .

ومن الطريف حقا أن « لاترافياتا » صادفت فشلا عنـد عرضها للمرة الاولى ، ثم ظهر أن فشـلها كان راجعا الى عدم ملاءمة المغنين للادوار ، فلما أعيد عرضها ، بدأت مفاتنها الموسيقية تتألق .

وكان ((فيردى)) يجـاوز الاربعين من عمـره ، وقد بلغ القمة بعد عناء وكفاح .. فآثر أن يستجم ـ خلال السنوات الخمس التالية ـ فى ضـيعته بجهة « سانتا أجاتا » ، حيث انصرف الى الفلاحة والسـياسة .. فيما عدا فترات زار فيها باريس ، ووضع بعض الالحان ، منها ((ليالى صقلية)) ، التى كلفته الحكومة الفرنسية بوضـعها خصيصا للمعرض الـكبير الذى أقيم فى باريس فى سـنة ١٨٥٥ . بيد أن مؤلفاته ــ فى تلك الفترة ــ لم تلق النجاح الذى يتناسب مع نجاحه فى « ريجوليتو » و « لاترافياتا » ، بسبب شواغله السياسية ..

الزوجة الثانية .. أحبته حب الأم !

● وفى تلك الاثناء ، كان الحنين الى الحب قد راود قلب « فيردى » ، فتعلق بالمطـربة التى قامت بالدور الاول فى ((اوبيرتو)) ــ احدى أوبراته الاولى ــ فقد كانت ((جيسبينا ستريبونى)) تعطف على فيردى وتشجعه . وكان هو يرتاح الى صـحبتها ، حتى أنهما لم يلبثا أن وحـدا معيشتهما ، وعرفت « جيسبينا » باسـم « سـنيورا فيردى » لسنوات طويلة ، قبل أن يتوجا ارتباطهما بالزواج فى سنة ١٨٥٩ .

والحق ان ((جيسبينا)) كرست كل حياتها لزوجها الذى كان صعب المراس ، وراحت تستحثه على الانتاج ، وتحرص على ان تكون أول من يغنى كل لحن يضعه .. واستطاعت أن تفهمه حق الفهم ، فتنظم له حياته أدق تنظيم ، وتوفر له الجو الذى يحفزه على الانتاج ، ويبعث فيه الالهام .. ولم يكن مقدرا لها أن تنجب أبناء ، فاتخذت من زوجها ابنا توفر له حدب الأم ورعايتها ... وهكذا لم يكن زواجهما

زواج عاطفة ورغبـــة ، وانما كان حبا حقيقيا عميقا ، وزمالة صادقة وطيدة .

وكان الشيء الوحيـد الذى أخفقت جهودها فيه ، هو تحسين ذوقه وحمله على توسيع ثقافته وتعميقها . فقد ظل «فيردى» وفيا لفطرته الريفيـة ، متشـبثا بالتواضع والبساطة ، مقدرا لقيمة النقود ، وان لم يجعله هذا التقدير ضنينا ، فكان يهب الكثير للبر والخيرات ، حتى أنه وقف ما تدره الحانه بعد موته ، للانفاق على ملجأ للموسيقيين المسنين ، لا يزال قائما فى داره بسانتا اجاتا .

أوبرا « عايدة » : التاج الاكبر لمجده !

● **وكان** رسول المجد الثاني لفيردى ، بعد «ريجوليتو» ، أوبرا ((**عايدة**)) ، التى قدر لها أن تكون من أشهر الاوبرات العالمية ، والتى كلفته حكومة (مصر) باعدادها لحفل افتتاح دار « الاوبرا » بالقاهرة ، بمناسبة افتتاح قناة السويس ، وعرضت (لأول مرة فى العالم) فى القاهرة ، فى ٢٤ ديسمبر عام ١٨٧١ .

وبالرغم من المبلغ الضخم الذى عرض على فيردى باسم «الخديو» ، فان «فيردى» رفض ـــ فى البداية ـــ الاضطلاع بالمهمة ، سيما أن مؤلف القصة « مارييت » (١) كان يومئذ

---

(١) مارييت ((اوجست ادوار)) (١٨٢١ ــ ١٨٨١) ، أو ((مارييت باشا)) ، هو العـالم الفرنسى الذى تخصص فى آثار بلادنـا ، وتولى ادارة مصلحة الآثار المصرية ، وسمى باسمه الشارع الملاصق لمبنى المتحف المصرى بميدان التحرير بالقاهرة . و ((مارييت باشا)) هو مكتشف معبد (السرابيوم) بالقرب من سقارة ، ومقابر (عجول ابيس) ، فى عام ١٨٥١ . وهو مؤلف قصة أوبرا ((عايدة)) الفرعونية التى وضع ألحانها الموسيقى الايطالى (فيردى) .

سجينا في باريس التي حاصرتها الجيوش الألمانية .
بيد أن روعة القصة وابهتها لم تلبثا أن استهوتا «فيردى» ، فقبل المهمة ، وانصرف اليها بكل قلبه وعبقريته ، فجاءت بمثابة التاج الذى كلل حياته الفنية ..

والحق أن «فيردى» كان قد استكمل نضجه الفنى ، وسيطر على أساليب التركيب الدرامى ، والتصوير الموسيقى. والجمع بين العنصرين فى اتزان يزيدهما قوة وروعة ، بدلا من أن يسمح لأحدهما بأن يطغى على الآخر ..

وكان زميله الموسيقى « روسينى » قد مات قبل أن تعرض « عايدة » بثلاث سنوات ، فاقترح « فيردى » أن يشترك كبار الموسيقيين الايطاليين — عن بكرة أبيهم — فى وضع موسيقى قداس لتكريمه . وبينما تقاعس زملاؤه فى أداء هذه المهمة ، راح هو يبنى لحنه شيئا فشيئا ، حتى اذا توفى الشاعر الايطالى « اليسندرو مانسونى » ، لم يحتمل «فيردى» أن يحضر جنازته ، لفرط حبه اياه .. وعندما تمالك نفسه ، ذهب الى قبره .. **وبجوار القبر «تصاعدت صيحة من قلبى تدعونى لان ابذل كل ما فى طوقى لتكريم هذه النفس العظيمة » . فعكف على لحن القداس يتمه ، فى الذكرى الاولى للشاعر ، فاذا له روعة اعترف بها كبار موسيقيى العالم .**

بيد أن اللحن ، فى ذاته ، أثار طائفة من الاحقاد ضد « فيردى » الذى استجمع فيه كل ما اكتسبه من خبرة بفنون المسرح ، فى التصوير الموسيقى الدرامى ليوم الحساب، فى وضوح تام ، رهيب ، كاد يمس فيه الامجاد القدسية ، وكشف لكثيرين من الذين كانوا يلتفون بأستار التدين ، عن حقيقتهم ، فتجلت لهم نفوسهم عارية مجردة ..

الايمان يعود الى قلبـه .. اخيرا .

● **وكان** من حسنات « عايدة » أن جمعت بين «فيردى» والأديب«بواتو»الذى أوتى من عمق الثقافة وروعة النظم ما جعل أوبرا («نيرون») وأوبرا («ميفيستوفل») تحفتين ..

ثم عاود « فيردى » الحنين لشيكسبير ، فاستهوته « **عطيل** » .. لكنه تردد ازاءها متهيبا ، وقد أخذت الشيخوخة تثبط حميته .. ثم لم يلبث أن أقدم عليها ، معتزما أن تكون آخر أعماله . وكان مجرد تسرب نبأ هذا العزم سببا فى اثارة ضجة وشوق لدى الرأى العام ، الى أن قدر لها أن تعرض فى (ميلانو) فى فبراير سنة ١٨٨٧ .

.. واجتمعت عبقرية شيكسبير ، وبواتو ــ الذى ترجم الحوار الشعرى ــ وفيردى ، فاذا («عطيل») تصل بالاخير الى السماء العليا للمجد ..

ولم يستطع «فيردى» أن يبر بوعده ويهجر التـــأليف بعدها .. وكان « روســينى » قد عاب عليه يوما أنه لم يكن ليجرؤ على أن يعـــالج «اوبرا» كوميدية ، فاذا به يختـــار («**فالستاف**») .. وقدر لها ــ من الناحية الموسيقية ــ أن تسجل تقـــدما يفوق الذى أحرزه فى « عطيـــل » .. بيد أن «فيردى» ــ الذى كان قد بلغ الثمانين ــ لم يغفل عن أن الجمهور قد استقبلها بحماس قل كثيرا عما اســتقبل به « عطيل » و « عايدة » . ومن ثم قرر ــ مرة أخرى ــ أن تكون آخر انتاجه .. وانصرف بعدها الى بعض الالحان الدينية القصيرة ، التى نمت عن أن الايمان عاد يغمر قلبه .

مائتنا ألف يشيعون جنازته

● **وعنـدما** توفيت زوجته الثانية « جيسبينا » ــ فى نوفمبر سـنة ١٨٩٧ ــ ظل فترة يجوس خلال داره وهو يغمغم : « مسكينـة بيبينـا ٠٠ راحت ! » ٠ ٠ ثم أحس أن نهايته هوالآخر قد دنت.. وتحالف الحزن ، مع الشيخوخة والعجز ، فاذا صحته تتدهور .. وفى أواخر سنة ١٩٠٠ ، بدأ يشكو من قلبه ، ومن الأرق المستمر ..

وبينما كان يرتدى ثيابه فى (ميلانو) ، ذات صباح ــ أثناء زيارة قام بها للمدينة فى ينـاير سنة ١٩٠١ ــ أصـيب بالفالج .. **وأخذ البريد يحمل الرسـائل المتلهفة من كافة ارجاء أوربا ٠٠ وتجمعت الحشود حول الفندق ، ممسكة انفاسها فى صمت وقلق رهيب ٠٠ بينما كان فيردى يناضل فى بطء ووهن ٠٠ حتى لفظ آخر انفاسه فى ٢٧ يناير من ذلك العام ٠**

وفى شوارع (ميلانو) ، احتشـد أكثر من مائتى الف شـخص ليشيعوا الموسـيقى العظيم ، الذى عاش بطـلا ، ومات بطلا ، وخلف وراءه أكثر من عشرين « أوبرا » ، لاتزال ست منها تخلد الحانه على مسارح العـالم حتى اليوم ، وهى : ريجوليتو ، والتروفاتورى ، ولاترافياتا ، وعايدة ، وعطيل ، وفالستاف .

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمي (التمثيلي والغنائي)

عزيزي القارئ ...

في الاعداد السابعة قدمت لك في هذا الباب المسرحيات التالية : حظ يا احب (وايلد) ، سلطان الظلام (تولستوي) ، المفتش العام (جوجول) ، ليسستراتا (اريستوفان) ، فولبون (بن جونسون) ، لوكريسيا بورجيا (هوجو) ، جيوكندا (دانونزيو) ، مدرسة الفضيحة ، سيرانو دى برجراك ، لعبة الحب والموت (رومان رولان) حلم ليلة صيف (شكسبير) ، مروحة الليدى وندرمير (وايلد) ، فاوست (جـــونه) ، اوديب (سوفوكليس) ، وليم تل (شيلر) ، الام رجورلي) ، ريجوليتو (هوجو) ، الجنس الالى (كابيك) ، الابن الاكبر جالزوردى) ، هرناني (هوجو) ، ٦ شخصيات (بيرانديللو) ، ترتوف (موليير) ، بريتيس (راسين) ، سالومى (و. يلد) . مدرسة الازواج (كوكمو) ، برهان الحب (أنوى) ، السـيد (كورني) ، حلاق اشبيلية ، تشيترا (تاجور) ، كاليجولا (كامو) ، هيدا جابلر (ابسن) ، البخيل (موليير) ، اندروماك ، مدام بترفلاى ، اشقيقات الثلاث (تشيكوف) ، سر سيدة القصر (اندريه جيد) ، ترويض الزوج (موم) ، مهنة مسز وارين (شو) ، الجحيم هو الناس (سارتر) ، عربة اسمها الهوى (تنيسي وليامز) ، توسكا ، بلقيس ملكة سبأ ، موت قومسيونجى (آرثر ميلر) .

واليوم اقدم لك فيما يلي : يوميات محتال ..



DIARY OF A SCOUNDREL

الفصل الاول

● **يرفع** ستار المشهد الأول عن غرفة استقبال بمسكن شاب روسى يدعى « جلوموف » . غرفة مؤثثة تأثيثا بسيطا ، ينم عن فقر مدقع بعد ثراء غابر ، وبها بابان : أحدهما الى اليمين ويفضى الى الصالة ، والثانى الى اليسار ويؤدى الى بقية غرف المسكن . عندما يرفع الستار يظهر الشاب « جلوموف » واقفا الى جوار امه « مدام جلوموفا » التى انهمكت فى كتابة بعض الخطابات . . . وقد وقف الخادم « ستيويكا » ساكنا .

جلوموف : استمرى فى كتابة هذه الخطابات يا أمى .

مدام جلوموفا : ليس فى المنزل مايقيم أودنا .

جلوموف : لو نجحت خطتى ، فسيكون لدينا من الطعام ما يزيد على حاجتنا !

وتأمر « مدام جلوموفا » الخادم بأن يذهب الى المطبخ ، حيث مكانه الطبيعى .. لكنه يعيرها بأنه لم يتسلم مرتبه منذ توفى زوجها ، وان من واجبها أن تذكر له فضله فى القيام بخدمتها وخدمة ابنها دون مقابل ! . . ثم يستطرد قائلا انه ما كان ليظل فى هذه الخدمة ، لولا ثقته بأن مخدومه الشاب كفيل بأن يعيد للأسرة مجدها !

وكان « جلوموف » الشاب قد رسم خطته بالفعل .. فقد وجد نفسه ـ عقب وفاة أبيه ـ معدما ، فى مجتمع لايتطلب النجاح فيه ، سوى ذكاء ولباقة وادراك للغاية التى يسعى المرء اليها (١) **وقد وجد الشاب هذه الغاية فى الزواج من فتاة**

---

(١) يقصد المؤلف المجتمع الروسى منذ مائة عام !.. فقد عاش « اوستروفسكى » (١٨٢٣ ــ ١٨٨٦) فى عنفوان العصر القيصرى ، وسخر منه ــ فى الخفاء ــ عن طريق كوميدياته العديدة ، واشهرها هذه التى نقدمها اليوم للقراء (كتابى)

رائعة الجمال ـ تدعى ((ماشينكا)) ـ تقيم في رعاية عمة عجوز هي « مدام تورسينا » ، ويدخر لها أهلها بائنة ضخمة تحظى بها عند زواجها ، تربو على مائتى ألف روبل !

ولقد كان صفوة أثرياء (موسكو) يسعون الى التقرب من هـذه الفتاة ، ولكن شابا من أبناء عمومة « جلوموف » ـ ويدعى « خورشايف » ـ كان أكثرهم حظوة لديها . . وقد عـول « جلوموف » على أن يزيحه من طريقـه بأى ثمن ، فأوعز الى أمه بأن تكتب الى عمة الفتـاة خطابات ـ بدون توقيع ـ تتهم « خورشايف » بكل نقيصة ، وتصمه بالطمع فى ثروة « ماشينكا » ! .

وكان ثمة هدف ثان لجلوموف ، هو الحصول على منصب مرموق فى السلك السياسى .. وكان لزاما عليه أن يتعرف بنجوم المجتمع الراقى ، لكى يظفر بالمنصب . وقد اهتدى الى أن لأبيه ابن عم يدعى « مامايف » ـ هو فى الوقت ذاته عم لخورشـايف ـ يعتبر من أقطـاب المجتمع الراقى فى (موسكو) ، فكان عليه أن يتقرب اليه ويكتسب مودته ، دون أن يشعره بغايته . وكان الطريق الى ذلك هو تدبير لقاء بهـذا العم ، يبـدو وكأنه وليـد المصادفة . وقد علم أن « مامايف » أسير هوايتين : أولاهما تفقد المساكن المعروضة للايجـار دون أن يكون بحاجة الى استئجارها . . والثانية ازجاء النصح والمواعظ لكل من يلقاه ..

ومن ثم بوعز « جلوموف » الى خادمه « ستيويكا » بأن يستدرج العم الى مسكنه ، بزعم أنه معروض للايجار ..

⊙❖⊙

● **ويصل** « مامايف » مع خادمه ، فما أن يتفقد المسكن حتى يبدو عليه الاستياء .. ثم يسأل « جلوموف » عن سر رغبته فى تأجير مسكنه . .

جلوموف : لانه فوق طاقتى المالية !
مامايف : وما الذى دعاك الى استئجاره منذ البداية .. أو بعد أن ألفت المسكن الفسيح ، تضطر الى البحث عن غرفة متواضعة ؟
جلوموف : بل اننى ابحث عن مسكن أكثر اتساعا ..
ويدهش « مامايف » من أمر الشاب ، فيزعم هـذا انه محروم ممن يخلص له النصح ..
مامايف : أليس لديك من يرشدك ؟
جلوموف : ليس لى سوى والدتى ...
ويتردد لحظة ، ثم يقول : « ولى أيضا عم فى موسكو . . سمعت أنه يبـذل للناس نصائح أثمن من الدرر واللآلىء ، ولكنـه لايعرف عنى شيئا ، وما من قوة تغرينى بالذهاب اليه ! » .
مامايف : ولماذا الكبرياء الزائفة ؟
جلوموف : كلا ياسـيدى .. أنك تسىء فهـم الموقف . فما كنت لاتردد فى الركوع عند قدميه ، وتقبيل أطراف ثوبه ، لو انه كان فقيرا مثلى . ولكن الامر على النقيض . . فكيف لى أن اقنعه بانى لا انشـد من ماله شيئا ، ولكنى أطمع فى نصحه وارشاده .. **احتاج الى مواعظه « السماوية » ! . . ليته كان فقيرا ، فكنت الازمه ملازمة الطفل ، غير طامع الا فى الانصات اليه ليل نهار !**
ويسأله « مامايف » عن اسم هذا العم ، فيقول : « أعتقد أنه يدعى ماما .. أجل ، مامايف .. نيل فيـدروسيتش مامايف » . فيكشف له الرجل عن شخصيته .. ويتظاهر الشاب بالاغتباط ، وبندفع مناديا أمه ، التى تصطنع البكاء تأثرا للمفاجأة ، ثم تقول لابنها : « **لكنه لا يشبه الصورة !** »
مامايف : ماذا تعنين ؟ .. أية صورة ؟

مدام جلوموفا : صورة رسمها لك « ايجور خورشايف » .. انه ابن أخيك ، أليس كذلك ؟ . .. أره الصورة يا ايجور !
ويقدم اليه جلوموف الصورة ، وهو يعتب على أمه . .
مامايف (ينظر الى الصورة) : ماذا ؟ .. فرس البحر !
وماذا كتب باسفلها ؟
جلوموف (ينظر الى الصورة من فوق كتف عمه) : عمى .. فرس البحر المتكلم !
مامايف (ينفجر ثائرا) : لو ان ذلك الشاب جرؤ على المجىء الى منزلى مرة أخرى ، .. للقنته درسا لن ينساه . اذن ، فهذا هو الاعتراف بالجميل ، بعد كل النصائح والعظات التى ألقيتها عليه .. أواه ، واحسرتاه على الجهد الذى بذلته لهدايته الى الطريق القويم ! .. ولكن ، أشكر الله أن فتح عينى أخيرا !
ولا يلبث العم أن يستعيد هدوءه ، فيدعو جلوموف وامه الى زيارته فى منزله . ويظهر جلوموف فى بادىء الامر تمنعا واباء ، الا انه لايلبث ان يقتنع . وما ان ينصرف ماميايف حتى ينفجر الجميع ضاحكين ، فهاهى ذى خطتهم تسير فى طريقها المرسوم ، وقد مهد « جلوموف » لنفسه طريقا للاندماج فى الوسط الارستقراطى ، بعد أن أزاح غريمه عن طريقه !

⊙❖⊙

● **وننتقل** ــ بعد هذا التمهيد ــ الى المشهد الثانى . . فيرفع الستار عن حفلة راقصة ، فى البيت الريفى لمامايف ، أقامها هذا لتقديم « جلوموف » الى المجتمع الراقى .. وفى غرفة جانبية ــ بجوار قاعة الرقص ــ نجد أم الشاب فى صحبة « كلبوباترا ايفوفنا مامايفا » ــ زوجة العم مامايف ــ ولا حديث لهما سوى اطراء جلوموف ، الذى تعجب «كليوباترا» به ، وبدماثة خلقه ..

مدام جلوموفا : لكم انت طيبــة معنا ، ياعزيزتى كليوباترا . . ان جلوموف يعبدك عبادة ! . . انه مشغوف بشيئين : مقل زوجك الفذ . . وجمالك الصــاعق . . انه يؤمن بان هذا الجمال جدير بأن يخلد فى لوحات ! . . **ترى كيف اشرح لك الأمر ؟ . . أنه شاب صغير السن ، وهو عاطفى بطبيعته . . لقد جافاه النوم منذ وقع بصره عليك !**

كليوباترا : اراك تحبينه كثيرا . .

مدام جلوموفا : كيف لا ، وهو ابنى الاوحد ؟

كليوباترا : اذن ، فلنغمره معا بحبنا وحناننا !

ويقبل « جلوموف » ، فما ان يرى زوجة عمــه ، حتى يتظاهر بالخجل والتراجع ، ولكن هذه تناديه وتشجعه . . وتنسحب الأم ، وفق الخطة المدبرة !

كليوباترا : اشعر أن ثمة مايشغل بالك . . أرى فى عينيك ــ أحيانا ــ نظرة شاردة . . لماذا لاتبوح لى بسر متاعبك ؟

جلوموف : أواه ! لو كان هذا بوسعى . . لو انك كنت . . ؟

كليوباترا : كنت ماذا ؟

جلوموف : امرأة فى منتصف العمر . . أو لست على هــذا القدر من الجمال !

كليوباترا : اتعنى اننى لو كنت فى منتصف العمر ، لتخلصت من خجلك ؟

جلوموف : أجل ، فان المرأة الشابة الجميلة ، لديها من أسباب المتعــة ما يلهيها عن متــاعب أقربائهــا الفقراء . أما المرأة النصف فليس لديهــا شىء آخر ، وهى تجــد فى التجول بين أرجاء (موسكو) ــ مستخدمة نفوذها لصالحهم ــ فرصـــة لتعريف أصدقائها بمقدار العطف والحنان اللذين يفيض بهما قلبها !

كليوباترا : لو افترضنا اننى امرأة فى منتصف العمر ، فماذا

كنت تطلب منى اذ ذاك ؟

جلوموف : كنت أطلب منـك أن تتوسطى لدى « ايفـان جرودولين » كى يعيننى فى احدى وظائف السلك السياسى . وأنا واثق من أنه سيجن فرحا وغبطة .. فهو غارق فى حبك حتى أذنيه !

كليوباترا : حسنا ، سأتحدث اليه فى الامر !

جلوموف : أرجـو الا تفعـلى . فانه سيعتبر هذه الخـدمة بمثابة رشوة ، ولست أقبل أن أكون مدينا لك . اننى لا أملك ما أكافئك **به** .

كليوباترا : وكيف تكافىء امرأة .. فى منتصف العمر ؟

جلوموف : أوه ، هذا شىء يسير !.. بوسعى أن أمهد لها الطريق لملاقاة عشاقها ، وأن أتملق نزواتها ، وأحمل لها كلبها .. ولا أكف عن تقبيل يديها ، والهمس فى أذنها ــ آناء الليل وأطراف النهار ــ بأنها لم تتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها يوما واحدا .. **ومن يعلم ؟ .. ربما عشقتها مع مرور الايام !**

كليوباترا : أو ليس بوسعك أن تغرم بامرأة شابة جميلة ؟

جلوموف : بالطبع يمكننى ، ولكنى لا أجرؤ ..!

كليوباترا (من خلف مروحتها) : أخيرا ..!

ويقطع عليهما خلوتهما مقدم « جرودولين » ، وهو من أقطاب موسكو ، ويشغل وظيفة هامة فى وزارة الخارجية ، فينسحب جلوموف .. واذ يشرع الرجل فى مغازلة « كليوباترا » تسأله هذه أن يعين قريبها الشاب فى وظيفة فى السلك السـياسى . ويرى « جرودولين » فى طلبها بادرة من التجاوب لعاطفتـه ، فيوافق فى حماس ، ويعدها بتحقيق رغبتها .

وما أن ينصرف « جرودولين » ، حتى يعـود جلوموف الى الغرفة ، فيجد أسارير « كليوباترا » متهللة .. ولا تكادتبشره

بقرب تحقق امنيته ، حتي ينحنى على يدها يقبلها ‥ وتسأله عما اذا كان سعيدا ، فيقول انه يكاد يطير فرحا !

كليوباترا : لست أصدقك ‥ أتريد منى ان أقتنع بأنك مجرد انسان مادى ، لا يطمع من دنياه فى أكثر من وظيفة حقيرة ؟

جلوموف (متوسلا) : كليوباترا !

كليوباترا : أتريد منى أن أصدق ان قلبك لا يخفق بأية عاطفة ، وانك تستغرق فى سبات عميق لا تتخلله أحلام أو رؤى ‥ وانك لا تحب أحدا ؟!

جلوموف : كلا ‥ لم أقل ذلك .

كليوباترا : اذن ، فمن هى التى فازت بحبك ؟

جلوموف : أرجوك ‥ لا تسألينى !

كليوباترا : بل أصر على ذلك ‥ اننى أراك تتعذب كثيرا !

جلوموف : كليوباترا ‥ أرجوك !‥ لست أحتمل ذلك ، فلربما ضعفت وبحت لك بانتى ‥

كليوباترا : أريد أن أعرف من هى حبيبتك وسالبة رشدك .

جلوموف : بحق السماء ، ارحمينى .

كليوباترا : اخبرنى ‥ أهى جديرة بحبك ؟ ‥ أتراها تستجيب لعاطفتك ؟

جلوموف : كلا ، لن أجيب ‥ اقتلينى بيديك ، ولكن لا تطلبى منى ذلك .

كليوباترا : اهمس لى باسمها ‥

جلوموف (يسقط على ركبتيه) : انها ‥ أنت !

كليوباترا : آه !

جلوموف : لا ريب فى اننى فقدت رشدى ‥ لم أعد قادرا على التحكم فى عواطفى ‥ أوه ، يا الهى . يا لى من تعس

بائس .. ماذا قلت ؟ .. اغفرى لى .. اغفرى لى !
(يلقى بنفسه عند قدميها ثم يقبل طرف ثوبها)
كليوباترا : لقـــد غفرت لك يا ايجور ! **(تمرر يديها بين خصلات شعره)**

واذ ذاك ينهض جلوموف على قدميه ، ويحيطها بذراعيـــه ، ثم يحتضنها فى قوة ، ولا تلبث شفاههما أن تلتقى فى قبلة حارة عنيفة !

الفصل الثانى

● **أما** ستار المنظر الاول ــ من الفصل الثانى ــ فيرفع عن حجرة الجلوس بمنزل « **مدام تورسينا** » ، التى تعيش ابنة أخيها الثرية « **ماشينكا** » فى كنفها .. والسيدة عجوز ، متدينــة ، تؤمن بالخرافات والاحلام الى أبعد حد .. حتى انها لتعدل عن نزهتها اليومية لان قطة بيضاء اعترضت طريقهـــا .. ولكن « ماشينكا » تلح فى طلب الخروج ، فتقول العمة : « **اعلم سبب تلهفك على الخروج ، فانت تبتغين لقاء ايجور خورشايف ، برغم أنه ماجن ، فاسق ، لا يؤمن جانبه . وقد تلقيت اليوم رسالتين اخريين تكشفان عن طبيعته الفاجرة** » !

ولا يلبث أن يحضر مستر « كروتتزكى » ، فتسأله أن يرشدها الى شاب صالح ، تقى ، يصلح زوجا لابنة أخيها .. ويتذكر الشاب الطيب ، المليح ، الخجول ، الذى التقى به فى منزل « مامايف » ، **فلا يلبث أن يرشح لها « جلوموف »** .. ثم **يحضر** « جرودولين » ، فتسأله نفس السؤال .. ويبـــادر من فوره الى ترشيح « جلوموف » ، ارضاء لكيلوباترا الفاتنة ! وترى « مدام تورسينا » فى اجماع رجلين على ترشيح هذا

الشاب فالا حسنا ، وشهادة طيبة لجلوموف ٠

وما أن ينصرف « جرودولين » ، حتى تحضر « مدام مانيفا »، قارئة الطالع ، فتستقبلها صاحبة الدار في اجلال ٠٠ ولا تلبث الدجالة أن تتظاهر بأنها تغيب عن وعيها ، وان روحها تحلق لتستكشف الغيب ٠٠

مدام تورسينا : هل ترين شابا ؟

مدام مانيفا : أرى سحابة ٠٠ السحابة تنقشع رويدا ٠٠ آه ، ان « ايجور » يقف فى وسطها !

ماشـــينكا (هامسة لعمتهـــا) : ايجور هو الاسم الاول لخورشايف !

مدام تورسينا : صه ! **(لمدام مانيفا)** ومن يكون ايجور ؟

مدام مانيفا : ستعرفانه بمجرد أن ترياه ! ٠٠ آنه أشقر الشعر ٠٠ وهو يقترب الآن من البوابة ! ٠٠ لقـــد وصـــل ! **(يسقط راسها فوق صدرها)**

وفى تلك اللحظة ، يعلن الخادم مقدم « مامايف » مصطحبـا شابا من أقاربه ٠٠ وتكاد مدام تورسينا أن تقفز طربا وانبهارا، حين تعلمأنه شابأشقر٠٠حقا انه أمر يبدو أقرب الىالمعجزات!

وينقلنا المنظر الثانى الى منزل « جلوموف » ، وأمه خارجة لزيارة مـــدام تورسينا ، بعد أن وثقت علاقاتهـــا بصديقتين حميمتين لها ــ هما « ماتريوشكا » و « لوبينكا » ــ **واجزلت لهما العطاء لتشهدا بانهما راتا الشاب فى احـــلامهما زوجا لماشينكا !**

ويقبل « كروتتزكى » ، ليسال « جلوموف » عن مقال كان قد عهد به اليه ليصوغه فى أسلوب قوى ٠٠ فيشكره الشاب على أنه رشحه للزواج من ربيبة مدام تورسينا ٠٠

كروتتزكى : وهل خطبتها رسميا ؟ أنها بالغة الثراء !

جلوموف : لست أفقه شيئا من أمور المال ٠٠ ولكنى أعشق الفتاة لذاتها !

وفى دهاء ماكر ، ينزل الشاب عن أجر المقال ، اكتسابا لود الرجل ، ثم يستبقيه ريثما يستدعى مركبة تقله ٠ **وفى تلك الاثناء ، تتسلل « كليوباترا » الى الداخل ، فتفاجأ برؤية الرجل على غير توقع** ٠٠ غير أنهما يجلسان معا ، ليتجاذبا أطراف الحديث ، ريثما يحضر جلوموف ٠

كروتتزكى : ان قريبك هذا لمن أكثر شباب موسكو أدبا وتواضعا ٠٠ اننى أتنبأ له بمستقبل باهر ٠٠ لكنك تفرطين فى تدليله وافساده !

كليوباترا : تدليله وافساده ؟ ٠ ٠ كيف هذا ؟

كروتتزكى : بتدبيرك هذا الزواج الرائع له ٠٠ يالها من فتاة ساحرة !

كليوباترا : أية فتاة ؟ ٠٠ عمن تتحدث ؟ ٠ ٠ من تعنى ؟

كروتتزكى : ماشينكا بالطبع ، ابنة أخى صوفيا تورسينا ٠ كأنك لا تعلمين شيئا عن الامر ٠٠ بائنة تبلغ عشرين ألف روبل !

كليوباترا (تنهض واقفة) : اوه ، يا الهى ! .. لا اصدق ذلك ٠٠ ليس صحيحا ٠

كروتتزكى : ولكنها الحقيقة ٠٠ لم تمض لحظات قليلة منذ أن قال لى : « ليس المال كل شىء يا مستر كروتتزكى ٠٠ اننى أعشق الفتاة » !

كليوباترا (فى أنين) : أواه !٠٠ اننى مريضة ٠ دعنى بمفردى .. اخرج (**تصرخ**) دعنى ! اذهب ! .. اذهب !

ويركض كروتتزكى خارج المنزل مفزوعا ، بينما تتهالك كليوباترا فى أقرب مقعد ٠ ولا تلبث أن تسترد وعيها

فتقول : « لاريب أن ثمة سوء تفاهم فى الامر .. آه ، لو كان بوسعى أن أتبين الحقيقة ! » .. ثم تنهض وتجول فى أرجاء الغرفة ، باحثة عن خطابات أو أوراق . **وبينما تفتح أحد الادراج ، يقع بصرها على يوميات جلوموف ، فما أن تشرع فى قراءتها ، حتى تسمع وقع خطواته صاعدا الدرج ، فتعيد اليوميات الى مكانها ، وتمسح عبراتها** . وما أن يلمحها « جلوموف » حتى ينفرج ثغره عن ابتسامة ..

جلوموف : كليوباترا ، يا لها من مفاجأة سعيدة ! .. أهذه انت حقا التى تشرفين مسكنى المتواضع ؟ .... كأنك ربة من ربات الجمال هبطت من السماء !

كليوباترا : حضرت لزيارة أمك . ولكن يبدو أنها ليست موجودة .

جلوموف : انها قد خرجت منذ قليل .. آوه ، دعينا نتجاذب أطراف الحديث . ما لى أرى على وجهك معالم التعاسة والشقاء ؟

كليوباترا (تجلس) : أجل .. والسبب فى ذلك : أحد الرجال .

جلوموف : ومن يكون هذا الشقى ، ذو القلب الاسود ؟ .. بالتأكيد لست أنا !

كليوباترا : بودى أن أتأكد من هذا !

جلوموف : ماذا ؟ .. أتشكين فى حبى واخلاصى ؟ .. انظرى الى عينى ! .. اننى أفضل أن أموت على ان اصيبك بسوء ؟ .. لقد كنت ـ قبل أن أراك ـ فتى ساذجا ، خجولا ، تعوزه الثقة فى نفسه .. كنت أعانى وحشة كادت تفقدنى صوابى ، وكانت حاجتى ماسة الى امرأة تفهمنى ، وأستطيع أن أبثها أحلامى وآمالى .. **كنت فقيرا ، تافها ، تنفر النساء**

منى • فما أن شاهدتك حتى توقف قلبى ـ فى بادىء الامر ـ عن النبض ، لكنه ما لبث أن راح يخفق فى عنف •• لقد كنت أخشى ان يفرق جمالك وشبابك وسمو مركزك بيننا •• وفى ذلك اليوم الذى فقدت فيه صوابى فصارحتك بغرامى ، رأفت بحالى ولم تطردينى خارجا •• أواه لو تعلمين !

كليوباترا (فجأة) : ومتى يتم الزفاف ؟

جلوموف (يباغت ، فينهض واقفا فى ارتباك) : الزفاف ؟ •• ماذا تعنين ؟

كليوباترا : سمعت أنك ستتزوج •

جلوموف (بعد لحظة تردد) : كنت على وشك أن أشرح لك الامر ، يا كليوباترا •• ان زوجك يريدنى أن أتزوج • أما أنا ، فالفكرة ـ فى حد ذاتها ـ تثير اشمئزازى !

كليوباترا : لا بد أنه مشغوف بك كل الشغف ، حتى أنه يسعى لاسعادك •• على الرغم منك ! •• أخبرنى ، هل تعجبك الفتاة التى وقع اختياره عليها ؟

جلوموف : ان نفسى تنفر منها •• بل ، من كل امرأة •• عداك !

كليوباترا : أحقا ؟ •• اذن فانت لا تحبها ؟

جلوموف : لكم تعذبيننى بشكوكك ! •• لست أطيق أن تسيئى بى الظن الى هذا الحد • ألا تخجلين من نفسك ؟

كليوباترا : بلى ، لقد أسأت الفهم ، فاغفر لى !

جلوموف (بحماس) : يجب أن تعلمى أننى ملك يديك •• فقط أرجو ألا تثيرى الموضوع أمام عمى أو اى انسان آخر •• دعى الامر لى !

كليوباترا : بالطبع •• بالطبع !

واذ ذاك يطرق الباب ، فيطلب جلوموف من كليوباترا أن تختبيء في غرفة أمه ·· وما أن يفتح الباب حتى يجد شابا ـ يدعى « جلوتفين » ـ يقتحم الغرفة وعلى محياه امارات الشراسة ، ويقول انه قد أعد مقالا طويلا ، كشف فيه عن حقيقة « جلوموف » ، وأطماعه وآماله ودسائسه ·· لكنه على استعداد لان يمزقه اذا ما دفع له جلوموف مبلغا من المال ·· واذ يخشى « جلوموف » مغبة الرفض ، يعطيه عشرين روبلا ، ثم يصحبه الى الخارج ·

وتسمع كليوباترا صوت اصطفاق الباب ، فتخرج من مكمنها · واذ تجد الغرفة خالية ، يعاودها الفضول ، فتبادر الى اخراج اليوميات ، وتبدأ فى تصفحها ·· ولا تلبث أن تقرأ فى احدى الصفحات : « **ان ماشينكا ساحرة ·· وهى خير جزاء لى ، على تجلدى وتحمل مغازلة زوجة عمى العجوز المسكينة كليوباترا ، التى تشبه وجه الحصان !** »

وتثور ثائرة «كليوباترا» ، فتنفجر باكية ، ثم تجفف النقمة دمعها ، فتقرر أن تتقاضى من جلوموف ثمن الاهانة غاليا ، وأن نجعله يزحف عند قدميها طالبا الصفح والمغفرة ·· وفيما هى تعاود قراءة ما كتب ، تخطر لها فكرة للانتقام ، فتدس اليوميات فى حقيبتها ، وتستجمع رباطة جأشها اذ تشعر به قادما ·

ويدخل « جلوموف » ثائرا لما لقيه من الشاب الذى كان يهدده · فما أن تسأله كليوباترا عما به ، حتى ينفجر قائلا : « لقد كتب مقالا ينضح بالافتراء والتعريض بى ، وراح يهددنى بارساله الى الصحف ، اذا أنا امتنعت عن امداده بالمال ! »

كليوباترا : لست أعلم ماذا أصاب الناس فى هذه الايام !

.. وهل أعطيته نقودا ؟

جلوموف : لقد قنع ـ أخيرا ـ بروبلات قليلة .

كليوباترا : اذن ، فلماذا تقلق ؟

جلوموف : الذى يقلقنى ويكربنى ـ حقيقة ـ هو عـــدم ثقتك بى .. **هل كنت تتصورين ـ حقا ـ أننى أقبل التفريط فيك ، مقابل كل ثروات العالم ؟**

كليوباترا : أتعنى هذا حقا ؟

جلوموف : من كل قلبى !

كليوباترا : حسنا ، لقد اقتنعت بأنك نبيل الخصال .. اقترب منى ، ودعنى أقبلك !

ويركع عند قدميها ، فتحيطه بذراعيها ، وتضمه اليها فى قوة ـ كأنها تريد أن تخنقه ـ ثم تقبله فى عنف ، وكأنما كانت تفرض عليه عقابا .. وبعـــد فترة تفلته من بين ذراعيها . وتتاهب للانصراف ..

جلوموف : كليوباترا .. متى أراك ثانية ؟

كليوباترا : سأنتظرك الليلة (**تستدير نحو الباب**) الى اللقاء !

وما أن تنصرف حتى يتنهد جلوموف فى ارتياح .. لقـد دفع ثمن ســـكوت « جلوتفين » ، واســـتطاع « ترويض » كليوباترا الى حين .. وفجأة يتذكر اليوميات ، فيبحث عنها فى كل مكان ، دون جدوى .. واذ ذاك يخطر له خاطر رهيب : **ماذا لو كان جلوتفين قد سرقها ؟** .. ليته كان السارق ، فان الامر لن يكلفه ـ فى هذه الحالة ـ ســـوى روبلات قليلة . **ولكن ، ماذا لو كانت كليوباترا هى التى .. ؟** .. ويهتف فى ذعر : « يا الهى ! لقد كتبت أنها تشبه وجه الحصان !! »

الفصل الثالث

● **ويرفع** ستار الفصل الثالث عن « ماشينكا » تجلس الى « خورشايف » ، فى منزل عمتها مدام تورسينا ، والفتاة تروى له كيف ظهر « جلوموف » فى حياتها ، وكيف تنبأت بمقدمه مدام « مانيفا » العرافة ، التى تؤمن عمتها بأنها قديسة ..

خورشايف (واجما) : الذنب ذنبى ، فأنا لم أتبع الطريق القويم فى حياتى .. وها هو ذا جزاء الشر .. ولم يعد أمامى سوى أن أختفى من حياتك فى هدوء !

ولا يلبث « جلوموف » أن يفـــد ، فيخف « خورشايف » لاستقباله ، وهو يصطنع الحبور .. ثم يتوافد الناس ، فالليلة حفـــلة الخطبة ! .. ولا يلبث « جلوموف » أن يســـتدرج « ماشينكا » الى الحـــديقة ، بينما تمضى مدام تورسينا فى التحدث الى الحاضرين عن وفرة حظها ومبلغ سعادتها .. واذا بخادم يحمل اليها رسالة تســـارع الى فضهـــا ، فاذا فيهـــا « يوميات » جلوموف ، وبضع أوراق فى شكل صحيفة ..

ويتناول « مامايف » هذه الاوراق ، ثم يهتف : « **هاهوذا مقال بعنوان : كيف تشق طريقك فى الحياة ، تتوسطه صورة كتب تحتها : زوج مثالى! .. ياالهى ، انها صورة جلوموف»** !

وتصيــح مدام تورســينا بأن الامر لا يعدو مؤامرة قذرة ، وترمق « خورشايف » فى اتهام .. بينما تنبههم « كليوباترا » الى بقية الاوراق ، فيتأملها « مامايف » ، ثم يهتف : « انها بخط جلوموف .. دعونى اقرا بعض فقراتها : « **مــدام مانيفا ٤٥٠ روبلا .. انهـــا تزاول قراءة الطالع برغم أنها لا تكاد تفيق من الشراب . لقد قضيت ساعات طويلة فى محاولة تلقينها كلمات دورها** .. لـــكم أنا مشـــوق لمعرفة المبلغ الذى

سوف تبتزه من مدام تورسينا ، التي أرجح أنها تعانى اختلالا فى قواها العقلية » •

مدام تورسينا (تسقط على المقعد ، وقد كاد يغشي عليها) : أوه ، اوه •• لست اطيق ذلك •• لست اطيق ذلك !

كليوباترا : استمر فى القراءة ، فمن الخير ان تعلم مدام تورسينا الحقيقة بأكملها !

مامايف (يستمر في القراءة) : ٣٠ كوبيكا ، مقابل ارسال ستة خطابات غير موقعة الى مدام تورسينا !

ماشينكا : اذن ، فهو الذى كتب تلك الخطابات !

مدام تورسينا : عفوك يا حبيبتى • ما كان لى أن أحاول تسيير دفة حياتك • لقد تأكدت الآن من أننى لا أملك القوة ولا العقل اللازمين •• ومن الآن فصاعدا ، بوسعك أن تفعلى ما يحلو لك ، وأن تتزوجى من تشائين •

ماميف (مستانفا القراءة) : ثلاثة روبلات لخادم مستر ماميف كى يستغل هواية العم العجوز فى تفقــد المساكن الخالية ، ليستدرجه الى مسكنى •• أرجو أن يستنزف الكثير من ذلك الخرتيت العجوز ! •• وها هى ذى فقرة عن كروتتزكى •• « أول زيارة لــكروتتزكى العظيم •• ولننشــد أعــذب الاناشيد فى تقريظ ومدح مشروعاته الخطيرة •• أخبرنى أيها العبقرى الخــالد : كيف وصلت الى سن الســتين ، وما زلت تحتفظ بعقل طفل فى السادسة ؟! » •

كروتتزكى : اصمت ، هذا تشهير •••اعطنى المظروف ! •• هيا (**يسحب اليوميات من يد ماميف بالقوة**) آه •• أرى بعض الكلمات عن جرودولين ••

مدام تورسينا : أعيدوا هذه المذكرات الى صاحبها ، ودعوه يغادر هذا المكان فى هدوء ، وبأسرع ما يمكن !

ويدخل جلوموف اذ ذاك قادما من الحديقة ، فما ان يقع بصره عليهم ومذكراته فى أيديهم ، حتى يدرك أن أمره قد انكشف ! .. غير أنه لا يلبث أن يستعيد رباطة جأشه ..

جلوموف : لا تزعجي نفسـك يا مدام تورسينا ، فلست راغبا فى اثارة أية ضجة ، ولن أحاول الدفاع عن نفسى .. غير أننى أرغب فى توضيح نقطة قد تغيب عن فطنتكم ، وهى انكم اذا ما طردتمونى من مجتمعكم ، فانما ترتكبون خطـا جسيما !

كروتتزكي : لسنا فى حاجة الى أمثالك أيها الشاب . اننا قوم شرفاء ، أمناء !

جلوموف : ومن منكم الذى قرر أننى لست شريفا ؟ .. اهو أنت يا مستر كروتتزكى ؟ .. الأننى كنت أقـوم ـ بدلا عنك ـ بكتابة مقالاتك ؟ .. ولو لم تقع مذكراتى فى يدك ، لظللت الى الآن تشيد بموهبتى وذكائى وحسن منبتى !

ويتحول الشـاب الى ماما يف ، قائلا : « وأنت يا عمى العزيز .. **منـذ متى قررت اننى لست اهلا لمجتمعكم ؟ .. احينما كنت تلقننى درسا فى تملق مستر كروتتزكى ، او فى مغازلة زوجتك عسى أن تقنع بعشيق واحد فقط !؟ ..** لقد كنت تعلم جيدا أن تلعثمى فى الحديث ، وشدة حيائى ، انما كانا تظاهرا وخداعا .. غير أن هذا كله ما كان ليعنيك فى شيء ، ما دمت تبدو رجلا محنكا ، ذا دراية وحنـكة فى أمور الدنيا ! »

مامايف : حسنا .. لا ضرورة لاثارة هذه الموضوعات على الملأ .. لا تنس اننا ننتمى الى عائلة واحدة !

جلوموف (لمدام تورسينا) : أما أنت يا مدام تورسينا ، فأعترف بأننى خدعتك .. غير اننى لا آسف على ذلك ..

مأنت فى الواقع تطلبين من الناس أن يخدعوك ، بل انك تستمتعين بذلك .. لقد وقع اختيارك على زوج لابنة أخيك ، ليس لديه من المميزات سوى أن مدام مانيفا — قارئة الطالع — قد رشحته لديك !

مدام تورسينا : أوه .. لقد أصبح العالم مليئا بالشرور .

جلوموف (لجرودولين) : حسنا .. وماذا عنك يا ايفان ؟

جرودولين : ولا كلمة .. اننى أكن لك اعجابا لا مزيد عليه .. **هاك يدى ، فأنت لم تتجاوز الحقيقة فى كل كلمة تفوهت بها عنا جميعا .. أو على الاقل عنى أنا بالذات ؟**

جلوموف : وهكذا يتبين لكم — سيداتى وسادتى — انكم جميعا فى حاجة الى ، وانكم لا تستطيعون الحياة بدون امثالى !

ماميف : انك تستغل سعة صدرنا معك يا جلوموف !

جلوموف (فى أدب) : أرجو ألا يسوؤك يا عمى ، اذا قلت لك انك لست فى غنى عنى ، فان خدمك أنفسهم لا يطيقون — مهما أجزلت لهم العطاء — الاستماع الى خطبك ومواعظك المملة .. بينما كنت أنا أستمع اليها دون مقابل ! .. لا داعى للغضب .. لا داع ! (**يستدير الى جرودولين**) وأنت أيضا لست فى غنى عنى !

جرودولين : اعترف بذلك .

جلوموف (لكليوباترا) : وأنت أيضا يا زوجة عمى ، لا تستطيعين الاستغناء عنى .

كليوباترا : بوسعى أن أغفر لك كل شىء ، ما عدا اهانة معينة ، يحسن بى أن أنساها .

كروتتزكى : لقد شككت فى أمره من أول مرة وقع بصرى عليه فيها .

مامايف : وأنا أيضا ٠
جلوموف : بل انكما لم تشكا فى أمرى لحظة واحدة ، الى ان قرأتما يومياتى ٠٠ لست أعلم كيف أوقعها سوء الطالع بين ايديكم ، غير أن أذكى الناس قاطبة ، يرتكب ـ أحيانا ـ هفوة تودى به ! ٠٠ وأود أن تعلموا ـ سيداتى وسادتى ـ اننى لم أنطق بعبارة واحدة صادقة ، سوى ما كنت أخطه فى هذه اليوميات ٠٠ **وها قد أفسد سارقها الخطة التى وسمتها ، فأنا الذى يجب أن يثور غضبا واحتجاجا** ! ٠٠ انكم لستم أهلا لان تستمتعوا بصحبة انسان مهذب شريف مثلى ! **(يوليهم ظهره ويخرج الى الباب الذى يؤدى الى الحديقة ، فيسود السكون)** ٠٠
مامايف : حسنا ٠٠ ربما لم يكن من الواجب أن ندعه ينصرف هكذا !
كروتتزكى : قد يكون عملنا هذا خطأ جسيما ٠
كليوباترا : لا أعتقد انه من الفطنة أن ندعه يذهب ٠٠
ماشينكا : لست أرغب فى الزواج منه الآن ، لكننى لا أعتقد أن من الحكمة أن ندعه يذهب ٠
مدام تورسينا : لقد بدأت أرى الامور بنظرة مغايرة !
جرودولين : فلنناده ! **(يجرى الى الشرفة صائحا : « جلوموف !٠٠ جلوموف ! ٠٠ عد »** ٠٠
مدام تورسينا (لخورشايف) : الحق به قبل أن يصل الى السور ! **(خورشايف يركض خلفه)** ٠
كليوباترا (تنضم الى الاثنين) : جلوموف ! ٠٠ جلوموف !
الجميع : جلوموف ، عد يا جلوموف ! عد ٠٠ عد !

ويسدل الستار


من روايات
تاريخ الإسلام
فتاة غسان
تأليف المرحوم: جرجي زيدان
مؤسس "الهلال"

هذه القصة

● ((فتاة غسان)) هى أولى الروايات التاريخية التى وضعها المرحوم ((جرجى زيدان)) مؤسس مجلة الهلال ، وتتناول الرواية حال العرب قبيل ظهور الاسلام ، وكيف بدأ الاسلام ونهض به النبى الكريم .. ثم فتح مكة ، وحوادث العرب والمسلمين الاول حتى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وما تم فى ذلك العهد من فتوحات فى العراق وفارس والشام ، ومن هذه الفتوحات : فتح فلسطين وطرد الرومان منها ، وكيف اهتم عمر بهذا الفتح حتى رحل من الحجاز الى القدس على ظهر ناقة ودخلها بنفسه على رأس الجيش ليتسلم مفاتيحها من ((بطريقها)) - بطريركها - ثم اقام فيها عشرة أيام ، وضع خلالها اســـاس المسجد الاقصى واقام بهـا الحكم العربى . ويعرض ((جرجى زيدان)) هذه الاحداث من خلال قصة حب رائعة يلعب ابطالها دورا فى بعض هذه الاحداث ، كما تؤثر هذه الاحداث فى حياة ابطالها ، تفرق بينهم حينا وتجمع شملهم حينا آخر .. الخ .

وفيما يلى عرض وتلخيص لهذه القصة التاريخية العاطفية التى تقع طبعتها الكاملة فى نحو ٤٠٠ صفحة .

- ١ -

● فى نحو السنة السابعة للهجرة ، كان على الشام ملكان شقيقان من آل « غسان » ، هما « الحارث بن أبى شمر » فى (بصرى) و « جبلة بن الايهم » فى (البلقـاء) . **وكان ل ((جبلة)) ابنة بارعة الجمال تدعى ((هند)) ، ربيت منذ حداثتها على ظهور الخيل ، فشبت مولعة بركوبها ، ومجاراة الفرسان فى حلبة السباق ، حتى ذاع صيتها فى القبائل ، وأصبحت حديث القوم قبل بلوغها العشرين** . وكانت « هنـد » تقيم معظم أيامها فى (صرح الغدير) ، وهو قصر بديع شاهق يقع

فى أطراف (حوران) ـ مما يلى (البلقاء) ـ تحدق بحجراته البساتين وتجرى من تحتها الجداول • وبجوار القصر سهل واسع الارجاء خصصوه لسباق الخيل فى مواقيت معينه من السنه ، يشترك فيــه أمهر فرســـان البلقاء ، وحوران ، وبصرى ، وقد ينضم اليهم فرسان من بلاد اخرى • وكان الملك « جبلة » والد هند يخلع على الفائزين خلعــا ويمنحهم جوائز ثمينة يعدها قبل الشروع فى السباق •

وفى تلك السنة أقام «جبلة» سباقا اشترك فيه عدد كبير من الفرسان ، كان من بينهم « ثعلبة » ابن الملك « الحارث » • وكان أهل (غسان) يتشرثرون باشاعه مؤداها قرب عقد قران « هند » وابن عمها « ثعلبة » ؛ لما بينهما من القرابة . وكان « ثعلبة » كثير الاعتداد بنفسه ، وربما حدثته خيلاؤه أن يترفع عن « هند » لو خوطب بشأنها ، اما هى فكانت خاليه الذهن من أمر الزواج ، ولم تكن معجبة بأخلاق ابن عمها ولا ميالة اليه ، ولولا القرابة ما خاطبته ولا جالسته ،

وقبيل السباق نصب سرادق « جبلة » فى صدر الحلبة ، وخرجت « هند » من قصرها تحف بها جواريها ، وقد عرف الناس بخروجها من رائحة طيبها قبـــل ان يروها ، ومرت بحديقة القصر حتى خرجت من بابها ، واعين الفرسان شاخصة اليها ، وأكثرهم انما يأتى الى السباق ليتمتع بنظرة منها • وكانت « هند » ممشوقة القوام ، ممتلئة الجسم مســـتديرة الوجه ، قمحية اللون مشربة بحمرة ، ســوداء العينين مع كحل ، وكان شعرها اسود مضــفورا قد أرسلت ضـــفائره خصلة واحدة على ظهرها ، وجعلت على رأســـها تاجا صغيرا مرصعا وضعته مائلا نحو اليمين ••

وصلت « هند » الى السرادق الذى كان يتصدره أبوها ، وعلى يساره « ثعلبة » • ورحب بها أبوها وأجلسها الى يمينه ،

فقد كان مولعا بها حتى تسلطت على عقله ورأيه . ولما تمت معدات السباق نودى على الفرسان ان يتهيأوا للسـبـاق ، فركبوا جميعا وجاءوا واحدا واحدا يلقون التحية الى ملكهم « جبله » وابنته « هند » ، وثعلبة بن الحارث . وفيما كانت هند تنظر في وجوه الفرسان فى حذر ، كأنها تتوقع رؤية فارس تعرفه ، وقع نظرها على أحدهم . كان أنضرهم وجها ، في نحو العشرين من عمره ، يظهر من لباسه وملامح وجهه أنه ليس من (غسان) ، وكان ربع القامة ، أسود العينين ، حاد النظرات ، يرتدى عباءة عربية ويضع على رأسه ملفحة من الحرير المزركش ، شد فوقها عقال . وكان الناس قد عرفوه باسم « حماد » . وعرفوا أنه وفد من العراق مع ابيه الامير « عبد الله » للوفاء بنذر قديم فى دير الراهب « بحيراء » .

وأعطى « جبلة » اشارة بدء السباق ، واندفع الفرسـان يستقبلون حلبة السباق بصدور جيادهم ، وقد علقت عينا « هند » بـ « حماد » ، وتبعته ببصرها حتى توارى ورفاقه ، ولبثت تنتظر عودتهم حتى عادوا وقصـبة السباق فى يد « حماد » ، فانقبض وجـه « ثعلبة » وقال مخاطبـا عمـه « جبلة » : « هذا فارس غريب ! » .. فالتفتت هند وقالت فى هدوء : « وما يمنع أن يكون الفائز غريبا ؟ » .. فكان لكلام هند وقع السهام على قلب ثعلبة ، واتقدت الغيرة فى صدره ، فتبسم وقال : « لن يكون له مسـابق سـواى ، ولأعلمنـه الفروسية منذ هذا اليوم ! » .. قال ذلك وملامح الغدر وسوء القصـد ظاهرة على وجهه ، فخافت هند أن يكون قد نوى بالفارس الشاب سوءا ، أما « جبلة » فقد أمر باقامة شوط آخر بين « ثعلبة » و « حماد » ، وقد ساءه أن يفوز بجائزة هذا السـباق ــ وهى درع سلمانية ــ فارس غريب .

وانطلق الفارسان ، ولم يمض الا قليل حتى عاد « حماد »

وفي يده قصبة السبق ، ووراءه « ثعلبة » يسوق جواده الى الفسطاط ، وابتدر عمه قائلا : « لم يسبقنى هو بل فرسه ، فانها من خيـل الجن ، ولو ركبتها انا ما اسـتطاع أحد ان يسبقنى ! » .. فلما سمعه « حماد » نزل عن جواده وقال له : « اليك جوادى فاركبه واعطنى جوادك ! » . . **وكانت « هند » تنظر اليهما فخافت ان تنقلب الاية على « حماد » ، وقد شعرت ان حبه تمكن من قلبها فى تلك الساعات القليلة بما لا يساى فى اعوام ! .. اما « ثعلبه » فقال ما قاله انتحالا** لعذر يغطى به فشله وخجله ، وهو لا يظن « حمادا » سيعطيه جواده ، فلما تنحى له عنـه لم ير مفرا من الركوب ، فركبا ونزلا فى ساحة السـباق حتى تواريا عن الابصار ، فلبث الناس ينتظرون عودتهما وكأن على رؤوسهم الطير ، وكانت الشمس قد مالت نحو المغيب فأرسلت بقية أشعتها الارجوانية على السـهول وما وراءها من الجبال والاودية ، وقد هـدأت الطبيعة وسكن جأش النهار . فلما أبطأ الفارسان كثر اللغط بين الناس حتى هم بعضهم أن يلحق بهما ليرى سبب التأخير ، وكانت « هند » أكثر الناس قلقا فقد خافت غدر « ثعلبة » ! .. ثم ما لبثت أن شاهدت الغبار ، وظهر من ورائه فارسان هما « حماد » و « ثعلبة » ، والقصـبة فى يد حماد ، فما صدقت عينيها ، وكاد قلبها يطير من الفرحة . أما أبوها فشق عليه أن يكون الفائز رجـلا غريبا ، ولكنه رحب به . وتقدم حماد من هند وقدم لها قصبة السبق ، فرأتها هند قصـيرة فتأملتها فاذا هى مقطوعة بنصل براها برى القـلم ، فأرادت السؤال عن السبب فنظر اليها « حماد » خفيـة كأنه يقول لها : « لا تفعلى » فسكتت وفى نفسها أن تعرف السبب .

وجاء رجال « جبلة » يحملون الدرع ، ووقفت « هنـد » ووجهها يطفح بالسرور ، وتقدمت الى حيث كان يقف « حماد »

وقد نزع عن رأسه الملفحة والعقال ، فبانت ملامح وجهه جيدا ، فازدادت « هند » هياما به ولكنها استغربت منه امرا ، استغربه كل من شهد الاحتفال ، ذلك أن « حمادا » لما نزع ملفحته ظهر شعر رأسه طويلا حتى غطى ظهره ، فلم يفهموا معنى ارسال شعره على هذه الصورة ؟! .. والبسته هند الخوذة والدرع ، وانتهزت فرصة انشغال الناس بالتفرج وهمست فى اذنه قائلة : « نلتقى غدا فى دير بحيراء ! »

وعادت هند الى القصر تاركة أباها و « ثعلبة » يتحدثان فى أمر ذلك الفارس الغريب ، والتقت هند بأمها « سعدى » التى كشفت لها عن سر القصبة المبتورة ، فقد ذهبت الى أطراف حدائق القصر لتشهد نهاية السباق من هناك ، وقالت تروى ما حدث : « رأيت حمادا وثعلبة فى شوطهما الاخير ، ورأيت حمادا وقد وصل الى القصبة قبل ثعلبة ، وفيما هو يقتلعها اذ بثعلبة قد هجم واستل سيفه وهم بقتله ، فتلقى حماد السيف بالقصبة فقطعت ، ثم رأيت حمادا وقد اقتلع ثعلبة من صهوة جواده ورماه أرضا وجثا على صدره ، فخفت أن يقتله وسمعت ثعلبة يستعطفه ، فنهض عنه وتصافحا وعفا عنه وعادا » .

فما أتمت « سعدى » حديثها حتى اختلج قلب هند اعجابا بشهامة حماد ، وازدادت احتقارا لثعلبة !

— ٢ —

● عاد حماد من (صرح الغدير) وهو لا يفكر الا فى هند ولايزال يرن فى أذنيه قولها : «سنلتقى غدا فى دير بحيراء» . والتقى حماد بأبيه « عبد الله » ، ودار بينهما حوار أدرك منه عبد الله أن حمادا متيم بهند ــ بنت « جبلة بن الايهم » ــ

ويود الزواج منها • وبدا الوجوم على وجه « عبد الله » وأبدى نفورا من هذا الزواج ، فلما حاول حماد أن يستوضحه رأيه قال له : « **انني لا أستطيع أن أقول رأيي الا في اليوم المضروب لوفاء النـــذر ، وهو يوم (احد الشـــعانين) ، ونحن الآن في الصوم الكبير ولم يبق الا بضـــعة أيام فتتم السنة الحادية والعشرون من مولدك فننقص لك شـــعرك ، ونكشف حقيقة امرك ، فتدخل عالما جديدا وتطلع على أسرار ربما كان فيهـــا ما يحول بينك وبين هند !** »

ويزداد عجب حماد ويشتاق الى مجيء يوم الشعانين شوقا زائدا ، وهو يفكر فيما سمعه من أبيه الامير عبد الله ، ولكنه يقول في نفسه : « وماذا عسى أن يحول بيني وبين هند وقد تمكن حبها من قلبي ، ان هذا لن يكون أبدا ! »

وفي صباح اليوم التالي ركب حماد جواده وأسرع به الى دير « بحيراء » الذي يقع في ظاهر مدينة (بصرى) — وهي تبعد حوالي تسعين كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من دمشق ، وهي مدينة قديمة العهـــد عاصرت دول اليهود فاليـــونان فالرومان — وبلغ « حماد » المدينة وقصد منها الى الدير حيث سأل عن صومعة الراهب بحيراء فدلوه عليها ، وهناك التقى بناسك عجوز كان تلميذا لبحيراء ، فرحب به لما علم أنه من أهل العراق ، وأخبره بقصة القافلة التي جاءت من مكة للتجارة ونزلت شرقي هذه الصومعة التماسا للراحة فخرج « بحيراء » للتحدث اليهم فشاهد بينهم غلاما جميـــلا تلوح عليه ملامح المهـــابة والنجابة والذكاء ، فلمـــا رآه بهت وقال لمن حوله : « انظروا الى هذا الغلام فانه مولود في البرج الذي قلت لكم عنه وهو الذي سيهدي بني اسـماعيل ! » •• ثم سأل كبير التجار عنه ، فتقدم رجل كهل تتجلى في وجهه دلائل الجلال والوقار ، وقال : «هو ابن أخي» ، فأنبأه « بحيراء » بمستقبله

وقال له : « احذر اليهود فانهم اذا عرفوه كادوا له كيدا » .
ثم عرف أن اسم الفتى « محمد » واسم عمه « أبو طالب » .
وأقام أولئك الركب في الدير حينا ثم ساروا الى (بصرى)
فالشام وعادوا بعد ذلك الى مكة ، ثم كانوا كلما مروا بالدير
اقاموا به كالعادة .

فقال حماد : « وهل صحت نبوءة بحيراء ؟ »

قال : « نعم فان ذلك الغلام القرشي أصبح نبيا كبيرا تسمى ديانته الاسلام ، وقد انتشرت سطوته في كل جزيرة العرب . ويحدثنا التجار القادمون من الحجاز عن أعماله وحروبه وانتصاراته » .

فقال « حماد » : « أظنني سمعت شيئا عن هذا النبي يوم
كنت في العراق ، فما رأيك اذا حل علي الشام والعراق ؟ »

فبهت الشيخ الناسك وفكر برهة ، واغرورقت عيناه
بالدموع وقال : « آه يا ولدى ، أظنه يستولى عليهما جميعا
لما نعلمه من اختلال الاحوال ، فان قيصر الروم لم يكد ينتهي
من حروبه مع الفرس بعد ، وهذه قلاعنا وحصوننا لا تزال
متهدمة ، وحكامنا في شاغل عن ترميمها بالانقسامات الدينية
التي هي أصل الشقاء ، ألا ترى بطاركتنا في جدال دائم على
أمور ما أنزل الله بها من سلطان ، فبطريرك الاسكندرية يقاوم
بطريرك القسطنطينية ، وبطريرك « أنطاكية » يخالف هذا
وذاك . وترى الشعوب مقسمة أيضا مثل هذا الانقسام ،
ناهيك باليهود وهم ألد أعداء الدولة وقد يبذلون أموالهم
وأرواحهم في سبيل خرابها » .

وما أتم الراهب الشيخ كلامه حتى أنهكه التعب ، وأثر في
أعصابه ما قاله عن حال الروم وما خافه عليهم من سطوة
العرب ، فتململ وتزحزح عن مكانه كأنه يريد أن يبكي ،
فتركه « حماد » لشأنه ونهض فسار الى شجرة وارفة

اسند ظهره على جذعها وأخـذ يفكر فيما سمعه من ذلك الراهب ، فغلبه النعاس وهو لم ينم أمس الا قليلا ، ثم أفاق على صوت صهيل الخيـل ، **فالتفت فاذا بفارستين بلباس أميرات (البلقاء) وراءهما خادمان وقفتا تحت شجرة بالقرب منـه ، فنهض على الفور فرآهما ملثمتين ، ولكنـه عرف من الفرسـتين انهما ((هنـد)) واحدى خادماتها ، فمشى نحو الصومعة وبعد قليل لحقت به ((هند)) ، وقالت وقد توردت وجنتاها : ((جئت لاهنئك بتلك الدرع دليل سبقك ، فأنت الفائز ، وفي الاشارة غنى)) .**

قال : ((أما تلك الدرع فانها أثمن مانلت وما سأنال من خيرات هذا العالم ، فهي تقيني نوائب الزمان ، وهي تعويذة أتقي بها حبائل الشيطان ، ولكن من أين لي أن أكون السابق وأنا رجـل غريب لاتعرفون من أمري شيئا ، والمقـام مقام ملوك ؟)) . فنظرت اليه بطرف عينها وقد ذبل جفناها ، وأبرقت حدقتـاها وقالت : ((ولكن لكل مجتهد نصيب ، وما الملك يا ((حماد)) الا من ملك القلوب وتسلط على العواطف لا من جمع المال وحاز حطام الدنيا الفانية)) .

فالتفت اليها وقد شعر بميلها اليه وقال : ((ذلك سخاء عهدناه في بني (غسـان) ، فهل تعطفين على أسيرك بكلمة تشفي غليله وتبرد لظاه ؟)) .. فتنهدت وقد اشتـد بهـا الهيام ، وقالت : ((ماذا أقول وكل جارحة من جوارحي تنطق بما في قلبي ، ولكن مالي أرى ((حمـادا)) يبخل علينـا بكلمة ؟)) .

قال : ((بماذا يبخل حماد ولم يبق له مايجود به ، ولايرى حاجة الى القول ، فكل جوارحه قد كتب عليها أنه أسـير حبك ، وأن رضاك أكبر أمانيه !)) . فنظرت اليه وقد أخذ الحياء منها مأخذا عظيما وقالت : ((اعذرني ياحمـاد

على ضعفي فجنس النساء مهما تبلغ قوته ضعيف ، فاشفق وقل كلمة ! » .

فمد يده الى يدها فاذا هي باردة كالثلج ، وخيل له انها ذائبة بين أصابعه ، وما لمسها حتى شعر بقشعريرة تسرى كالكهرباء فى سائر أعضائه ، ولا ريب أنها شعرت بمثل ذلك أيضا ، فجعل يدها بين يديه وقال : «أقول كلمة وأرجو الا تكون ثقيلة عليك » . . فأطرقت ثم قالت : « قل ، لقد نفد صبرى وأخشى أن يخوننا الوقت » . قال : « اعلمى أنى اسـير حبك ، ولا أبغى من هذا العـالم الا رضاك ، فماذا تقولين ؟ » . . قالت : « انك تعبر عن عواطفى » .

وفيما هما يتناجيان اذ سمعا صهيل خيل خارج الدير ورأيا الرهبان فى جلبة ، فوقفت « هند » فجأة فقال حماد : « ما الذى راعك يا حبيبتى ؟ » . . قالت : « أظن « ثعلبـة » قادما الى الدير ، فلعله علم باجتماعنا فجاء يريد بنا سوءا ، فالأجدر أن نفترق قبل فوات الأوان ! » .

وما اتمت كلامها حتى دخل عليها جماعة من جند (بصرى) وأحاطوا بحماد وهموا بالقبض عليه انصياعا لصوت يقول : « امسكوا هذا الرجل وائتونى به حيا أو ميتا ، انه جاسوس ذميم ! » . . فعرف حماد صوت « ثعلبة » فخرج الى جهة الصوت والجند يفرون من أمامه ويتفرقون حوله ولم يستطع أحد أن يمسكه فصاح بثعلبة : « تقدم أنت ياجبان لنرى من هو الخائن » ، واستل حمـاد خنجره وهجم على الجند والناس يبحث عن « ثعلبـة » فلم يعرفه بينهم فاعترضه أحدهم وهم بالقبض عليه فطعنه حماد طعنة أصابت كتفه فصاح من شدة الألم ، فتفرق الناس ، فأراد حماد الفرار خوف الفضيحة لولا انه تذكر « هندا » فخاف أن يفتك بها ذلك الخائن فعاد اليها وقال لها : « انجى بنفسك لئلا نقع

كلانا وفي وقوعك عار علينـا . » فقـالت : « لن أتركك بين ايدي هؤلاء اللئام ، والله لن يظفروا منك بطائل » ، وهمت بأحدهم فاستلت حسامه وهجمت على الجند وكانوا عديدين فتفرقوا فقالت : « خسيء الأنذال هلم الى » وخرجا معـا والليل قد أسـدل نقابه فاسرعا الى فرسيهما فركباهما وانطلقا . .

— ٣ —

● **ودع** حماد هندا قبل أن يصلا الى (البلقاء) وسار في طريق العـودة الى داره ، وفيما هو سـائر بين الأشـجار والطريق كثيرة الحصي سمع وقع حوافر جواد مسرعة نحوه فأصاخ بسمعه وحدق بعينيه جهة الصوت وهو يقترب منه والظلام حالك ، فلما دنا القادم سمع صوتا يناديه : «حماد» فعرف أنه صـوت « سلمان » خادمه ، فوقف حتى تقابلا فقال حماد : « ما الذى جاء بك الآن ؟ » .

قال : « جئت بأمر من سـيدى أبيك لكى تفر في أقرب فرصـة من (البلقاء) الى (عمـان) . قال : « ولمـاذا ؟ » . قال : « لان صاحب (بصرى) بعث شرذمة من رجاله فقبض على أبيك واستولى على كل ما في البيت ! » .

فبهت « حماد » وقد أدرك السبب ولكنه تجاهل وقال : « ولماذا فعلوا ذلك ؟ » قال : « زعموا أنه جاسوس من ملك العراق فسـاقوه مخفـورا الى بصرى ، وسمعت الرجال يسألون عنك في بادىء الأمر ، فلما لم يروك قبضوا على سيدى ونهبوا المنزل ، ولم يتركوا شيئا ، فأسر الى أبوك أن اقتفى أثرك ثم نفر الى عمان ننتظره هناك شهرا فان أبطأ بحثنا عنه في بصرى . »

فانقبضت نفس « حماد » وكادت تخنقه العبرات ، وعلم أن الذين قبضــوا على أبيه هم « ثعلبة » ورجاله ، فحدثته نفســـه أن يلوى عنان جواده الى (بصرى) وقد كبر عليه الفرار ولكنه أطاع أمر أبيه وسار مع « سلمان » صامتا يفكر فى حاله مع « هند » وكيف ساقه الحب الى هذه العاقبة !

⊙❖⊙

● **أما الأمير** « عبد الله » فقد أرسل الى قائد جند الروم فى (بصرى) لمحاكمته متهما بالتجسس ، وهناك وجدوا معه خاتما باسم « النعمـــان بن المنذر » ملك العراق الســـابق وحليف الفرس ، فكاد هذا يثبت صحة اتهامه وخاصة أنه لم يبح بسر وجود الخاتم معه . ولما أصر على عدم الاعتراف بشىء أرسله القـــائد الى دمشـــق ليمثل أمام الامبراطور « هرقل » وكان قد عاد لتوه بعد انتصارساحق على الفرس ، ولما وصل « عبدالله » الى دمشق كان الامبراطور قد غادرها مشيا على الاقدام الى (القـــدس) وقد نذر هذه الرحلة لانتصاره ، فتبعه الجند ومعهم عبد الله الى القدس ، **وبعد أن فرغ الامبراطور من احتفالاته قدم له عبدالله متهما بالتجسس ودليل التهمة الخاتم الذى يحمل اسم « النعمان بن المنذر » . وحاول الامبراطور حمله على الاعتراف بسر هذا الخاتم ولكنه أصر على الكتمان فكاد هذا يثبت صحة اتهامه لولا أنه اعترف بسر وجـــود الخـــاتم للبطريرك الاورشليمى فأكد الأخير للامبراطور أن سر الخـــاتم لا عـــلاقة له بأمن الامبراطورية الرومانية وسلامتها ، فأعان الامبراطور براءته وأمر « الحارث » حاكم بصرى أن يعطيه كتاب الأمان** ، وفى أثناء ذلك جاء الى « هرقل » كتاب من صاحب الشريعة الاسلامية يدعوه فيه الى الاسلام ، وكان « أبو سفيان بن حرب » قد جاء من مكة

الى غزة للتجـارة كعادته فاستقدمه هرقل واستمع منه لسـيرة النبى العربى الجديد منذ نشأته الى أن انتشرت دعوته . وكان عبدالله يقوم بالترجمة بينه وبين أبى سفيان.

وبعـد انتهـاء مقـابلة « هرقل » وأبى سفيـان رافق عبد الله قافلة أبى سفيان مزمعا السفر الى عمان كى يلتقى بابنه حمـاد ، ولكنه وجد مع القـافلة جواد ابنه وعلم انهم عثروا عليه عند قدومهم ضالا فى الصحراء بالقرب من (الزرقاء) المشهورة بسباعها الضارية ، ثم وجدت فى تلك المنطقة بقايا عباءة ابنه وسرج جواد خادمه « سلمان » فتحقق انهما راحا فريسة السباع ، وحاول « أبو سفيان » التخفيف عنه واحياء الامل فى نفسه ولكن بلا فائدة ، وعرض عليه أن يصحب القافلة الى الحجاز ولكنه آثر البقاء ، وقبل أن يدخل (عمان) بعد تخلفه عن القافلة التى واصلت سيرها الى الحجاز ، وقع فى اسر الجيش الذى أرسله النبى لقتال « بنى غسان » الذين اهانوا رسوله ، فقد أرسل النبى كتابا يدعوهم الى الاسلام ووصل كتابه الى « الحارث » فمزقه وامتهن حامله فشق ذلك على صاحب الدعـوة فأنفذ جنـدا من رجاله لقتالهم فاستعد « الحارث بن أبى شمر » و« جبلة بن الأيهم » ـ ملكا غسان ـ لمواجهة هذا الجيش .

وكان حمـاد وسلمـان قد مرا بـ (الزرقاء) وهما فى طريقهما الى عمان حيث تواعدا مع الامير عبد الله على اللقاء ، وقد نجوا بأعجوبة من أسد لقيهما فى الطريق . . فقد أسرعا بتسلق شجرة وتركا جواديهما . . ففتك الاسد بجواد سلمان وفر جواد حماد ، وظل يضرب فى الصحراء ضالا حتى عثرت عليه قافلة أبى سفيان ، وواصل حماد وسلمان سيرهما الى عمان وظلا فيها فترة من الزمن انتظارا لعبد الله ، فلمـا لم يظهر له اثر فيها عادا الى البلقاء . وذهب حماد لمقابلة هند

وأمها « سعدى » وكانت هند قد باحت لامها بسرها وأعلنت رفضها القبول ((ثعلبة)) زوجا لها ، واعلمتها انها تؤثر الموت على الحياة اذا أصر أبوها على أن تتزوج من هـذا الخائن ، واستطاعت ((سعدى)) بحسن حديثها أن تحول ((جبلة)) الى صف ((هند)) وقد أثارت فيه عواطف الابوة ، ووافق جبلة على ان يرفض طلب ثعلبةويقبل حمادا زوجا لابنته .

غير ان جبلة وسعدى اشترطا على حماد أن يقدم لهنـد مهرا عزيزا وهو قرطا « مارية » بنت ظالم ، وقيل لحمـاد ان هذين القرطين موجودان فى الكعبة . وكانت « سعدى » هى التى فاتحت «حمادا» فىأمر القرطين .. فقد قالت له بعد أن بشرته بقبول جبلة : « رأينا أن تعمل عملا نقترحه عليك لايعظم على باسل مثلك ، فاذا فعلته قطعت ألسنة المعترضين وزدتنا اعجابا وفخرا » . فثارت الحمية فى نفس حماد وقال : « قولى ياسيدتى ، انى فاعل ماتقولين .. ولا يثقل على أمر ترضى به هند » . قالت : « نقترح عليك أن تلبس « هنـدا » يوم زفافها قرطين فيهمـا لؤلؤتان كل لؤلؤة منهمـا قدر بيض الحمام ! » .

فقال : « لعلك تعنين قرطى مارية ؟ »

قالت : « اياهما أعنى ، هل تدرى مكانهما ؟ »

قال : « سمعت أن « مارية » جدتكم أهدتهما الى الكعبة منذ أجيال ، فهل هما باقيان هناك حتى الآن ؟ »

قالت : « أظنهما لايزالان هناك ، وفى الاتيان بهما من الكعبة بسالة واقتدار جديران بك ! » .

فلما سمع ((سلمان)) ذلك اضطرب قلبه خوفا على سيده لعلمه أن الكعبة أمنع من عقاب الجو ، ولكنه أسلم أمره الى الله ، وكان يرجو ان يلتقى بالامير عبد الله فى الحجاز ، وقد علم

انه كان يرافق قافلة ((أبى سفيان)) فى طريق عودته الى الحجاز .

وقضى حماد وسلمان يوما فى (صرح الغدير) ، قضاه حماد مع هند وقضاه سلمان يستعد لرحلة الحجاز . لكن هندا لم تهنأ بذلك اليوم لخوفها من الفراق العاجل وقرب الخطر الشديد ، على انها شغلت بحديث حبيبها وأنستها رؤيته كل المخاوف ، فلم يكن يوم اسعد عليها من ذلك اليوم. وودت لو انه لاينقضى . ولاتسل عن حماد وسروره وقدسهل عليه المسير الى الكعبة أمله فى لقاء أبيه هناك .

وفى صباح اليوم التالى رحل حماد وسلمان ووصلا الى مكة للبحث عن القرطين المطلوبين ، وعن عبد الله ، وهناك شهدا فتح مكة وتحطيم الاصنام التى كانت فى الكعبة بيد النبى ، وأخذ حماد وسلمان يبحثان عمن يدلهما على مكان القرطين حتى استدلا الى رجل عجوز من (خزاعة) ، قال لهما : ((ان حكاية هذين القرطين أصبحت فى خبر كان . لأن الكعبة هدمت وبنيت مرارا بعد اهداء القرطين ، ولا يعلم أحد بمكانهما ، والارجح انهما بيعا الى أحد التجار الجائلين)) .

وانقبضت نفس حماد وحاول سلمان أن يسرى عنه بعبارات التعزية ، ومناه بوسيلة يتخذها للتعويض عن هذين القرطين أمام هند ، على أن ذلك لم يكن ليخفف شيئا من قلق حماد . وكان حماد كلما تصور فشله فى مهمته اشتد به اليأس والحزن ، وعظم عليه أن يعود الى (البلقاء) صفر اليدين ، فحدثته نفسه بأن يعتزل الناس ويأوى الى دير يقضى فيه بقية حياته . وكان يناجى هندا فى خياله ضارعا : ((آه منك ياهند ، بل آه من هذا القلب الذى عصانى وأطاعك ، ونعم مافعل ، فانك والله جديرة بحبه ، ولكن أباك ــ آه من أبيك ــ أراد مستحيلا فطلب مهرا ، العنقاء أقرب

منه منالا ، وكأنى به لايرضانى له صهرا . وعذره مقبول مادام نسبى مجهولا ، ان القرطين لم يوجدا ، فأنت بعيدة المنال منى . آه يا « هند » ، أأعود اليك بصفقة المغبون ؟ واذا شدت كذلك فماذا يكون رأيك فى ؟ لاريب عندى أن أمر القرطين لا يهمك ، فأنت لاترضين أن أشقى فى سبيل البحث عنهما الا مجاراة لوالديك ، ولكن كيف أقابل أباك ، وماذا أقول له ؟ كلا . . لن أعود الى (البلقاء) على هذه الحال وقد فقدت أبى فى بلاد لا أعرف فيها أليفا . ومن يدرينى أين هو ؟ وأين النذر ووفاء النذر ؟ ياليته قص شعرى قبل أن أفقده ، فقد وعدنى أنه متى وفى النذر وقص الشعر يطلعنى على أمور تهمنى وقد يكون لها شأن بزواجى ، فأين أبى الآن؟ من يعلمنى أين مقره فأطير اليه مسرعا ، أما اذا يئست منه ومن هند فلن يعود لى فى الحياة مأرب ؟ » .

وكان حماد فى شاغل من هواجسه عن هند ، والقرطين ، وأبيه ، فلم ينتبه الا وسلمان ينادى بأعلى صوته : « مولاى الأمير ؟ مولاى الأمير ؟ » فالتفت حماد فاذا هو أمام أبيه « عبدالله » ، فنهض كما نهض سلمان وضم عبد الله «حمادا» وراح يقبله ودموع الفرح تتساقط على وجهه ، «وسلمان» يقبل يد « عبد الله » ويهنئهما كليهما ، فانبسطت وجوه الجميع وزال منها العبوس .

وعلم حماد من عبد الله أن الجيش العربى الذى أرسله النبى لتأديب الغساسنة أسره وجاء به الى مكة ثم أطلق سراحه عندما تأكد لقائد الجيش أن عبد الله ليس من الغساسنة وأنه عراقى ، وظل يسعى فى مكة حتى قادته المصادفة السعيدة الى حيث كان حماد وسلمان . وقص سلمان حكايته مع حماد والاسد وكيف نجوا منه بتسلق الشجرة ، وما وقع بعد ذلك من حديث هند وأبيها وحب حماد لها ، ثم ماكان

من خطبة حمـاد وما اقترحه عليه « جبلة بن الأيهم » على لسان زوجته « سعدى » مهرا لابنته ، وما لاقاه حماد فى سبيل ذلك من الاسفار والاخطار حتى جاءا (مكة) وشهدا فتحها ، وكيف يئسا من وجود القرطين هناك حتى تجدد الأمل بما علمه سلمـان من أحد التجار من أنهما فى خزانة « النعمان بن المنذر » فى (الحيرة) .

— ٤ —

● **وعاد** الثلاثة الى (البلقاء) للوفاء بالنذر من ناحية ، ومعرفة أخبار « هنـد » من ناحية أخرى . وبعث حمـاد بسلمان الى (صرح الغدير) لمقابلة هند وامها ، ولما عاد كان حماد فى انتظاره ، فاستقبله وهو يتفرس فى وجهه لعله يقرأ فى ملامحه مايبشره ، فرآه يبتسم ووجهه منبسط الأسارير، فرحب به وسأله عن الخبر فقال : « ابشر يامولاى ان الله قد محا كل شـقاء كتب علينا ، وزالت كل الموانع التى كنا نخاف وقوعها بينك وبين هند ! » . . فقال : « وكيف حال هند ؟ هل هى مسرورة برجوعى ؟ وهل علمت أننا لم نعثر على القرطين ، وماذا قالت ؟ » . . فضحك سلمان وقال : « ان القرطين لم يعد لهما دخل فى أمر زواجكما ، فقد تغير وجه المسألة بموت « الحارث بن أبى شمر » وهوان « ثعلبة » من بعده ! . . واذا شئت الاقتران بهند فى صباح الغد امكنك ذلك لأن الفتاة وأبويها راضون بك ولا يريدون منك شيئا ! »

واسرع حماد الى (صرح الغدير) وكانت هنـد أول من التقى به من سكان القصر ، فبارع نحوها ومد يده مسلما ووجهه يطفح سرورا وعينـاه شاخصتان اليها تشعان حبا

وهياما ، فمدت يدها وهى تنظر الى الأرض خجلا . . ولكن الابتسام غلب عليها ، ولما أمسكت يده شعرت بقوة انبثت فى كل أعضــائها ، ثم توردت وجنتاها وأبرقت اساريرها . .
فقال حماد : « كيف أنت يا « هند » ؟ فقد أطالت البعد عنكم ، ومعذلك فقد عدت بخفى حنين ! » فغلب عليها الحياء ولكنها نظرت اليه بعينين براقتين تنبعث أشعة الوله منهما ، وقالت : « لا حاجة بنا الى الخفين ولا القرطين ، وحسبنـــا عودتك سالما ، فالحمد لله على ذلك » .

وتقابل حمــاد بعد ذلك « بسعدى » والملك جبلة ودار الحديث بينهم على ماجرى له ولأبيه ، ثم تكلموا فى أمرالزواج، فطلب حماد تأجيل الزواج الى مابعد الوفاء بالنـذر فى يوم الشعانين ، على أن يتم فى يوم عيد القيامة .

وعاد « حمــاد » الى أبيــه الذى كان قد سبقه الى دير « بحيراء » استعدادا للوفاء بالنذر ، فحكى له حماد مالقيه من التــكريم والاحتفـاء ، وما دار بينـــه وبين « جبلة » مما لم يكن يحلم به . وكان حماد يتوقع أن يرى من أبيه بعد هذا الحديث اعجابا وسرورا ، فلم ير وجهـــــه يزداد الا انقباضا ، ولم يجب بكلمة ، فاعتقد أن مسلكه هذا له علاقة بسره .. فلبث ينتظر يوم الشعانين بفارغ الصبر !

⊙❖⊙

● **وأخيرا** جاء يوم الشعانين ، وطلب عبد الله من راهب صومعة « بحيراء » أن يقص شـــعر « حماد » وأن يؤدى الشعائر الدينية الخاصة بهذه المناسبة ، وبعد أن تم ذلك كله ، وفى حضور الراهب وحماد وسلمان ، كشف عبد الله السر الذى كان ينتظر الثلاثة معرفته ، فاذا بحماد هو فى

الواقع « ابن النعمان بن المنذر » واسمه الحقيقي «المنذر» ، وكان جنينا في بطن أمه عندما قبض « كسرى » على أبيه وسجنه ، وفي سجنه أفضى الى « عبد الله » — وكان من رجاله المقربين — بأنه ينتظر مولودا من زوجة له ، فعليه اذا كان المولود ذكرا أن يتولى تربيته كأنه ابنه حتى يبلغ الحادية والعشرين من العمر ، ثم يعلمه بسره ، وأن أباه النعمان قد نذره لينتقم له من « كسرى » !

.. وسلم « عبد الله » « حمادا » كتابا بخط أبيه النعمان جاء فيه : « من النعمان نزيل دار البقاء الى ابنه المنذر ، المقيم بين الاحياء ، أما بعد فهذا كتاب كتبته وانا في عالم الوجود وانت في دار الفناء ، وستقرؤه بعد رجوعي الى عالم الغيب وبروزك في عالم الاحياء ، فاذا قرأته وقد وفيت نذرك وعرفت حقيقة نسبك **فاعلم أن عظامي تناديك من ظلمة القبر وتستحلفك بشرف اجدادك المناذرة من آل لخم الا تقرب امرأة ولا تشرب خمرا حتى تنتقم لابيك من أكاسرة الفرس ، فاذا فعلت ذلك فانك مبارك انت ونسلك .. وان لم تفعل فان رفاتي ترتعش حنقا ونفسي تتألم وهي تنظر اليك من منافذ الآخرة تراقب حركاتك ، وسيجمعني واياك موقف نتحاسب فيه والسلام »** .

وكان عبد الله ينتظر ما يبدو من حماد ، فلما رآه صامتا قال له : « هذا هو السر يا سيدي قد اطلعتك عليه ، فألقيت عن عاتقي حملا حملته عشرين عاما ونيفا ، وكنت أخاف أن أقضي نحبي قبل افشائه ، فانظر ماذا تفعل » . فقال حماد : « لقد القيت عنك حملا أثقلتني به ، وارجو أن أوفق فيما عهد به الي ، والله منجدي ونصيري » .

وخرج الثلاثة من الدير صامتين وكأن على رؤوسهم الطير لهول ما سمعوا ، وحماد أكثرهم ذهولا لانه أصبح لا يدرى ماذا يفعل ، وهل يسير الى « هند » ليطلعها على سره ـ وليس فى ذلك السر الا ما يوجب كدرها لانه حائل بينها وبين الاقتران به ، الى اجل غير معين ، وان يكن فى اطلاعها على حقيقة نسبه ما يسرها ـ أم يخاطب « جبلة » فى الامر لعله يشير عليه أو ينجده . أم يقصد العراق فينزل (المدائن) ساعيا فى الانتقام من كسرى ؟ .. فلما فكر فى مسيره الى هناك تهيب ، لعلمه بما يحول بينه وبين ذلك من العقبات ، فان الاكاسرة أهل بطش ومنعة .

وذهب حماد لمقابلة هند واطلعها على سره ، بالرغم من تحذير « عبد الله » له بألا يفعل . وفرحت « هند » ولم تستطع كتمان السر ، فاطلعت عليه أمها ، واغتبطت « سعدى » ولم تستطع كتمان السر فاطلعت عليه زوجها « جبلة » ، ولكن « جبلة » لم يقابل هذا السر بالفرحة وانما اغتم لذلك ، وقد أدرك أن عرش الغساسنة سيصير الى منافسيه من آل لخم اذا تزوج حماد من ابنته وليس له وريث غيرها ، ودبر « جبلة » امره (وكان هرقل قد استدعاه كى يلحق به ومعه رجاله الى دمشق استعدادا لمواجهة الجيش العربى الذى يزحف الى الشام بقيادة « خالد بن الوليد » و « عبيدة بن الجراح ») ، فطلب جبلة من حماد أن يبقى فى (بصرى) هو والامير عبد الله وسلمان على أن يسير هو وزوجته وابنته « هند » الى دمشق حتى تنتهى المعركة مع المسلمين . وأدرك عبد الله أن جبلة يريد التملص من وعده لحماد ! ..

— ٥ —

● **وأصبح** « حماد » ذات صباح فاذا « بهند » وامها قد غادرتا « صرح الغدير » الى دمشق ، فعلم أن جبلة قد نفذ خطته ، ولكنه وجد « هنـــدا » قد تركت له رسالة تقول له فيها : « لا يضعف عزمك ما رأيته من ابى ، واصبر ان الله مع الصابرين » .

وأخذ حماد يستعد للانتقام لابيه ، ولكن الاخبـــار التى جاءت من العراق قد كفته مؤونة هذا الانتقام ، فقد قوض العرب ملك كسرى واستسلمت لهم العـــراق والمدائن بعد هزيمة القائد الفارسى « رستم » فى موقعة (القادســـية) الحاسمة .

وباتحماد ينتظر ما تسفر عنه الحرب بين العرب والروم ، وكان الروم قد تجمعوا عند دمشق واستعد العرب لقتالهم عند نهر (اليرموك) . ودارت الدائرة على الروم فى موقعة اليرموك وكتب الله لخالد بن الوليد وأبى عبيـــدة بن الجراح انتصارا عظيما .

ولما علم حمـــاد بأخبـــار الهزيمة وفرار الروم اسرع الى دمشق للبحث عن هند حيث تركها والدها مع أمها فى أحد الاديرة هناك ، فلم يعثر لهما على أثر ، وعلم أنهما ذهبتا مع من ذهب الى القـــدس ، فأسرع الى هناك فى الوقت الذى كان فيه العـــرب يحاصرون المدينة المقدســـة . والتقى حمـــاد بالبطريرك الذى كان يستعـــد لمقاومة العرب ، وعرض عليـــه حمـــاد أن يتوسط بينـــه وبين العرب لدخول المدينة من غير قتال ، حفاظا على آثارها الدينية المقدسة .. وبعد تردد وافق البطريرك ، وقام حماد بهذه الوساطة بعد أن اشترط

البطريرك ان يسلم المدينة للخليفة عمر بن الخطاب ، وجاء « عمر بن الخطاب » راكبا ناقة وتسلم المدينة ، وتم للعرب فتح بيت المقدس . ولما فرغ حماد من هذا الامر استعان بالعرب فى البحث عن « هند » ، واستمر يبحث عنها حتى علم أنها قصدت دير هند الصغرى بـ (الحيرة) ، وقد وهبت نفسها للدير بعد أن يئست من لقاء حبيبها حماد ، وبعد أن ضاع الملك من ابيها وسقطت الشام فى يد العرب .

وأسرع « حماد » الى الدير .. وكان لقاء بين الحبيبين .. واستطاعت « هند » أن تترك الدير ، سيما أنها لم تكن قد مارست الشعائر الاخيرة للتبتل .

وجمع الله شمل الجميع : هند ، وحماد ، وأمها ، وأبوها «جبلة» وعبد الله وسلمان ، وقد استقر الرأى بينهم جميعا على أن يعقدوا قران « هند » و « حماد » ، ثم ينتقلوا الى القسطنطينية (مقر الامبراطور « هرقل ») حيث يقضون بقية العمر هناك ، بعد أن لم يعد لهم مقام فى العراق أو فى الشام .

وبعد عقد القران و « الاكليل » ، ركب الجميع ، وسافروا متنكرين نحو « القسطنطينية » .. فوصلوا اليها بعد بضعة عشر يوما ، وأقاموا بها حتى قضى الله بما شاء ..

محتويات العـــدد

الموضـــــوع	الصفحة



تصدر عن


إخصائيون فى المطبوعات العاجلة


الإدارة : ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة - ت ٣١٨١٠ ● مكتبة دار الشعب - ت ٢٩٩٩١

التوزيع : مكتبة دار الشعب

المطابع : قصر العينى ت ٣١٨١٠-٣١٨١٨-٣١٨١٩ دير النحاس - تليفون ٨٤٤٨١٠

رئيس مجلس الإدارة السيد ابراهيم

أسس لأولادك هذه المكتبة

إن "مطبوعات كتابي" التي تقدم لك ولأفراد أسرتك ترجمة عربية دقيقة كاملة لأمهات الكتب العالمية التي تؤلف تراث الإنسانية الخالد على مر العصور، تكفل لابنك - أو ابنتك - أن يشب فيجد في متناوله مكتبة عربية زاخرة بكتب الأدب المنتقاة، المترجمة عن أساطين المؤلفين في شتى بلاد العالم، والتي تضم عصارة تجاربهم ومشاعرهم وانفعالاتهم.. وهكذا سوف يتاح لابنك أن يقرأ "تولستوي" و"جيته" و"ديكنز" و"فولتير" و"دانتي" منذ نعومة أظفاره، بينما حرمت أنت في شبابك الباكر من هذه المتعة.. فعندما أتقنت اللغات الأجنبية كنت قد بلغت سن العمل والزواج والمسئوليات، فضاعت منك فرصة الفراغ الطويل المنشود.. إلى الأبد!



